

# كِتَابُ التَّسْهِيلِ إِلَى لَعِبِ لُومِ التَّنْزِيلِ

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خدام القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جبري الكلبى

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الثالث

٢٥١٩٨  
لغز

الطبعة الأولى: سنة ١٣٥٥ هـ ١٢٦٦  
CHECKED

على بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية  
وصححها نخبة من العلماء

طلبه من المكتبة العامة الكبرى بأول شارع محمد بن عبد الله  
باصمراء مصطفى محمد

مطبعة مصطفى طه محمد  
مدير المكتبة العامة الكبرى باصمراء

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## سورة مريم

مكية إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فدينيتان وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* كَهَيْعَصَ \* ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا \* إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا \* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا \* يَزَكِّرِيَا إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ أَتَمَّهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ

## سورة مريم

(كهيعص) قد تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل في هذا إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهام من هادي، والياء من علي، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان علي بن أبي طالب يقول في دعائه: يا كهيعص، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى، أو ينادى بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف (ذكر) تقديره هذا ذكر (عبد زكريا) وصفه بالعبودية تشريفا له وإعلاما له بتخصيصه وتقريبه، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة، فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول، وقيل هو مفعول بفعل مضمر، تقديره رحمة عبده وعلى هذا يوقف على ما قبله وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له (إذ نادى ربه) يعني دعاه (بداء خفيا) أخفاه لأنه يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد (وهن العظم) أي ضعف (واشتعل) استعاره للشيب من اشتعال النار (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أي قد سعدت بدعائي لك فيما تقدم، فاستجب لي في هذا فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه (وإني خفت الموالى) يعني الأقارب قيل خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل خاف أن يضعوا الدين من بعده (من ورأى) أي من بعدى (عاقرا) أي عقيا (فهب لي من لدنك وليا) يعني وارثا يرثني، قيل يعني وراثته المال، وقيل وراثته العلم والنبوة، وهو أرجح لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: نحن معاشر الأنبياء لا نورث وكذلك (يرث من آل يعقوب) العلم والنبوة، وقيل الملك، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح (رضيا) أي مرضيا فهو فعيل بمعنى مفعول (سميا) يعني من سمي باسمه، وقيل شيلا ونظيرا، والآل أحسن هنا (أني يكون لي غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وفهم رأته فسأل ذلك، أولا لعلمه بقدرته الله عليه، وتعجب منه

أَمْرًا نِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا \* قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَنْتُكُمُ النَّاسُ تِلْكَ لَيَالٍ سَوِيًّا \* نَخْرَجُ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْحَرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا \* يَاجِييْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا \* وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا \* وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثَرُ حَيًّا \* وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا \* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا \* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا \* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا \* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلُهَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا \* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ

لأنه نادر في العادة ، وقيل سأله وهو في سن من يرجوه ، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ (عتيا)  
 قيل يبسا في الأعضاء والمفاصل ، وقيل مبالغة في الكبر (كذلك) الكاف في موضع رفع أي الأمر كذلك  
 تصديقه فيما ذكر من كبره وعقم امرأته ، وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يبتدأ قال ربك ، وقيل  
 إن الكاف في موضع نصب بقال ، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره : هو على هين (اجعل لي آية) أي علامة  
 على حمل امرأته (سويا) أي سليما غير أخرس واتصابه على الحال من الضمير في تكلم ، والمعنى أنه لا يكلم  
 الناس مع أنه سليم من الخرس ، وقيل إن سويا يرجع إلى الليالي أي مستويات ( فأوحى إليهم ) أي أشار ،  
 وقيل كتبه في الثراب إذ كان لا يقدر على الكلام (أن سبجوا) قيل معناه صلوا ، والسبحة في اللغة الصلاة ،  
 وقيل قولوا سبحان الله (يايحي) التقدير قال الله ليحي بعد ولادته (خذ الكتاب) يعني التوراة (بقوة) أي في العلم  
 به والعمل به (وآتيناه الحكم صبيا) قيل الحكم معرفة الأحكام ، وقيل الحكمة ، وقيل النبوة (وحنانا) قيل معناه  
 رحمة وقال ابن عباس لا أدري ما الحنان (وزكاة) أي طهارة ، وقيل ثناء كما يزكي الشاهد (واذكر في الكتاب  
 مريم) خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب القرآن (إذ انتبذت من أهلها) أي اعتزلت منهم وانفردت  
 عنهم (مكنا شرقيا) أي إلى جهة الشرق ولذلك يصلى النصارى إلى المشرق (أرسلنا إليها روحنا) يعني جبريل ،  
 وقيل عيسى ، والاول هو الصحيح لأن جبريل هو الذي تمثل لها باتفاق (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن  
 كنت تقيا) لمآرات الملك الذي تمثل لها في صورة البشر ، قد دخل عليها خافت أن يكون من بني آدم ، فقالت له  
 هذا الكلام ، ومعناه إن كنت ممن يتقى الله فابعد عني ، فإني أعوذ بالله منك ، وقيل إن تقيا اسم رجل  
 معروف بالشرع عندهم وهذا ضعيف وبعيد (لأهب لك غلاما زكيا) الغلام الزكي هو عيسى عليه السلام ، وقرئ  
 ليحب بالياء ، والفاعل فيه هو ضمير الرب سبحانه وتعالى ، وقرئ بهمزة التكلم ، وهو جبريل ، وإنما  
 نسب الهبة إلى نفسه ، لأنه هو الذي أرسله الله بها أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى ( ولم أك  
 بغيا ) البغي هي المرأة المجاهرة بالزنا ووزن بغي فعول (ولنجعله آية) الضمير للولد واللام

مَكَانًا قَصِيًّا \* فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى الْجِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا \* فَكَانَهَا  
مِنْ تَحْتِهَا \* لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا \* وَهَزَى إِلَيْكَ الْجِذْعَ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا \*  
فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكُلَمَ الْيَوْمَ  
إِنْسِيَاءَ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَأْتِيَنَّكَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ  
وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا \* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي

تتعلق بمحذوف تقديره لنجعله آية فعلنا ذلك (حملته) يعني في بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر ، وقال  
ابن عباس حملته وولده في ساعة (مكانا قصيا) أي بعيدا ، وإنما بعدت حياء من قومه أن يظنوا بها  
الشر (فأجاءها) معناه ألجأها وهو منقول من جاء بهمة التعدية (المخاض) أي النفاس (إلى جذع النخلة)  
روى أنها احتضنت الجذع أشدة وجع النفاس (قالت ياليتني مت) إنما تمت الموت خوفا من إنكار قومه وظنهم  
بها الشر ووقعهم في دمه وتمنى الموت جائز في مثل هذا ، وليس هذا من تمنى الموت لضر نزل بالبدن فإنه منى عنه  
(وكننت نسيا) النسي الشيء الخفي الذي لا يؤبه له ، ويقال بفتح النون وكسر ها (فكادها من تحتها) قرئ من بفتح الميم  
وكسر ها ، وقد اختلف على كلتا القراءتين ، هل هو جبريل أو عيسى ، وعلى أنه جبريل قيل إنه كان تحتها كالقابلة ،  
وقيل كان في مكان أسفل من مكانها (أن لا تحزني) تفسير للنداء ، فإن مفسرة (سريا) جدول ولا وهي ساقية من ماء  
كان قريبا من جذع النخلة ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم فسره بذلك ، وقيل يعني عيسى فإن السري الرجل  
الكريم (وهزى إليك الجذع النخلة) كان جذعا يابسا فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا ، وقد استدلل  
بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق ، لأن الله أمر مريم بهز  
النخلة ، والباء في مجذع زائدة كقوله : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (تساقط عليك رطبا جنيا) الفاعل بتساقط  
النخلة ، وقرئ بالياء والفاعل على ذلك الجذع ، ورطبا تمييز والجنى معناه الذي طاب وصلاح ، لأن يجتنى  
(فكلى واشربي) أي كلى من الرطب ، واشربي من ماء الجدول ، وهو السري (واترى عينا) أي طيبي نفسا  
بما جعل الله لك من ولادة نبي كريم أو من تيسير المأكل والمشرب (فإما ترين) هي إن الشرطية دخلت  
عليها ما الزائدة للتأكيد ، وترين فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد (نذرت الرحمن صوما)  
أي صمتا عن الكلام ، وقبل يعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت ، وإنما أمرت بالصمت صيانة  
لها عن الكلام مع المتهمين لها ، ولأن عيسى تكلم عنها فأخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام ، وقيل  
بالإشارة ، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت (فأتت به قومها) لما رأت الآيات : علمت أن الله سيدين عذرها  
لجاءت به من المكان القصي إلى قومها (شيئا فريا) أي شنيعا وهو من القرية (يأخت هارون) كان هارون  
عابدا من بني إسرائيل شبهت به مريم في كثرة العبادة فقبل لها أخته بمعنى أنها شبهه ، وقيل كان أخاها من  
أبيها ، وكان رجلا صالحا ، وقيل هو هارون النبي أخو موسى وكانت من ذريته ، فأخت على هذا كقولك  
أخو بني فلان أي واحد منهم ، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة ، فإن



الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا  
بِوَالِدَيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ  
مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ ۖ وَلَئِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ  
كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ  
وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا  
يُرْجَعُونَ ۖ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ يَبْنَوتَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

بين زمانها دهرًا طويلا (فأشارت إليه) أي إلى ولدها ليتكلم وصمته هي كما أمرت (كان في المهد  
صسبيا) كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف ، وقيل المهد هنا حجرها (آثاني الكتاب) يعني  
الإنجيل ، أو التوراة والإنجيل (مباركا) من البركة وقيل نفاعا ، وقيل معلم للخير واللفظ أعم من ذلك  
(وأوصاني بالصلاة والزكاة) هما المشروعتان ، وقيل الصلاة هنا الدعاء ، والزكاة : التطهير من العيوب  
(وبرا) معطوف على مباركا ، روى أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد ، ثم عاد إلى حالة الأطفال على  
عادة البشر ، وفي كلامه هذا رد على النصارى ، لأنه اعترف أنه عبد الله ورد على اليهود لقوله : وجعلني  
نبيا (والسلام علي) أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر في قصة يحيى ، فهو كقولك : رأيت رجلا  
فأكرمت الرجل ، وقال الزمخشري : الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلغة من اتهم مريم كأنه قال  
السلام كله على لا عليكم ، بل عليكم ضده (قول الحق) بالرفع خبر مبتدأ تقديره هذا قول الحق أو بدل  
أو خبر بعد خبر ، وبالنصب على المدح بفعل مضمر أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم (فيه  
يمترون) أي يختلفون فهو من المراء ، أو يشكون فهو من المرية ، والضمير لليهود والنصارى (وأن الله  
ربي) من كلام عيسى وقرئ بفتح الهمزة تقديره ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه ، وبكسرهما لا ابتداء الكلام ،  
وقيل هو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، والمعنى يا محمد قل لهم ذلك عيسى ابن  
مريم وأن الله ربي وربكم والاول أظهر (فاختلف الأحزاب) هذا ابتداء لإخبار ، والأحزاب اليهود  
والنصارى ، لأنهم اختلفوا في أمر ديسى اختلافا شديدا فكذبته اليهود وعبدته النصارى ، والحق خلاف  
أقوالهم كلها (من بينهم) معناه من تلقائهم ومن أنفسهم وأن الاختلاف لم يخرج عنهم (من مشهد  
يوم عظيم) يعني يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة على أنهم في  
الدنيا في ضلال مبين (يوم الحسرة) هو يوم يوتى بالموث في صورة كبش فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود  
لاموت ويا أهل النار خلود لاموت ، وقيل هو يوم القيامة وانتصاب يوم على المفعولية ، لا على الظرفية  
(وهم في غفلة) يعني في الدنيا فهو متعلق بقوله في ضلال مبين أو بأنذرهم (صديقا) بناء مبالغة من الصدق أو من

يُنْصَرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۖ يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۖ يَأْتِيَنَّكَ  
لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ يَأْتِيَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَسْكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ  
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ تَبَرَّأْتَ مِنَ اللَّهِ وَرَبِّكَ وَأَهْلِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَأَهْلِكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ وَأَعْتَزَلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ  
بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۖ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا  
لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ خُلَاصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ  
وَنَذِيرًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ  
إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ  
وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ

التصديق ، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي نبي بعده ، ويحتمل أنه جمع الوصفين (مالا يسمع ولا يبصر) يعني  
الأصنام (صراطا سويا) أى قويمًا (لأرجنك) قيل يعني الرجم بالحجارة وقيل الشتم (واهجرني مليا) أى  
حينما طويلا ، وعطف اهجرني على محذوف تقديره احذر رجبي لك (قال سلام عليك) وداع مفارقة ،  
وقيل سائلة لالتحية لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز (سأستغفر لك) وعد وهو الذى أشير إليه بقوله عن  
مرعدة وعدا لياه قال ابن عطية ، معناه سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك ، وذلك لأن الاستغفار للكافر  
لا يجوز ، وقيل والله أن يستغفر له مع كفره ، ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه بذلك ، ويقوى  
هذا القول قوله واغفر لاني إنه كان من الضالين ، ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب لا تستغفرن  
لك ما لم أنه عنك (حفيّا) أى بارًا متلطفا (وأعتزلكم وما تدعون) أى ما تعبدون (إسحاق ويعقوب) هما ابنه وابن  
ابنه وهبما الله له عوضا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم (من رحمتنا) النبوة ، وقيل المال والولد ، واللفظ أعم من ذلك  
لسان صدق يعني الثناء الباقي عليهم إلى آخر الدهر (مخلصا) بكسر اللام أى أخلص نفسه وأعماله لله وبفتحها أى  
أخلصه الله للذّوة والتقريب (وكان رسولا نبيا) النبي أعم من الرسول لأن النبي كل من أوحى الله إليه ولا يكون  
رسولا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول (وناديناها) هو تكليم الله (الطور)  
وهو الجبل المشهور بالشام (الأيمن) صفة للجانب وكان على يمين موسى حين وقف عليه ويحتمل أن يكون من اليمز (نجيا)  
النجى فيل وهو المنفرد بالمناجاة وقيل هو من المناجاة ، والأول أصح (من رحمتنا) من سبيبة أو للتبعض وأخاه على  
الأول مفعول وعلى الثانى بدل (إنه كان صادق الوعد) روى أنه وعد رجلا إلى مكان فانتظره فيه سنة ، وقيل الإشارة  
إلى صدق وعده فى قصة الذبح فى قوله مستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، وهذا يدل على قول من قال إن الذبيح  
هو إسماعيل (إدريس) هو أول نبي بعث إلى أهل الأرض بعد آدم ، وهو أول من خط بالقلم ، ونظر فى علم النجوم

النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا وأجبتينا إذا تولى عليهم آيت الرحمن خروا سجدا وبكيا . تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة وأتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا . جنت عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مائيا . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا . تلك الجنة التي نُورِثُ مَنْ عبادنا من كان تقيا . وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا . رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا . ويقول الإنسان أإذا ماتت لسوف أخرج حيا . أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم

رخاط الثياب ، وهو من أجداد نوح عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا) قال ابن عباس رفعه الله إلى السماء وهناك مات ، وفي حديث الإسراء وإنه في السماء الرابعة ، وقيل يعني رفعة النبوة وتشريف منزلته ، والاول أشهر ورجحه الحديث ( أولئك ) إشارة إلى كل من ذكر في هذه السورة من زكريا إلى إدريس ( من النبيين ) من هنا للبيان ، والتي بعدها للتبعض ( من ذرية آدم ) يعني نوحا وإدريس (ومن حملنا) يعني إبراهيم (ومن ذرية إبراهيم) يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب (وإسرائيل) يعني أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى ( ومن هدينا ) يحتمل العطف على من الأولى أو الثانية (بكيا) جمع بك ووزنه فعول ( تخلف من بعدهم خلف ) يقال في عتب الخير خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون وهو المعنى هنا واختلف فيمن المراد بذلك ، فقيل النصارى لأنهم خلفوا اليهود ، وقيل كل من كفر وعصى من بعد بنى إسرائيل ( أضاعوا الصلوة ) قيل تركوها ، وقيل أخرجوها عن أوقاتها ( يلقون غيا ) الغى الخسران ، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف تقديره يلقون جزاء غي ( إلا من تاب ) استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع ( بالغيب ) أى أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم ( مائيا ) وزنه مفعول ، فقيل إنه بمعنى فاعل ، لأن الوعد هو الذى يأتى وقبل إنه على بابه لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها ( لغوا ) يعني ساقط الكلام (الإسلاما) استثناء منقطع ( بكرة وعشيا ) قيل المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالي ، إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل ، وقيل المعنى أن الرزق يأتهم في كل حين يحتاجون اليه ، وعبر عن ذلك بالنكرة والعشى على عادة الناس في أكلامهم ( وما ننزل إلا بأمر ربك ) حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له أبطأت عني واشتقت إليك فقال إني كنت أشوق ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست ونزلت هذه الآية ( له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ) أى له ما قدمنا وما خلفنا وما نحن فيه من الجهات والأماكن ، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، وقيل ما بين أيدينا : الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور ، وما خلفنا : الآخرة ، وما بين ذلك : ما بين النفختين وقيل ماضى من أعمارنا وما بقى منها ، والحال التي نحن فيها ، والأول أكثر مناسبة لسياق الآية ( وما كان ربك نسيا ) هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول وقيل بمعنى الترك ، والأول أظهر ( هل تعلم له سميا ) أى مثيلا ونظيرا

يَكُ شَيْئًا فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا \* ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًا \* ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا \* وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا \* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا \* وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِذَا أُنْمِوتُوا إِلَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًا \* وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيعًا \* قُلْ

فهو من المسامى والمضاهى ، وقيل من تسمى باسمه ، لانه لم يتسم باسم الله غير الله تعالى ( ويقول الإنسان أنذامات لسوف أخرج حيا ) هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور ، والإنسان هنا جنس يراد به الكفار ، وقيل إن القائل لذلك أبى بن خلف ، وقيل أمية بن خلف والهمزة التي دخلت على أنذامات للإنكار والاستبعاد ، واللام في قوله لسوف : سيقى على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى ، والإخراج يراد به البعث ( أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ) احتجاج على صحة البعث ، ورد على من أنكره ، لأن النشأة الأولى دليل على الثانية ( لنحشرنهم والشیاطین ) يعنى قرناهم من الشیاطین الذين أضلوه ، والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشیاطین مفعول معه ( جثیا ) جمع جاث ، ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف ( ثم لنزعن من كل شيعة ) الشيعة : الطائفة من الناس التى تنفق على مذهب أو اتباع إنسان ، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار ، وقال بعضهم المعنى نبأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما ( أيهم ) اختلاف في إعرابه ، فقال سيبويه هو مبنى على الضم لانه حذف العائد عليه من الصلة ، وكان التقدير أيهم أشد فوجب البناء ، وقال الخليل هو مرفوع على الحكاية تقديره الذى يقال له أشد ، وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء ( أولى بها صليا ) الصلى : مصدر صلى النار ، ومعنى الآية : أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب ( وإن منكم إلا واردها ) خطاب لجميع الناس عند الجمهور ، فأما المؤمنون فيدخلونها ، ولكنها تخمد فلا تضرهم ، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله حصب جهنم أتم لها واردون ، وأوردهم النار ، وقيل الورد بمعنى القدوم عليها كقوله ورد ما مدين ، والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفار فلا إشكال ( حتما ) أى أمرا لا بد منه ( ثم ننجى الذين اتقوا ) إن كان الورد بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا يكون النار عليهم بردا وسلاما ، ثم بالخروج منها وإن كان بمعنى المرور على الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها ( أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ) الفريقان هم المؤمنون والكفار ، والمقام اسم مكان من قام ، وقرئ بالضم من أقام ، والندى المجلس ، ومعنى الآية : أن الكفار قالوا المؤمنين : نحن خير منكم مقاما : أى أحسن حالا في الدنيا ، وأجمل مجلسا فنحن أكرم على الله منكم ( وكم أهلكنا قبلهم من قرن ) كم مفعول بأهلكنا ، ومعنى الآية : رد على الكفار في قولهم المذكور : أى ليس حسن الحال في الدنيا دليلا على الكرامة عند الله ، لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم في الدنيا ( هم أحسن ) قال الزخشرى هذه الجملة في موضع نصب صفة لكم ( أثنا ) أى متاع البيت ، وقال ابن عطية هو اسم عام في المال العين والعروض والحيوان ، وهو اسم جمع ، وقيل هو جمع ، واحده أثانة ( وريثا ) بهمزة ساكنة قبل الياء : معناه منظر حسن ، وهو من الرؤية ، والرئى اسم المرنى ، وقرئ بتشديد

مَنْ كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا \* وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا \* أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا \* كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا \* وَنَرَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا \* وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا \* أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا \* فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا \* يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا \* وَنَسُوقُ الْجَائِرِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا \* لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اخْتُذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا \* وَقَالُوا اخُذْ الرَّحْمَنُ وَلَدًا \*

الياء من غير همز ، وهو تخفيف من الهمز ، فالمعنى متفق ، وقيل هو من رى الشارب أى التمتع بالمشارب والمآكل ، وقرأ ابن عباس زيا بالزاي ( فليمددله الرحمن مدا ) أى يمهله ويملى له ، واختلف هل هذا الفعل دعاء أو خبر سبق بلفظ الأمر تأكيذا ( حتى ) هنا غاية للبذ في الإضلال ( إمال العذاب ) يعنى عذاب الدنيا ( شر مكانا وأضعف جندا ) في مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن نديا ( والباقيات الصالحات ) ذكر في الكهف ( خير مردا أى مرجعا وعاقبة ) ( أفرايت الذى كفر ) هو العاصى بن وائل ( وقال لأوتين مالا وولدا ) كان قد قال لئن بعثت كما يزعم محمد ليكون لى هناك مالا وولدا ( أطلع الغيب ) الهمة للإنكار ، والرد على العاصى في قوله ( كلا ) رذله عن كلامه ( سنكتب ما يقول ) إنما جعله مستقبلا لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل ( ونمدله من العذاب مدا ) أى نزيدله فيه ( ونرئه ما يقول ) أى نرث الأشياء التى قال إنه يؤتاها في الآخرة ، وهى المال والولد ووراثتها هى بأن يهلك العاصى ويتركها ، وقد أسلم ولداه هشام وعمر ورضى الله عنهما ( ويأتينا فردا ) أى بلا مال ولا ولد ولاولى ولا نصير ( سيكفرون بعبادتهم ) قيل إن الضمير فى يكفرون للكفار وفى عبادتهم للمعبودين ، فالمعنى كقولهم ما كنا مشركين ، وقيل إن الضمير فى يكفرون للمعبودين ، وفى عبادتهم للكفار ، فالمعنى كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون ( ويكفرون عليهم ضدا ) معناه يكون لهم خلاف ما أملوه منهم فيصير العز الذى أملوه ذلة ، وقيل معناه أعداء ( أرسلنا الشياطين على الكافرين ) تضمن معنى سلطانا ، ولذلك تعدى بعل ( تؤزهم أزا ) أى تزجهم إلى الكفر والمعاصى ( فلا تعجل عليهم ) أى لا تستبطئ عذابهم وتطلب تعجيله ( إنما نعد لهم عذابا ) أى نعد مدة بقائهم فى الدنيا . وقيل نعد أنفسهم ( وفدا ) قيل معناه ركبانا ، ومعنى الوفد لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك ، وقيل مكرمون ، لأن العادة لإكرام الوفود ( وردا ) معناه عطاشا لأن من يرد الماء لا يبرده إلا للعطش ( لا يملكون الشفاعة ) الضمير يحتمل أن يكون للكفار ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لهم ، ويكون من اتخذ : استثناء منقطعاً بمعنى لكن ، أو يكون الضمير للمتقين فالاستثناء متصل ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهدا أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهدا ، أو يكون الضمير للفرقيين إذ قد ذكروا قبل ذلك ؛ فالاستثناء أيضا متصل ، ومن اتخذ : يحتمل أن يراد به



لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۖ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُنْبِئُ الرَّحْمَنُ أَنْ يُتَّخَذَ وَلَدًا ۚ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ وَكُلُّهُمْ أَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۚ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۚ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِصُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۚ

### سورة طه

مكية إلا آتى ١٣ و ١٣١ فدينيتان وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طه ۖ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى ۖ تَزِيلًا مِّنْ

الشافع أو المشفوع له (عهدا) يريد به الإيمان والأعمال الصالحة ، ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة . وهذا أرجح لقوله لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ، والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الموقف حين ينفرد بها ويقول غيره من الأنبياء نفسى نفسى (شيئا إذا) أى شيئاً صعباً (يتفطرن منه) أى يتشققن من قول الكفار : اتخذ الله ولداً (هَذَا) أى انهداما (أن دعوا) أى من أجل أن دعوا (لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) وقرئ ولدا بضم الواو وإسكان اللام ، وهى لغة (إن كل من فى السموات والأرض) ردة على مقالة الكفار ، والمعنى أن الكل عبيده ، فكيف يكون أحدهم ولداً له ، وإن نافية ، وكل مبتدأ وخبره آتى الرحمن (سيجعل لهم الرحمن وداً) هى المحبة والقبول الذى يجعله الله فى القلوب لمن شاء من عباده ، وقيل إنها نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله عنه (يسرناه بلسانك) الضمير للقرآن وبلسانك أى بلغتكم (قومالدا) جمع ألد ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة ، والمراد بذلك قریش ، وقيل معناه فجارا (أو تسمع لهم ركزا) هو الصوت الخفى ، والمعنى أنهم لم يبق منهم أثر ، وفى ذلك تهديد لقریش

### سورة طه

قيل فى طه إنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يارجل ، وانظر الكلام على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم قام فى الصلاة حتى تورمت قدماه ، فنزلت الآية تخفيفاً عنه ، فالشقاء على هذا إفراط التعب فى العبادة ، وقيل المراد به التأسف على كفر الكفار ، واللفظ عام فى ذلك كله ، والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء فى الدنيا والآخرة لأنه أنزل عليه القرآن الذى هو سبب السعادة (إلا تذكرة) نصب على الاستثناء المنقطع ، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من موضع لتشقى إذ هو فى موضع مفعول من أجله ، ومنع ذلك الزمخشري لاختلاف الجنسین ، ويصح أن ينتصب بفعل مضمّر تقديره أنزلناه تذكرة (تزيلا) نصب على المصدرية والعامل فيه مضمّر وما أنزلنا وبدأ السورة بلفظ المتكلم فى قوله ما أنزلنا ثم رجع إلى الغيبة فى قوله تزيلا من خلق الأرض الآية : وذلك هو الالتفات

خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۖ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۖ وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۖ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۖ وَهَلْ أَتَيْكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمُ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ۖ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۖ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۖ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لَتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۖ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۖ

(والسموات العلى) جمع عليا (على العرش استوى) تكلمنا عليه في الأعراف (الثرى) هو في اللغة التراب الندى، والمراد به هنا الأرض (وإن تجهر) مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك لأنه يعلم السر وأخفى (يعلم السر وأخفى) السر الكلام الخفى، والأخفى ما في النفس، وقيل السر ما في نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه (الاسماء الحسنى) تكلمنا عليها في الأعراف (وهل أتاك) لفظ استفهام والمراد به التنبيه (إذ رأى) العامل في إذ حديث لأن فيه معنى الفعل وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر فسار بالليل واحتاج إلى نار فقدم بزاده فلم ينسده، فرأى نارا فقصد إليها فداده الله، وأرسله إلى فرعون (آنست نارا) أى رأيت (بقبس) هو الجدوة من النار تكون على رأس العود والقصة ونحوها (أو أجد على النار هدى) يعنى هدى إلى الطريق من دليل أو غيره (فاخلع نعليك) قيل إنما أمر بخلع نعليه، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله وهذا أحسن (الوادى المقدس) أى المطهر (طوى) فى معناه قولان: أحدهما أنه اسم للوادي، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة، والثانى أن معناه مرتين، فإعرابه على هذا مصدر: أى قدس الوادى مرة بعد مرة أو نودى موسى مرة بعد مرة (وأقم الصلاة لذكركى) قيل المعنى لتذكركى فيها، وقيل لاذكركى بها، فالمصدر على الأول مضاف للفعول وعلى الثانى مضاف للفاعل، وقيل معنى لذكركى: عند ذكرى كقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس: أى عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استدل بالآية: على وجوب الصلاة على الناس إذا ذكرها (أكاد أخفيها) اضطرب الناس فى معناه، فقيل أخفيها بمعنى أظهرها، وأخفيت هذا من الأضداد، وقال ابن عطية: هذا قول محتمل، وذلك أن المعروف فى اللغة أن يقال: أخفى بالآلف من الإخفاء وخفى بغير ألف بمعنى أظهر فلو كان بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك فى الشاذ، وقال الزمخشري قد جاء فى بعض اللغات أخفى بمعنى خفى: أى أظهر، فلا يكون هذا القول محتلا على هذه اللغة، وقيل أكاد بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها وقيل إن المعنى إن الساعة آتية أكاد، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذهما لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها، وقيل المعنى أكاد أخفيها عن نفسى فكيف عنكم، وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن

وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ۖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا وَاهْبَسْتُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَثَرَبٌ أُخْرَىٰ ۖ  
قَالَ أَتَقْتُلُهَا يَا مُوسَى ۖ فَالْقُلُوبُ إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۖ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۖ وَاضْمُمْ  
يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ آيَةٌ أُخْرَىٰ ۖ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ۖ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ قَالَ رَبِّ اأُفْشِرْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۖ وَاجْعَلْ  
لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ هَارُونَ أَخِي ۖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۖ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ۖ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۖ وَنَذْكُرَكَ  
كَثِيرًا ۖ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۖ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ۖ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ۖ إِذْ أَوْحَيْنَا  
إِلَىٰ أَمْلِكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ

المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد ، حتى أنه كاد أن يخفى وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذاً أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه وهذا المعنى هو اختيار المحققين (لتجزى) يتعلق بآية (بما تسعى) أى بما تعمل (فلا يصدك عنها) الضمير للساعة : أى لا يصدك عن الإيمان بها والاستعداد لها ، وقيل الضمير للصلاة وهو بعيد ، والخطاب لموسى عليه السلام ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك بعيد (فتردى) معناه تهلك ، والردى هو الهلاك وهذا الفعل منصوب فى جواب لا يصدك (وما تلك يمينك يا موسى) إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله فى العصا من قلبها حية فعنى السؤال تقرير أنها عصى فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، وقيل إنما سأله ليؤنس به ويسطه بالكلام (واهش بها على غنمى) معناه أضرب بها الشجر لينتشر الورق للغم (مأرب) أى حوائج (حية تسعى) أى تمشى (سيرتها الأولى) يعنى أنه لما أخذها عادت كما كانت أول مرة ، واتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول يأسقاط حرف الجر (واضمم يدك إلى جناحك) الجناح هنا الجنب أى تحت الإبط ، وهو استعارة من جناح الطائر (تخرج بيضاء) روى أن يده خرجت وهى بيضاء كالشمس (من غير سوء) يريد من غير برص ولا عاهة (لنريك من آياتنا الكبرى) يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لريك ، وأن تكون صفة الآيات ويختلف المعنى على ذلك (أشرح لى صدرى) إن قيل لم قال أشرح لى ويسر لى ، مع أن المعنى يصح دون قوله لى ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة (واحلل عقدة من لسانى) العقدة هى التى اعترته بالجمرة حين جعلها فى فيه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجر به ، وإنما قال عقدة بالتكثير لأنه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله ولم يطلب الفصاحة الكاملة (وزيرا) أى معينا ، وإعراب هارون بدل أو مفعول أول (أزرى) أى ظهرى والمراد القوة ومنه فأزره أى قواه (قال قد أوتيت سؤالك) أى قد أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة (إذ أوحينا لى أملك) يحتمل أن يكون وحى كلام بواسطة ملك ، أو وحى إلهام كقوله : وأوحى ربك لى النحل (مايوحى) لإبهام يراد به تعظيم الأمر (أن أقذفيه فى التابوت فأقذفيه فى اليم) الضمير الأول لموسى والثانى للتابوت أو لموسى واليم البحر والمراد به هنا النيل ، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بنى إسرائيل ، فأمر

وَأَلْقَيْتَ عَلَيْكَ حَبَّةَ مَنَى وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي \* إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ \* وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي \* أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي \* أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ \* قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ \* قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ \* فَأَتَيْنَاهُ فُقُولًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا \* إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ \* قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ \*

بذبح كل ولد ذكر يولد لهم ، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في التابوت وتلقي التابوت في البحر ففعلت ذلك ، وكان فرعون في موضع يشرف على النيل ، فرأى التابوت فأمر به فسبق إليه وامرأته معه ففتحه فأشفقت عليه امرأته وطلبت أن تتخذه ولدا فأباح لها ذلك ( يأخذه عدو لي وعدو له ) هو فرعون (حبة منى) أى أحببتك ، وقيل أراد حبة الناس فيه إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه ، وقيل أراد حبة امرأة فرعون ورحمتها له ، وقوله منى : يحتمل أن يتعلق بقوله ألقى ، أو يكون صفة لحبة فيتعلق بمحذوف ( ولتصنع على عيني ) أى تربي ويحسن إليك بمرأى منى وحفظ ، والعامل فى لتصنع محذوف (إذ تمشي أختك) العامل فى إذ تصنع أو ألقى ، أو فعل مضمهر تقديره ومننا عليك (فتقول هل أدلكم على من يكفله) كان لا يقبل لدى امرأة فطلبوا له مرضعة ، فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه ( وقتلت نفسا ) يعنى القبطى الذى وكزه فقتل عليه (فتجيناك من الغم) يعنى الخوف من أن يطلب بثأر المقتول (وفتناك فتونا) أى اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة ، وقيل خلصناك من محنة بعد محنة ، لأنه خلصه من الذبح ثم من البحر ، ثم من القصاص بالقتل ، والفتون : يحتمل أن يكون مصدرا أو جمع فتنة ( فلبثت سنين ) يعنى الأعوام العشرة التى استأجره فيها شعيب (جئت على قدر) أى بميزات محدود قدره الله لنبوتك (واصطنعتك لنفسى) عبارة عن الكرامة والتقريب أى استخلصتك وجعلتك موضع صيغى وإحسانى ( ولاتنينا ) أى لاتضعنا ولا تقصرا ، والونى هو الضعف عن الأمور والتفصير فيها ( أن يفراط ) أى يعمل بالشر (فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى سرحهم ، وكانوا تحت يد فرعون وقومه ، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وتسريح بنى إسرائيل ( ولا تعذبهم ) كان يعذبهم بذبح آبائهم وتسخيرهم فى خدمته وإذلالهم ( قد جئناك بآية ) يعنى قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء ، وإنما وحدهما وهما آيتان ، لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد (والسلام على من اتبع الهدى) يحتمل أن يريد التحية أو السلامة ( قال فن ربكنا ياموسى ) أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه ، لأنه الأصل فى النبوة وأخوه تابع له (الذى أعطى كل شيء خلقه) المعنى أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه خلقه على هذا بمعنى المخلوقين ، وإعرايه مفعول أول ، وكل شيء

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۖ قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۖ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ  
مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۖ كُلُوا وَارْعَوْا  
أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ۖ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۖ وَلَقَدْ  
أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَإِنِّي ۖ قَالَ أَجْتَنَّا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَىٰ ۖ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ  
مِّثْلِهِ فَأَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۖ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ  
مِثْلُهُ

مفعول ثان ، وقيل المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته : أى أكمل ذلك وأتقنه فالخلق على هذا بمعنى الخلقة وإعرابه مفعول ثان ، وكل شيء مفعول أول ، والمعنى الأول أحسن ( ثم هدى ) أى هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم وعليهم كيف ينتفعون به ( قال فما بال القرون الأولى ) يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى حاجة ومناقضة لموسى : أى ما بالها لم تبعث كما زعم موسى أو ما بالها لم تكن على دين موسى أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله : أن العذاب على من كذب وتولى ، ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعاً للكلام الأول وروغانا عنه وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها ، فقال عليها عند ربى ، ثم عاد إلى وصف الله رجوعاً إلى الكلام الأول ( فى كتاب ) يعنى اللوح المحفوظ ( الذى جعل لكم الأرض مهذا ) أى فراشا ، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها لاعلى وجه الحقيقة ولاعلى وجه المجاز ، ولو قال له هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدعى ذلك لنفسه ( وسلك لكم فيها سبلا ) أى نهج لكم فيها طرقاً تمشون فيها ( فأخرجنا ) يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير يقول الله عز وجل فأخرجنا ، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله وأنزل من السماء ماء ثم ابتداء كلام الله ( فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ) أى أصنافاً مختلفة ( كلوا وارعوا أنعامكم ) المعنى أنها تصالح لأن تؤكل وترعاها الأنعام ، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن فى ذلك فكانه أمر به ( لأولى النهى ) أى العقول واحداً هنية ( عنها خلقناكم ) الضمير للأرض يريد خلقه آدم من تراب ( وفيها نعيدكم ) يعنى بالدفن عند الموت ( ومنها نخرجكم ) يعنى عند البعث ( أريناه آياتنا ) يعنى الآيات التى رآها فرعون وهى تسع آيات ، وليس يريد جميع آيات الله على العموم ، فالإضافة فى قوله آياتنا تجرى مجرى التعريف بالعهد : أى آياتنا التى أعطينا موسى كلها ، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفاً ( فأجعل بيننا وبينك موعداً ) يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان ويدل على أنه اسم مكان قوله مكاناً سوى ، ولكن يضعف بقوله موعداً يوم الزينة ، لأنه أجاب بظرف الزمان ، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله يوم الزينة ولكن يضعف بقوله مكاناً سوى ، ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله لا نخلفه ، لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان ، ولكن يضعف ذلك بقوله مكاناً وبقوله يوم الزينة ، فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار ويختلف إعراب قوله مكاناً باختلاف تلك الوجوه فأما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله موعداً ومكاناً مفعولين لقوله اجعل ، ويطابقه قوله يوم الزينة



النَّاسُ ضُحًى ۖ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۖ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ ۖ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ۖ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ۖ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ۖ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوَا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَىٰ ۖ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۖ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَىٰ ۖ دَفَّأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَىٰ ۖ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۖ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِمَّا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۖ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ بُجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۖ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ

من طريق المعنى ، لا من طريق اللفظ ، وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضى الزمان ضرورة ، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكانا على أنه ظرف زمان ، والتقدير موعدا كائنا في مكان وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد ، أو بفعل من معناه ، ويطابقه قوله يوم الزينة على حذف مضاف تقديره موعدكم وعد يوم الزينة ، وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف (مكانا سوى) معناه مستوى في القرب منا ومنكم ، وقيل معناه مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع ، وقرئ بكسر السين وضمها ، والمعنى متفق (يوم الزينة) يوم عيد لهم وقيل يوم عاشوراء (وأن يحشر) عطف على الزينة ، فهو في موضع خفض أو على اليوم فهو في موضع رفع وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤس الأشهاد لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس (فيسحطكم) معناه يهلككم ، يقال سحط وأسحط ، وقد قرئ بفتح الياء وضمها ، والمعنى متفق (قالوا إن هذان لساحران) قرئ إن هذين بالياء ولا إشكال في ذلك ، وقرئ بتخفيف إن وهى مخففة من الثقيلة ، وارتفع بعدها هذان بالابتداء ، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان ، فقليل إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب ، ومنه ما روى في الحديث أن الحمد لله بالرفع ، وقيل اسم إن ضمير الأمر والشأن تقديره إن الأمر ، وهذان لساحران مبتدأ وخبر في موضع خبر إن ، وقيل جاء القرآن في هذه الآية ببلغة بنى الحارث بن كعب وهو إبقاء التثنية بالآلاف مال النصب والخفض ، وقالت عائشة رضى الله عنها هذا مما لحن فيه كتاب المصحف (ويذهب بطريقكم المثل) أى يذهب بسيرتكم الحسنة (فأجمعوا كيدكم) أى اعزموا وأنفذوه (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) استدل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخيل لاحقيقة ، وقال بعضهم إن حيلة السحرة في سعى الحبال والعصى هي أنهم حشوها بالزئبق ، وأوقدوا تحتها نارا وغطوا النار لئلا يراها الناس ، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم ، وقيل جعلوها للشمس ، فلما أحس الزئبق بجر النار أو الشمس سال ، وهو في حشو الحبال والعصى فحملها فتخيل للناس أنها تمشي فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا فابتلعها (إمما صنعوا كيد

فَلَا تَقْلَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَنَ أَيْنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ قَالُوا  
لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ  
إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا  
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۚ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۚ  
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۚ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ  
أَسْرَ بَعَادَىٰ فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۚ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ  
مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ ۚ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۚ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْبَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ  
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ۚ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ  
عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۚ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۚ  
وَمَا أَجْعَلُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ۚ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ آثَرِي وَجَعَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۚ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا

ساحر) ما هنا موصولة وهي اسم إن وكيد خبرها (آمننا برب هارون وموسى) قدم هارون لتعادل رؤس  
الآي (من خلاف) أى قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (والذى فطرنا) معطوف على ما جاءنا من البينات ،  
وقيل هى واو القسم (هذه الحياة) نصب على الظرفية أى إنما قضائك فى هذه الدنيا (إنه من يأتى ربه  
بجرما) قيل إن هنا وما بعده من كلام السحرة لفرعون على وجه الموعظة ، وقيل هو من كلام الله (أن أسر  
بعبادى) يعنى بنى إسرائيل ، وأضافهم إلى نفسه تشريفا لهم ، وكانوا فيما قيل ستمائة ألف (يبسا) أى يابسا ،  
وهو مصدر وصف به (لا تخاف دركا ولا تخشى) أى لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه ، ولا تخشى  
الغرق فى البحر (ماغشيههم) إبهام لقصد التحويل (وما هدى) إن قيل إن قوله وأضل فرعون قومه يغنى عن  
قوله وما هدى ، فالجواب أنه مبالغة وتأكيد ، وقال الزمخشري هو تهكم بفرعون فى قوله . وما أهدىكم إلا سبيلا  
الرشاد (يبنى إسرائيل) خطاب لهم بعد خروجهم من البحر ، وإغراق فرعون ، وقيل هو خطاب لمن كان  
منهم فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاول أظهر (وواعدناكم جانب الطور الايمن) لما أهلك  
الله فرعون وجنوده أمر موسى وبنى إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه ربه ، والطور هو  
الجبل ، واختلف هل هذا الطور هو الذى رأى فيه موسى النار فى أول نبوته ، أو هو غيره (ونزلنا عليكم المن  
والسلوى) ذكر فى البقرة (فقد هوى) أى هلك ، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفلى (وإنى لغفار لمن  
تاب) المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد والمغفرة للمؤمن الذى لم يتب فى مشيئة الله عند أهل السنة ، وقالت  
المعتزلة لا يغفر إلا لمن تاب (ثم اهتدى) أى استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح ، ويحتمل  
أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله فى قلب من تاب وآمن وعمل صالحا ، (وما أجعلك عن

قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۖ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ۚ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۖ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُهُمْ وَإِنَّهُ لَمُوسَىٰ فَنَسِيَ ۚ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ

قومك يا موسى) قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما أسره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله ، وطلباً لرضاه ، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده ، واستخلف عليهم أخاه هارون ، فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل ، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى : ما أعجلك عن قومك ، وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى بأنهم بأتون على أثره فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل ، وقيل سأله على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرين : أحدهما أن قومه على أثره : أى قريب منه ، فلم يتقدم عليهم بكثير فيوجب العتاب ، والثاني أنه إنما تقدم طلباً لرضا الله (وأضلهم السامري) كان السامري رجلاً من بني إسرائيل يقال إنه ابن خال موسى ، وقيل لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة ، وكان ساحراً منافقاً (فرجع موسى إلى قومه) يعنى رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يوماً التي كلمه الله فيها (أسفا) ذكر في الأعراف (ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) يعنى ما وعدهم من الوصول إلى الطور (أفطال عليكم العهد) يعنى المدة وهذا الكلام توبيخ لهم (بملكنا) قرئ بالفتح والضم والكسر ، ومعناه ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا ، ولكن غلبنا بكيد السامري فيحتمل أنهم اعتذروا بقلّة قدرتهم وطاقتهم ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم ، واعتذروا بقلّة ملكهم لأنفسهم في النظر وعدم توفيقهم للرأى السديد ، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر (حملنا أوزاراً من زينة القوم) الأوزار هنا الأحمال سميت أوزاراً لثقلها ، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أى الذنوب وزينة القوم هى حلى القبط قوم فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم ، وقيل أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامري : اجمعوا هذا الحلي في حفرة حتى يحكم الله فيه ، ففعلوا ذلك وأوقد السامري ناراً على الحلي وصاغ منه عجلاً وقيل بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامري ، ولذلك قال لموسى قد فتنا قومك من بعدك (فقدفناها) أى قدفنا أحمال الحلي في الحفرة (فكذلك ألقى السامري) كان السامري قد رأى جبريل عليه السلام ، فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء مواتاً صار حيواناً فألقاها على العجل فخار العجل أى صاح صياح العجول . فالمعنى أنهم قالوا كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري قبضة التراب (جسداً) أى جسماً بلا روح ، والخوار صوت البقر (فقالوا هذا إلهكم) أى قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض (فنسى) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من كلام بني إسرائيل والفاعل موسى : أى نسى موسى إلهه هنا ، وذهب يطلبه في الطور ، والنسيان على هذا بمعنى الذهول ، والوجه الثاني : أن يكون من كلام الله تعالى ، والفاعل على هذا السامري : أى نسي دينه وطريق الحق ، والنسيان على هذا المعنى : الترك (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً) معناه لا يرد عليهم كلاماً إذا

لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۖ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُومِ إِلَهُكُمْ بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبَعُونِي  
وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۖ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۖ قَالَ يَأْهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ  
ضَلُّوا ۖ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۖ قَالَ يَبْتُؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ  
بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۖ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۖ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ  
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۖ قَالَ فَاهْذَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ  
لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ

كلوه وذلك رد عليهم في دعوى الربوبية له ، وقرئ يرجع بالرفع ، وأن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب وهي  
مصدرية (قال ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) لازائدة للتأكيد ، والمعنى مامنعك أن تتبعني في  
المشي إلى الطور ، أو تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتلهم بمن لم يعبد (قال يا ابن أم) ذكر  
في الأعراف (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه لما وجد بني إسرائيل  
قد عبدوا العجل (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) أي لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبد  
لقلت فرقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم ، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعني في الزجر والقتال ولو  
اتبعتك في المشي إلى الطور لا تتبعني بعضهم دون بعض فترقت جماعتهم وهذا على أن يكون معنى تتبعني في المشي  
إلى الطور (ولم ترقب قولي) يعني قوله له : اخلفني في قومي وأصلح (قال فما خطبك يا سامري) أي قال موسى  
ماشأناك ولفظ الخطب يقتضي الانتهاز ، لأنه يستعمل في المكاره (قال بصرت بما لم يبصروا به) أي رأيت  
مالم يروه يعني جبريل عليه السلام وفرسه (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي قبضت قبضة من تراب من  
أثر فرس الرسول وهو جبريل ، وقرأ ابن مسعود : من أثر فرس الرسول ، وإنما سمي جبريل بالرسول ،  
لأن الله أرسله إلى موسى ، والقبضة مصدر قبض ، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر  
كضرب الأجير ، ويقال قبض بالصاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه ، وبالصاد المهملة : إذا أخذ بأطراف الأصابع  
وقد قرئ كذلك في الشاذ (فنبذتها) أي ألقيتها على الحلى ، فصار عجلا أو على العجل فصار له خوار  
(فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس) عاقب موسى عليه السلام السامري بأن منع الناس من مخالطته  
وبجاسته ومواقفته ، ومكاملته وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لا مساس : أي لا ماسة ولا إذابة ،  
وروى أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحلي له والذي مسه فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون  
عنه (وإن لك موعدا) يعني العذاب في الآخرة وهذا تهديد ووعيد (ظالت) أصله ظلت ، حذفت إحدى اللامين  
والأصل في معنى ظل : أقام بالنهار ، ثم استعمل في الدأب على الشيء ليلا ونهاراً (لنحرقنه) من الإحراق  
بالنار ، وقرئ بفتح النون وضم الراء بمعنى نرده بالمبرد ، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا  
المعنى ، لأن الذهب لا يقنى بالإحراق بالنار ، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته ،  
فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك (ثم لننسفن في اليم نسفا) أي نلقيه في البحر ، والنسف تفريق الغبار ونحوه

نَسْفًا ، إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا \* كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا \* مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا \* خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا \* يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجُحْرَ مِنْ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا \* يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا \* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا \* وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا \* فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا \* لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا \* يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا \* يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا \* وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

(إنما إلهكم الله) الآية : من كلام موسى لبنى إسرائيل (كذلك نقص عليك) مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وأنباء ما قد سبق : أخبار المتقدمين (ذكرنا) يعنى القرآن (من أعرض عنه) يعنى إعراض تكذيب به (وزرا) الوزر فى اللغة الثقل ، ويعنى هنا العذاب لقوله « خالدين فيه » ، والذنوب لأنها سبب العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) شبه الوزر بالحمل لثقله ، قال الزمخشري ساء تجرى تجرى بئس ، ففاعلها مضمر يفسره حملا ، وقال غيره فاعلها مضمر يعود على الوزر (يوم ينفخ فى الصور) أى ينفخ الملك فى القرن ، وقرئ تنفخ بالنون أى بأمرنا (زرقا) أى زرق الألوان كالسواد ، وقيل زرق العيون من العمى (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) أى يقول بعضهم لبعض فى السر إن لبثتم فى الدنيا إلا عشر ليال وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا ، وقيل يعنون لبثهم فى القبور (يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) أى يقول أعليهم بالأمور ، فالإضافة إليهم إن لبثتم إلا يوما واحدا فاستقل المدة أشد عما استقلها غيره (ينسفها ربى) أى يجعلها كالغبار ثم يفرقها (فيذرها قاعا صفصفا) الضمير فى يذرها للجبال ، والمراد موضعها من الأرض ، والقاع الصفصف : المستوى من الأرض الذى لا ارتفاع فيه (لا ترى فيها عوجا) المعروف فى اللغة أن العوج بالكسر فى المعانى ، وبالفتح فى الأشخاص والأرض شخص ، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح ، وإنما قاله بالكسر مبالغة فى نفيه ، فإن الذى فى المعانى أدق من الذى فى الأشخاص ، فنفاه ليكون غاية فى نفي العوج من كل وجه (ولأمتنا) الأمت : هو الارتفاع اليسير (يتبعون الداعى) يعنى الذى يدعو الخلق إلى الحشر (لا عوج له) أى لا يعوج أحد عن اتباعه والمشى نحو صوته ، أو لا عوج لدعوته لأنها حق (همسا) هو الصوت الخفى (لا تنفع الشفاعة إلا من) أذن له الرحمن) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا ، ومن فى موضع نصب بتنفع ، وهى واقعة على المشفوع له ، فالمعنى لا تنفع الشفاعة أحد إلا من أذن له الرحمن فى أن يشفع له ، وأن يكون الاستثناء منقطعا ومن واقعة على الشافع ، والمعنى لكن من أذن له الرحمن يشفع (ورضى له قولا) إن أريد بمن أذن له الرحمن المشفوع فيه ، فاللام فى له بمعنى لأجله ، أى رضى قول الشافع لأجل المشفوع فيه ، وإن أريد الشافع فالمعنى رضى له قوله فى الشفاعة (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضميران



ظُلُمًا \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا \* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا \* وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا \* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى \* وَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى \* إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى \* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى \* فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَسَّادُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَازِلٍ \* فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى \* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى \* قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُنَّ فُتُورٌ فَأَتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ

لجميع الخلق ، والمعنى ذكر في آية الكرسي (ولا يحيطون به علما) قيل المعنى لا يحيطون بمعلوماته كقوله ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، والصحيح عندى أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولو أراد المعنى الأول لقال ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى إلا بما شاء هناك ولم يستثن هنا (وعنت الوجوه) أى ذلت يوم القيامة (ولا هضمًا) أى بخسا ونقصا لحسناته (أو يحدث لهم ذكرا) أى تذكر ، وقيل شرفا وهو هنا بعيد (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أى إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه واصر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت فالآية : كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ، وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين ، فأمر بأن يتأني حتى تفسر له المعاني ، والأول أشهر (عهدنا إلى آدم) أى وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (ففسى) يحتمل أن يكون النسيان الذى هو ضد الذكر ، فيكون ذلك عذرا لآدم أو يريد الترك ، وقال ابن عطية : ولا يمكن غيره ، لأن الناسى لا عقاب عليه ، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس في البقرة (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أى لا تطيعاه فيخرجنكما من الجنة فجعل المسبب موضع السبب وخص آدم بقوله فتشقى لأنه كان المخاطب أولا ، والمقصود بالكلام ، وقيل لأن الشقاء في معيشة الدنيا يختص بالرجال (لا تظما فيها ولا تضحى) الظما هو العطش ، والضحى هو البروز للشمس (يخصفان) ذكر في الأعراف وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في البقرة (اهبطا) خطاب لآدم وحواء (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليهما ما الزائدة وجوابها فمن اتبع (فلا يضل ولا يشقى) أى لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (معيشة ضنكا) أى ضيقة ، فقيل إن ذلك في الدنيا ، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وإن كان واسع الحال ، وقد قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه ، وقيل إن ذلك في البرزخ ، وقيل في جهنم بأكل الزقوم ، وهذا

حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۖ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۖ وَكَذَلِكَ  
تَجْزَى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۖ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ  
مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْأَلَتِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِأُولِي النُّهَى ۖ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ  
لِرِزَامَا وَاجِلٌ مَّسْمًى ۖ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ  
الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۖ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ

ضعيف لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى يعنى أعمى البصر  
(فنسيها وكذلك اليوم تنسى) من البرك لا من الذهول (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى عذاب جهنم أشد  
وأبقى من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى (أفلم يهد لهم) معناه أفلم يتبين لهم ، والضمير لقريش والفاعل يهد  
مقدر تقديره أولم يهد لهم الهدى أو الأمر ، وقال الزمخشري الفاعل الجملة التى بعده ، وقيل الفاعل ضمير الله  
عز وجل ، ويدل عليه قراءة أفلم نهد بالنون ، وقال الكوفيون الفاعل كم (يمشون فى مساكنهم) يريد أن قريشا  
يمشون فى مساكن عاد وثمود ، ويعاينون آثار هلاكهم (لأولى النهى) أى ذوى العقول (ولولا كلمة سبقت  
من ربك لكان لزاما) الكلمة هنا القضاء السابق ، والمعنى لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب  
لزاما : أى واقعا بهم (وأجل مسمى) معطوف على كلمة : أى لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب  
لزاما وإنما أحره لتعتدل رؤس الآى ، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر ، وبذلك ورد تفسيره فى البخارى ،  
وقيل المراد به أجل الموت ، وقيل القيامة (وسبح) يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة ، أو قول سبحان الله وهو  
ظاهر اللفظ (بحمد ربك) فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح ، ويحتمل أن يكون  
المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك فيكون أمرا بالجمع بين قوله سبحان الله وقوله الحمد لله ، وقد قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسبحان الله والحمد لله تملأن ما بين السماء والأرض (قبل طلوع الشمس وقبل  
غروبها) إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح : الصلاة ، فالتى قبل طلوع الشمس الصبح ،  
والتى قبل غروبها الظهر والعصر ، ومن آناء الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح ، وكرر  
الصبح فى ذلك تأكيداً للأمر بها ، وسمى الطرفين أطرافاً لحدو جهين : إما على نحو فقد صغت قلوبكما ، وإما أن  
يجعل النهار للجنس ، فلكل يوم طرف ، وآناء الليل ساعاته ، واحداها إني (ولامتدنت عينيك) ذكر فى الحجر  
وعد العينين هو تطويل النظر فى ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه (زهرة الحياة الدنيا) شبه  
نعم الدنيا بالزهر وهو التوار ، لأن الزهر له منظر حسن ، ثم يذبل ويضمحل ، وفى نصب زهرة خمسة أوجه  
أن ينصب بفعل مضمر على الذم ، أو يضمن متعنا معنى أعطينا ، ويكون زهرة مفعولا ثانيا له ، أو يكون بدلا  
من موضع الجار والمجرور أو يكون بدلا من أزواجا على تقدير ذوى زهرة أو ينصب على الحال (لنفتنهم  
فيه) أى لنختبرهم (لانسأك رزقا) أى لانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن

نَزَّلُكَ وَالْعَقَبَةُ لِلتَّقْوَى \* وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَافِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى \* قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى \*

## سورة الأنبياء

مكية وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ \* مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُعَدِّدٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ \* لَأَهْلِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ أَنْتُمْ تَبْصُرُونَ \* قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بَلْ قَالُوا

نَزَّلُكَ ، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمركم الله ، ويتلو هذه الآية (أولم تأتتهم بيعة مافي الصحف الأولى) البيعة هنا البرهان ، والصحف الأولى هي التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ، والضمير في قالوا وفي أولم تأتتهم لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت : أجاهم الله بهذا الجواب ، والمعنى قد جاءكم برهان مافي التوراة والإنجيل من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا شيء تطالبون آية أخرى ، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص مافي الصحف الأولى ، فذلك بيعة وبرهان على أنه من عند الله (ولو أنما أهلكتناهم بعذاب من قبله) الآية : معناها لو أهلكتنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لاحتجوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا ، ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه صلى الله عليه وسلم (قل كل متربص) أى قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر (قتربصوا) تهديد (الصراط السوي) المستقيم

## سورة الأنبياء عليهم السلام

(أقرب للناس حسابهم) الناس لفظ عام ، وقال ابن عباس : المراد به هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك ، لأنه من صفاتهم ، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب ، لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر ، باقى لها ولأن كل آت قريب (ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى بالذكر القرآن ، ومحدث : أى محدث النزول (وأسرأ النجوى الذين ظلموا) الواو فى أسروا ضمير فاعل يعود على ما قبله ، والذين ظلموا : بدل من الضمير ، وقيل إن الفاعل هو الذين ظلموا ، وجاء ذلك على لغة من قال أكلوني البراغيث ، وهى لغة بني الحارث بن كعب ، وقال سيوبه لم تأت هذه اللغة فى القرآن ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوباً بفعل مضمر على الهمزة أو خبر ابتداء مضمر ، والأول أحسن (هل هذا إلا بشر مثلكم) هذا الكلام فى موضع نصب بدل من النجوى ، لأنه هو الكلام الذى تناجوا به ، والبشر المذكور فى الآية هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قال ربى يعلم القول) إخبار بأنه ما تناجوا به على أنهم أسروه ، فإن قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسروا النجوى ؟ فالجواب : أن القول يشمل السر والجهر

أَضَعْتُ أَحْلَامِي بِلِ اقْتَرَبُهُ بَلِّ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بَيَّةٌ كَمَا أَرْسَلَ الْأَوَّلُونَ ۖ مَا آمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۚ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۚ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۚ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاءَتِهِمْ إِذَاهُمْ مِنْهَا يُرْكَضُونَ ۚ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنُكُمْ لِلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ۚ قَالُوا يَا بُولَنَاءَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ۚ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ۚ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَا لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ

فصل به ذكر السر وزيادة (بل قالوا أضغاث أحلام) أى أخلط منامات ، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم (كما أرسل الأولون) أى كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية فالتشبيه في الإتيان بالمعجزة (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها) لما قالوا فليأتنا بآية أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلوا الآيات فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا ، ثم قال (أفهم يؤمنون) أى أن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال من قبلهم ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهو لاء كذلك ولا يكون على هذا جوابا لقولهم فليأتنا بآية بل يكون إخبارا مستأنفا على وجه التهديد ؛ وأهلكناها في موضع الصفة لقرية ، والمراد أهل القرية (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا) رد على قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى أن الرسل المتقدمين رجالا من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا (أهل الذكر) يعنى أحبار أهل الكتاب (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) أى ما جعلنا الرسل أجسادا غير طاعينين ، ووجد الجسد لإرادة الجنس ، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد ، وفي الآية رد على قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام (ومن نشاء) يعنى المؤمنين (فيه ذكركم) أى شرفكم وقيل تذكيركم (قصمنا) أى أهلكنا ، وأصله من قصم الظهر أى كسره (من قرية) يريد أهل القرية ؛ قال ابن عباس : هى قرية باليمن يقال لها حضور بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل ، وظاهر اللفظ أنه على العموم لأن كم للتكثير ، فلا يريد قرية معينة (يركضون) عبارة عن فرارهم ، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجرى أو شبهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة (لا تركضوا) أى قيل لهم لا تركضوا والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم ، أو رجال بختصر إن كانت القرية المعينة قالوا ذلك لهم خداعا ليرجعوا فيقتلوه (أترقم) أى نعمتم (لعلكم تسألون) تهكم بهم وتوبيخ أى ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى عليكم ، ويحتمل أن يكون تسألون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم وهذا أيضاً تهكم (قالوا يا بولننا) الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم (حصيداً خامدين) شبهوا في هلاكهم بالزراع المحصود ، ومعنى خامدين : موتى وهو تشبيه بخمود النار (لاعبين) حال منفية أى ما خلقنا السموات

لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ \* بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ \* وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ \* أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ \* لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ \* لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ \* أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها ، والاستدلال على صانعها (لو أردنا أن نتخذ لهُواً لاتخذناه من لدنا) الله في لغة الين : الولد ، وقيل المرأة ، ومن لدنا : أى من الملائكة ، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ ولدأ لاتخذناه من الملائكة ، لا من بنى آدم ، فهو رد على من قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله ، والظاهر أن الله بمعنى اللعب لاتصاله بقوله لاعبين ، وقال الزمخشري المعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ لهُواً لكان ذلك في قدرتنا ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة ، وفي كلا القولين نظر (إن كنا فاعلين) يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها ، أو نافية ، والأول أظهر (بل نقذف بالحق على الباطل) الحق عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق ، والباطل عام في أضداد ذلك (فيدمغه) أى يقمعه ويبطله ، وأصله من إصابة الدماغ (ومن عنده) يعنى الملائكة (ولا يستحسرون) أى لا يعيرون ولا يملون (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أم هنا للإضراب عما قبلها ، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها من الأرض يتعلق ينشرون والمعنى أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرعون أن ينشروا الموتى من الأرض فليست بآلهة في الحقيقة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) هذا برهان على وحدانية الله تعالى ، والضمير في قوله فيهما للسموات والأرض ، وإلا الله صفة لآلهة ، وإلا بمعنى غير ، فاقضى الكلام أمرين أحدهما نفي كثرة الآلهة ، وجوب أن يكون الإله واحداً ، والأمر الثانى : أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره ، ودل على ذلك قوله إلا الله ، وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لولم تذكر هذه الكلمة ، وقال كثير من الناس في معنى الآية : إنها دليل على التمانع الذى أورده الأصوليون ، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه ، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال لأن النقيضين لا يجتمعان ، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما ، وذلك أيضاً محال ، لأن النقيضين لا يرتفعان معاً ، ولأن ذلك يؤدى إلى عجزهما وقصورهما ، فلا يكونان إلهين ، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر ، فالذى تنفذ إرادته هو الإله ، والذى لا تنفذ إرادته ليس بإله ، فالإله واحد . وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه ، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع ، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة ، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة ، ولا وليان لخطبة واحدة (لايسئل عما يفعل) لأنه مالك كل شيء والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ، ولأنه حكيم ، فأفعاله كلها جارية على الحكمة (وهم يسألون) لفقد العلتين (أم اتخذوا من دونه آلهة) كرر هذا الإنكار استعظاماً للشرك ومبالغة في تقييحه لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لامن جهة العقل ولا من جهة الشرع



هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۝ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝

(هاتوا برهانكم) تعجيز لهم وقد تكلمنا على هاتوا في البقرة (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) رد على المشركين والمعنى هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيها ما يقتضي الإشراك بالله ، بل كلها متفقة على التوحيد (وما أرسلنا) الآية : رد على المشركين ، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بلا إله إلا الله (عباد مكرمون) يعني الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض الكفار أنهم بنات الله ، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض البتة ، ووصفهم بالكرامة ، لأن ذلك هو الذي غر الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا (لا يسبقونه بالقول) أي لا يتكلمون حتى يتكلم هو تأديبا معه (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أي لمن ارتضى أن يشفع له ، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة في الآخرة أو في الدنيا وهي استغفارهم لمن في الأرض (مشفقون) أي خائفون (ومن يقل منهم) الآية على فرض أن لو قالوا ذلك ، ولكنهم لا يقولونه ، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين وقيل إن الذي قال إن إله هو إبليس لعنه الله (كانتا رتقا ففتقناهما) الرق مصدر وصف به ، ومعناه الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح ، والفتح الفتح فليل كانت السموات ملتصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء ، وقيل كانت السموات ملتصقة ببعض الأرض ففتقها الله سبعا سبعا والروبة في قوله أ ولم ير على هذا رؤية قلب ، وقيل فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات ، فالرؤية على هذا رؤية عين (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان ويعنى بالماء المنى وقيل الماء الذي يشرب لأنه سبب حياة الحيوان ، ويدخل في ذلك النبات باستعارة (رواسي) يعني الجبال (أن تميد) تقديره كراهية أن تميد (فججا) يعني الطرق الكبار ، وإعراجه عند الزخشرى حال من السبل ، لأنه صفة تقدمت على النكرة (لعلهم يهتدون) يعني في طرقهم وتصرفاتهم (سقفا محفوظا) أي حفظ من السقوط ومن الشياطين (عن آياتها معرضون) يعني الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك (كل في فلك يسبحون) التثنية في كل عوض عن الإضافة أي كلهم في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر دون الليل والنهار ، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح في الفلك فالجمله في موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفا ، فإن قيل : لفظ كل ويسبحون جمع ، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان ؟ فالجواب : أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهي كثيرة

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ \* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ \* وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَخَذُوا لَكُمُ الْآهْنَ أَهْلًا لِّذِي يَذْكُرُ الْهَتَمَ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ \* خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون \* وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ \* لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِ النَّارِ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ \* بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ \* وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ

قاله الزمخشري وقال القزويني: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وعبر عنهما بضمير الجماعة العقلاء في قوله يسبحون، لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال في ملك، وهي أفلاك كثيرة؟ فالجواب أنه أراد كل واحد يسبح في فلسكه، وذلك كقولهم: كساهم الأمير حلة أي كسا كل واحد منهم حلة، ومعنى الملك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين إنه من موج، وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يحرون، أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله كل في فلك من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) سببها أن الكفار طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بشر يموت، وقيل لأنهم تمنوا موته ليشتموا به، وهذا أنسب لما بعده (أفإن مت فهم الخالدون) موضع دخول الهمة فهم الخالدون وتقدمت لأن الاستفهام له صدر الكلام (كل نفس ذائقة الموت) أي كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة (ونبلوكم بالشَّرِّ والخَيْرِ) أي نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير، أو خلاف ذلك (فتنة) مصدر من معنى نبلوكم (أهذا الذي يذكر آلهتكم) أي يذكرهم بالذم دلت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بزم أو مدح، والجملة تفسير للهمزة أي يقولون أهذا الذي (وهم يذكرون الرحمن هم كافرون) الجملة في موضع الحال أي كيف ينكرون ذلك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق بالملامة، وقيل معنى يذكرون الرحمن تسميته بهذا الاسم، لأنهم أنكروها، والاول أغرق في ضلالهم (خلق الإنسان من عجل) خلق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة بالمبالغة: كقولهم خلق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها والعذاب الذي طلبوه، فذكر الله هذا توطئة لقوله فلا تستعجلون، وقيل المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم. وهذا ضعيف، وقيل من عجل: أي من طين، وهذا أضعف (سأريكم آياتي) وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل (ويقولون) الآية: تفسير لاستعجالهم (الوعد) القيامة وقيل نزول العذاب بهم (لويعلم) جواب لو محذوف (حين) مفعول به ليعلموا: أي لويعلدون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا (بل تأتيتهم) الضمير الفاعل للنار، وقيل للساعة (تبهتهم) أي تفجؤهم (ولا هم ينظرون) أي لا يؤخرون عن العذاب (ولقد استهزئ) الآية تسليية بالتأسي (فخاق) أي أحاط (من يكلؤكم) أي من

رَبِّهِمْ مُعْرَضُونَ \* أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّْا يُصْحَبُونَ \* بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ \* قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ \* وَلَكِنَّ مَسْئَلَهُمْ نَفْحَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوْمَلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ \* وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءَ وَذَكَرَ اللَّتَيْنِ \* الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ \* وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ

يحفظكم من أمر الله ، ومن استفهامية ، والمعنى تهديد ، وإقامة حجة ، لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لا عترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ ، ثم جاء قوله ( بل هم عن ذكر ربهم معرضون ) بمعنى أنهم إذا سئلوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه لأنهم يقوم عليهم الحجة إن أجابوا ، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله : أى عن الجواب الذى فيه ذكر الله ، وقال الزمخشري معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه ( أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ) أى تمنعهم من العذاب ، وأم هنا للاستفهام ، والمعنى الإنكار والنفي ، وذلك أنه لما سألهم عن يكلؤهم : أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله : لا يستطيعون نصر أنفسهم ، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره ( ولا هم منا يصحبون ) الضمير للكفار : أى لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ ( بل متعنا هؤلاء وآباءهم ) أى متعناهم بالنعم والعافية فى الدنيا فطفنوا بذلك ونسوا عقاب الله ، والإضراب بيل عن معنى الكلام المتقدم : أى لم يحملهم على الكفر والاستهزاء بنصر ولا حفظ ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم ( ننقصها من أطرافها ) ذكر فى الرعد ( ولا يسمع الصم الدعاء ) إشارة إلى الكفار ، والصم استعارة فى إفراط لإعراضهم ( نفحة ) أى خطرة وفيها تقليل العذاب ، والمعنى أنهم لورأوا أقل شيء من عذاب الله لاذعنوا واعترفوا بذنوبهم ( ونضع الموازين القسط ) أى العدل ، وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع ، لأنه مصدر وصف به كالعدل والرضا ، وعلى تقدير ذوات القسط ، ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال ، والخفة والنقل متعلقة بالأجسام ، إما صحف الأعمال ، أو ماشاء الله ، وقالت المعتزلة : إن الميزان عبارة عن العدل فى الجزاء ( ليوم القيامة ) ، وقال ابن عطية تقديره لحساب يوم القيامة ، أو الحكمة ، فهو على حذف مضاف وقال الزمخشري هو كقولك كتبت الكتاب لست خلون من الشهر ( مثقال حبة ) أى وزنها والرفع على أن كان تاما ، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمر ( الفرقان ) هنا التوراة ، وقيل التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة ( وهذا ذكر ) يعنى القرآن ( رشده ) أى إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك ( من قبل ) أى قبل موسى وهارون ، وقيل آتيناه رشده قبل النبوة ( وكنا به

التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ \* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ \* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ \* قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ \* وَتَاللَّهِ لَا كِيدَ إِلَّا أَصْنَامُكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ \* فَجَعَلَهُمْ جُذَاذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ \* قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ \* قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ \* قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ \* فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ \* ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ \* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا

عالمين) أى علبناه أنه يستحق ذلك (التماثيل) يعنى الاصنام وكانت على صور بنى آدم (وجدنا آباءنا) اعتراف بالتقليد من غير دليل (قالوا أجتنا بالحق) أى هل الذى تقول حق أم مزاح ، وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل ، وعن اللعب بالجملة الإسمية ، لأنه أثبت عندهم (فطرهن) أى خلقهن ، والضمير للسموات والأرض ، أو التماثيل ، وهذا أليق بالرد عليهم (بعد أن تولوا مدبرين) يعنى خروجهم إلى عيدهم (جذاذا) أى فتاتا ، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح ، وهو من الجذ بمعنى القطع (إلا كبيراً لهم) ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدموم فى يده (لعلهم إليه يرجعون) الضمير للصنم الكبير أى يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شئ ، وقيل الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أى يرجعون إليه فيبين لهم الحق (قالوا من فعل هذا) قبله محذوف تقديره فرجعوا من عيدهم فرأوا الاصنام مكسورة ، فقالوا من فعل هذا (فتى يذكركم) أى يذكركم بالذم وبقوله لا كيدن أصنامكم (يقال له إبراهيم) قيل إن إعراب إبراهيم منادى ، وقيل خبر ابتداء مضمر ، وقيل رفع على الإهمال ، والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله ، لأن المراد الاسم لا المسمى وهذا اختيار ابن عطية والزحشرى (لعلهم يشهدون) أى يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له (قال بل فعله كبيرهم) قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيته وإقامة الحجة عليهم ، كأنه يقول إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل ، وإن لم يقدر فليس بإله ولم يقصد الإخبار المحض ، لأنه كذب ، فإن قيل : فقد جاء فى الحديث إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات : أحدها قوله فعله كبيرهم ، فالجواب أن معنى ذلك أنه قال قولاً ظاهراً الكذب ، وإن كان القصد به معنى آخر ، ويدل على ذلك قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) لأنه أراد به أيضاً تبكيته وبيان ضلالهم (فرجعوا إلى أنفسهم) أى رجعوا إليها بالفكرة والنظر ، أو رجعوا إليها بالملامة (فقالوا إنكم أنتم الظالمون) أى الظالمون لأنفسكم فى عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شئ أو الظالمون لإبراهيم فى قولكم عنه إنه لمن الظالمين ، وفى تعنيفه على أعين الناس (ثم نكسوا على رؤوسهم) استعارة لانقلابهم برؤوسهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة (فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون ،

وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا هَٰ الْهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ۝ قُلْنَا يَبْنَارُ كُونِ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ۝ وَلُوطًا ۝ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ۝ آتَيْنَاهُ حُكْمًا

وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم ، وغاية المكابرة والمعادنة في جدالهم ، ويحتمل أن يكون نكسوا على رؤسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون : إعراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة ، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رؤسهم حقيقة : أى أطرقوا من الحجل لما قامت عليهم الحجة ( أف لكم ) تقدم الكلام على أف في الإسراء ( قالوا حرِّقوه ) لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم ( قلنا يانار كوني برداً وسلاماً ) أى ذات برد وسلام ، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة ، واختلاف كيف بردت النار ف قيل أزال الله عنها ما فيها من الحر ، والإحراق ، وقيل دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها ، وقيل خلق بينه وبينها حائلاً ، ومعنى السلام هنا السلامة ، وقد روى أنه لولم يقل سلاماً لهلك إبراهيم من البرد وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته ، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه ( إلى الأرض التي باركنا فيها ) هي الشام خرج إليها من العراق ، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها ( نافلة ) أى عطية ، والتفيل العطاء ، وقيل سماه نافلة : لأنه عطاء بغير سؤال ، فكانه تبرع ، وقبل الهبة لإسحاق ، والنافلة يعقوب ، لأنه سأل إسحاق بقوله هب لي من الصالحين فأعطى يعقوب زيادة على ما سأل ، واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى ، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول ( يهدون بأمرنا أى يرشدون الناس بإذننا ) ( ولوطاً ) قيل إنه انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناه والظاهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضاً ، وقيل بفعل مضمر تقديره اذكر ( آتيناه حكماً ) أى حكماً بين الناس : أو حكمة ( من القرية ) هي سدوم من أرض الشام ( وأدخلناه في رحمتنا ) أى في الجنة أوفى أهل رحمتنا ( نادى من قبل ) أى دعا قبل إبراهيم ولوط ( من الكرب ) يعنى من الغرق ( ونصرناه من القوم ) تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدى بمن ، أو تضمن معنى نجيته أو أجرناه ( وداود وسليمان ) كان داود نبياً ملكاً ، وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عاماً ( في الحرث ) قيل زرع ، وقيل كرم ، والحرث يقال فيها ( إذ نفشت ) رعت فيه بالليل



وَعَلِمَا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۖ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۚ وَلِسْلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ

(لحكمهم) الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين ، وقيل لداود وسليمان خاصة ، على أن يكون أقل الجمع اثنان (ففهمناها سليمان) تخاصم إلى دواود رجلا دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم ، ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب ، فأخبراهما بما حكم به أبوه ، فدخل عليه فقال يابني الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع ، قال وما هو ؟ قال يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان ، ويأخذ صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها وفلسها ، فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها ، والأرض بزرعها إلى ربها ، فقال له داود : وفقت يابني ، وقضى بينهما بذلك ، ووجه حكم سليمان أنه جعل الارتفاع بالغنم يازا ، ما فات من الزرع ، وواجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان ، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لاحكما ، واختلف الناس هل كان حكمهما بوحى أو اجتهدا فن قال كان باجتهدا أجاز الاجتهاد الأنبياء ، وروى أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه ، وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء ، وعلى القول بالجواز اختلف ، هل وقع أم لا ؟ وظاهر قوله فهمناها سليمان : أنه كان باجتهدا نخص الله به سليمان ففهم القضية ، ومن قال كان بوحى جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود ، وأما حكم إفساد المواشى الزرع في شرعنا ، فقال مالك والشافعي : يضمن أرباب المواشى ما أفسدت بالليل دون النهار للحديث الوارد في ذلك ، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان ، لأن النفس لا يكون إلا بالليل ، وقال أبو حنيفة : لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار ، لقوله صلى الله عليه وسلم : العجاء جرحها جبار (وكلا آتيناه حكما وعلما) قيل يعني في هذه النازلة ، وأن داود لم يخطئ فيها ، ولكنه رجع إلى ما هو أرجح ، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب ، وقيل بل يعني حكما وعلما في غير هذه النازلة ، وعلى هذا القول فإنه أخطأ فيها ، وأن المصيب واحد من المجتهدين (وسخرا مع داود الجبال يسبحن والطير) كان هذا التسبيح قول سبحان الله ، وقيل الصلاة معه إذا صلى ، وقدم الجبال على الطير ، لأن تسبيحها أغرب إذ هي جماد (وكنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل هذا ، وقال ابن عطية : معناه كان ذلك في حقه لأجل أن داود استوجب ذلك مناصفة (صنعة لبوس) يعنى دروع الحديد ، وأول من صنعها داود عليه السلام ، وقال ابن عطية اللبوس فى اللغة السلاح وقال الزمخشري اللبوس اللباس (لتحصنكم من بأسكم) أى لتقيكم فى القتال وقرئ بالياء والياء والنون ، فالنون لله تعالى ، والياء للصنعة ، والياء لداود أول اللبوس (فهل أتم شاكرون) لفظ استفهام ومعناه استدعاء إلى الشكر (ولسليمان الريح عاصفة) عطف الريح على الجبال ، والعاصفة هى الشديدة فإن قيل : كيف يقال عاصفة وقال فى صرخاء أى لينة ؟ فالجواب : أنها كانت فى نفسها لينة طيبة ، وكانت تسرع فى جريها كالعاصف فجمعت الوصفين وقيل كانت رخاء فى ذهابه ، وعاصفة فى رجوعه إلى وطنه ، لأن عادة المسافرين الإسراع فى الرجوع ؛ وقيل كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته (إلى الأرض التى باركنا فيها) يعنى أرض الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه نخص فى الآية الرجوع إليها لأنه يدل على الانتقال منها (يغرسون له) أى

عَالَمِينَ ۖ وَمَنْ الشَّيْطَانُ مَنْ يَغْوُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ۖ وَيُوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ الْعَبِيدِينَ ۖ وَاسْمِعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ۖ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضًى فَلَمْ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَذَكَرَىٰ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي ۖ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ

يدخلون في الماء ليستخرجوا له الجواهر من البحار (عملا دون ذلك) أقل من الغوص كالبنيان والخدمة (وكنالهم حافظين) أى نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه، وقيل معناه عالمين بعددهم (وأيوب إذ نادى ربه) كان أيوب عليه السلام نبيا من الروم، وقيل من بني إسرائيل، وكان له أولاد ورجال كثير فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك الأولاد فصبر، ثم ساءت البلاء<sup>(١)</sup> على جسمه فصبر إلى أن مر به قومه فشمتهوا به، فحينئذ دعا الله تعالى، على أن قوله مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ليس تصريحاً بالدعاء، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ووصف ربه بغاية الرحمة أرحمه، فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب (فكشفتنا ما به من ضر) لما استجاب الله له أنبع له عيناه من ماء فشر به منه واغتسل فبرئ من المرض والبلاء (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى أن الله أحيأ أولاده الموتى ورزقهم مثلهم معهم في الدنيا وقيل في الآخرة، وقيل ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ومثلهم معهم، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله (رحمة من عندنا) أى رحمة لا يوب، وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معال للعبدين (وذا الكفل) قيل هو إلياس وقيل زكريا، وقيل نبي بعث إلى رجل واحد، وقيل رجل صالح غير نبي، وسمى ذا الكفل: أى إذا الحظ من الله وقيل لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده (وذا النون) هو يونس عليه السلام، والنون هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه (إذ ذهب مغاضبا) أى مغاضبا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله ولا تكن كصاحب الحوت، ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه (فظن أن لن نقدر عليه) أى ظن أن نضيق عليه، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه، وقيل هو من القدر والقضاء: أى ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة، ولا يصح قول من قال إنه من القدرة (فنادى في الظلمات) قيل هذا الكلام محذوف لبيان في غير هذه الآية، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمى في البحر فالتقمه الحوت فنادى في الظلمات، وهى ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته كقوله وتركهم في ظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن، والظلم الذى اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم (ونجينا من الغم) يعنى من بطن الحوت وإخراجه إلى البر (وكذلك ننجي المؤمنين) يحتمل أن يكون مطلقا أو لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة أخى يونس ذى النون مادعا بهامسكروب إلا استجيب له (لا تذرني

(١) المراد بالبلاء المرض الذى أصابه وهو مرض باطنى لا تنفر منه الطباع البشرية لعصاة الأنبياء من ذلك

لَهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ \* وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَمَعْنَاهَا وَابْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ \* إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون \* وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ \* فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ \* وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ \* وَقَبِئَ الرُّوحُ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُونَ لَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ \* إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَتُمْ لَهَا وَارِدُونَ \* لَوْ كَانَ هَذَا لَوْلَا إِلَهًا

فرداً) أى بلا ولد ولا وارث (وأنت خير الوارثين) إن لم ترزقنى وارثاً فأنت خير الوارثين ، فهو استسلام لله (وأصلحنا له زوجه) يعنى ولدت بعد أن كانت عقيماً ، واسم زوجته أسيىاع ، قاله السهيلي (يسارعون في الخيرات) والضمير الأنبياء المذكورين (رغباً ورهباً) الرغب الرجاء ، والرهب الخوف ، وقيل الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي ، والرهب أن ترفع ظهورها (والتي أحصنت فرجها) هى مريم بنت عمران ومعنى أحصنت من العفة أى أعفته عن الحرام والحلال ، كقولها لم يمسنى بشر (ففنخنا فيها من روحنا) أى أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها ، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره والروح هنا هو الذى في الجسد ، وأضاف الله الروح إلى نفسه للترشيف أو للملك (آية) أى دلالة ، ولذلك لم يثن (إن هذه أمتكم) أى ملتكم أمة واحدة ، وهو خطاب للناس كافة ، أو للمعاصرين لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أى إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين ، لأن جميع الأنبياء متفقون في أصول العقائد (فتقطعوا أمرهم) أى اختلفوا فيه ، وهو استعارة من جعل الشيء قطعاً ، والضمير للمخاطبين ، قيل فالأصل تقطعتم (فلا كفران لسعيه) (وإننا له كاتبون) أى نكتب عمله في صحيفته (وحرام على قرية أهلكنها أنهم لا يرجعون) قرئ حرام بكسر الحاء وهو بمعنى حرام ، واختلف في معنى الآية ، فقيل حرام بمعنى تمتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة ، أو تمتنع على قرية أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا ، ولا زائدة في الوجهين ، وقيل حرام بمعنى حتم واقع لا محالة ، ويتصور فيه الوجهان ، وتكون لا نافية فيهما أى حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا وقيل المعنى تمتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة ، ولا على هذا نافية أيضاً ، ففيه رد على من أنكر البعث (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بيرجعون ، وجواب إذا : فإذا هى شاخصة ، وقيل الجواب يؤولنا لأن تقديره يقولون يؤولنا ، وفتحت يأجوج ومأجوج أى فتح سدها فغذى المضاعف (وهم من كل حدب ينسلون) الحدب المرتفع من الأرض ، وينسلون : أى يسرعون ، والضمير ليأجوج ومأجوج : أى يخرجون من كل طريق لكثرتهم ، وقيل لجميع الناس (الوعد الحق) يعنى القيامة (فإذا هى شاخصة) إذا هنا للمفاجأة ، والضمير عند سيديوه ضمير القصة ، وعند الفراء ، للأبصار ، وشاخصة من الشخوص وهو إحداد النظر من الخوف (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب

مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ \* لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ، إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ \* لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَبِهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ، لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ \* يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ \* وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ \* إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَلِيدِينَ \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ \* قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا

جهنم) هذا خطاب للشركيين ، والحصب : ما توقد به النار : كالخطب وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه « حطب جهنم ، والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توييخا لم عبدها (واردون) الورود هنا الدخول (زفير) ذكر في هود (لا يسمعون) قيل يجعلون في ترايت من نار فلا يسمعون شيئا ، وقيل يصمهم الله كما يصمهم (إن الذين سبقت لهم من الحسنی) سبقت أي قضيت في الأزل ، والحسنی السعادة ، ونزلت الآية لما اعترض ابن الزبيري على قوله : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، فقال إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا ، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد ، واللفظ مع ذلك على عمومته في كل من سبقته السعادة (حسيسها) أي صوتها (الفرع الأكبر) أهوال القيامة على الجملة ، وقيل ذبح الموت وقيل النفخة الأولى في الصور لقوله ففرع من السموات ومن في الأرض (كطي السجل للكتب) السجل الصحيفة والكتاب مصدر : أي كما يطوى السجل ليكتب فيه ، أو ليصان الكتاب الذي فيه ، وقيل السجل رجل كاتب وهذا ضعيف ، وقيل هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال ، وهذا أيضا ضعيف (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما قدرنا على البدأة نقرر على الإعادة ، فهو كقوله قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وقيل المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأناهم كما جاء في الحديث : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده ، والكاف متعلقة بقوله نعيده (فاعلين) تأكيداً لوقوع البعث (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) في الزبور هنا قولان : أحدهما أنه كتاب داود ، والذكر هنا على هذا التوراة التي أنزل الله على موسى ، وما في الزبور من ذكر الله تعالى ، والقول الثاني أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء ، والذكر على هذا هو اللوح المحفوظ : أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرده بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها ، والأول أرجح ، لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالاً ، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالة على الجمع ، ولأن النص قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ، وقيل الأرض المقدسة ، وقيل أرض الجنة ، والأول أظهر ، والعباد الصالحون : أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ففي الآية ثناء عليهم ، وإخبار بظهور غيب مصداقه في الوجود إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) هذا خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه تشريف عظيم ، واتصّب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول ،

إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ \* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ \* مَا تُوْعَدُونَ \* إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ \* وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ \* قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ \*

## سورة الحج

مدينة إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّ تَذَهُلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ

والمعنى على هذا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة ، ويحتمل أن يكون مصدرا في موضع الحال من ضمير الماعل تقديره : أرسلناك راحمين للعالمين ، أو يكون مفعولا من أجله ، والمعنى على كل وجه : أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة العظمى ، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى ، وعليهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة ، فإن قيل : رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به فالجواب من وجهين : أحدهما أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم ، والآخر أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك ( آذنتكم على سواء ) أى أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر ( وإن أدرى أقرب أم بعيد ما توعدون ) إن هنا وفي الموضع الآخر نافية ، وأدرى فعل علق عن معموله لأنه من أفعال القلوب وما بعده في موضع المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه ، والهمزة في قوله أقرب للتسوية لا لمجرد الاستفهام ، وقيل يوقف على إن أدرى في الموضعين ، ويتبدأ بمابعده ، وهذا خطأ لأنه يطلب ما بعده ( لعله فتنة ) الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم ( ومتاع إلى حين ) أى الموت أو القيامة ( المستعان على ما تصفون ) أى أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب

## سورة الحج

( اتقوا ربكم ) تكلمنا على التقوى في أول البقرة ( إن زلزلة الساعة ) أى شدتها وهو لها كقوله وزلزلوا ، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله إذا زلزلت الأرض زلزالها ، والجملة تعليل للأمر بالتقوى ، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدى القيامة ، أو بعد أن تقوم القيامة ، والارجح أن ذلك قبل القيامة ، لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضة ووضع الحامل لا بعد القيامة ( يوم ترونها ) العامل في الظرف تذهل ، والضمير للزلزلة ، وقيل الساعة ، وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها ( تذهل ) الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة ( مرضعة ) إنما لم يقل مرضع ، لأن المرضعة هى التى



اللَّهُ شَدِيدٌ • وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ • كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ فَانَّهُ  
يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ • يَسْأَلُهَا النَّاسُ أَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ  
نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنَقَرُوا فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ  
نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ  
شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ • ذَلِكَ بَانَ

في حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبى ، والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تبشر الإرضاع فى حال وصفها  
به ، فقال مرضعة ليكون ذلك أعظم فى الذهول إذ تززع ثديها من فم الصبى حينئذ ( وترى الناس سكارى )  
تشبيهه بالسكارى من شدة الغم ( وما هم بسكارى ) نفى الحقيقة السكر ، وقرئ سكرى والمعنى  
متفق ( ومن الناس من يجادل فى الله ) نزلت فى النضر بن الحارث ، وقيل فى أبى جهل ، وهى تتناول  
كل من اتصف بذلك ( شيطان مرید ) أى شديد الإغواء ، ويحتمل أن يريد شيطان الجن أو الإنس ( كتب )  
تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب ، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك كتب الله أنه فى موضع المفعول  
الذى لم يسم فاعله وفى أنه عطف عليه وقيل تأكيد ( من تولاه ) أى تبعه أو اتخذه وليا ، والضمير فى عليه  
وفى أنه فى الموضوعين وفى تولاه للشيطان ، وفى يضلّه ، ويهديه للمتولى له ، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر  
أولا لمن يجادل ( يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث ) الآية : معناها إن شككتم فى البعث الأخرى  
فرواى ذلك الشك أن تظروا فى ابتداء خلقكم فتعلموا أن الذى قدر على أن خلقكم أول مرة : قادر على  
أن يعيدكم ثانى مرة ، وأن الذى قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها : قادر على أن يخرجكم من  
قبوركم ( خلقناكم من تراب ) إشارة إلى خالق آدم ، وأسند ذلك إلى الناس لأنهم من ذريته وهو أصلهم ( من  
علقة ) العلقه قطعة من دم جامدة ( من مضغة ) أى قطعة من لحم ( مخلقة ) المخلقة التامة الخلقه ، وغير المخلقة الغير  
التامة : كالسقط ، وقيل المخلقة المسواة السالمة من النقصان ( لنبيين لكم ) اللام تتعلق بمحذوف تقديره ذكرنا  
ذلك لنبيين لكم قدرتنا على البعث ( ونقر ) فعل مسأنف ( إلى أجل مسمى ) يعنى وقت وضع الحمل وهو مختلف  
وأقله ست أشهر إلى ما فوق ذلك ( نخرجكم طفلا ) أفردته لأنه أراد الجنس ، أو أراد نخرج كل واحد منكم  
طفلا ( لتبلغوا أشدكم ) هو كمال القوة والعقل والتمييز ، وقد اختلف فيه من ثمانى عشرة سنة إلى خمس وأربعين  
( أرذل العمر ) ذكر فى النحل ( هامة ) يعنى لانبات فيها ( اهتزت ) تحركت بالنبات وتخالخت أجزاؤها لما  
دخلها الماء ( وربت ) انتفخت ( زوج بهيج ) أى صنف عجيب ( ذلك بأن الله هو الحق ) أى ذلك المذكور من  
أمر الإنسان والنبات حاصل ، بأن الله هو الحق ، هكذا قدره الرخشى ، والباء على هذا سببية ، وبهذا المعنى  
أيضا فسر ابن عطية ، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله : وأن الساعة آتية : معطوفا على ذلك ، لأنه ليس بسبب  
لما ذكر ، فقال ابن عطية قوله أن الساعة ليس بسبب لما ذكر ، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط ببعضه ببعض ،  
أو على تقدير الأمر أن الساعة وهذا الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان : أما قوله إن الأمر مرتبط ببعضه ببعض  
فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف ، والعطف لا يصح ، وأما قوله على تقدير الأمر أن الساعة ، فذلك استئناف

الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير \* وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور \* ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانی عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق \* ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلم للعبيد \* ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين \* يدعوا من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد \* يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى لبئس العشير \* إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد \* من كان يظن أن لن ينصره الله في

وقطع للكلام الأول ، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول : هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعا بما قبله ، والذي يظهر لي أن الباء لبست بسبية ، وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى ؛ وذلك أن يكون التقدير ذلك الذي تقدم من خلقه الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف وأن الساعة على ما قبله بهذا التقدير ، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله ذلك مما استدل عليها بخلق الإنسان والنبات (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت فيمن نزلت فيه الأولى وقيل في الأخنس بن شريق (ثاني عطفه) كناية عن المتكبر المعرض (له في الدنيا خزي) إن كانت في الضر بن الحارث : فالخزي أسره ثم قتله ، وكذلك قتل أبي جهل (ذلك بما قدمت يداك) أي يقال له ذلك بما فعلت وبعدل الله ، لأنه لا يظلم العباد (من يعبد الله على حرف) نزلت في قوم من الأعراب كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال هذا دين حسن ، وإن اتفق له خلاف ذلك تشام به وارتد عن الإسلام ، فالحرف هنا كناية عن المقصد ، وأصله من الانحراف عن الشيء ، أو من الحرف بمعنى الطرف أي أنه في طرف من الدين لافي وسطه (خسر الدنيا والآخرة) خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها ، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده (مالا يضره) يعني الأصنام ويدعو بمعنى يعبد في الموضعين (يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه) فيها إشكالان : الأول في المعنى وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع ، ثم وصفها بأن ضررها أقرب من نفعها ففي الضر ثم أثبتته ، فالجواب أن الضر المنفي أولا يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئا ، والضر الثاني يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره ، والاشكال الثاني دخول اللام على من وهي في الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول ، وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه : أحدها أن اللام مقدمة على موضعها ، كأن الأصل أن يقال يدعوا من لضره أقرب من نفعه ، فوضعها الدخول على المبتدأ ، والثاني أن يدعوا هنا كررتا كيدا ليدعوا الأول وتم الكلام عنده ، ثم ابتدأ قوله لمن ضره ، فمن مبتدأ وخبره لبئس المولى ، وثالثها أن معنى يدعوا يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرة الأصنام فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام (المولى) هنا بمعنى الولي (العشير) صاحب فهو من العشيرة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية : لما ذكر أن

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبْنَ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنِ يُرِيدُ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ وَالنَّصْرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي

الْأَصْنَامِ لَا تَنْفَعُ مِنْ عِبَادِهَا ، قَابِلٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَنْفَعُ مَنْ عِبَدَهُ بِأَعْظَمِ النِّفْعِ ، وَهُوَ دُخُولُ الْجَنَّةِ (فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع) السبب هنا الحبل ، والسماء هنا سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تعلق منها الحبال ، والقطع هنا يراد به الاختناق بالحبل ، يقال قطع الرجل إذا اختنق ، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق ، وربطه في السقف ، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرتة أو طمعا فيما لا يصل إليه ، كقوله للحسود : مت كمدا ، أو اختنق ؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك ، وفي معنى الآية قولان الأول أن الضمير في نصره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى على هذا من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل ، فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار ، فوجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والقول الثاني أن الضمير في نصره عائد على من ، والمعنى على هذا من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله : فليختنق وليمت بغيظه ، فإنه لا يقدر على غير ذلك ، فوجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى يئس من نصره ، ولذلك فسر بعضهم أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه ، وهذا القول أرجح من الأول لوجهين : أحدهما أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف ، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقط حتى ظن أن الله لن ينصره ، فيكون هذا الكلام متصلا بما قبله : ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية : إن الله يفعل ما يريد : أي الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة ، والوجه الثاني ، أن الضمير في نصره على هذا القول يعود على ما تقدمه وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيط) السكيد هنا يراد به اختناقه ، وسمى كيدا لأنه وضعه موضع السكيد ، إذ هو غاية حيلته ، والمعنى إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيطه من الأمر ، أي ليس يذهبه (وكذلك أنزلناه) الضمير للقرآن أي مثل هذا أنزلنا القرآن كله (آيات بينات وأن الله يهدي من يريد) قال ابن عطية أن في موضع خبر الابتداء والتقدير الأمر أن الله ، وهذا ضعيف ، لأن فيه تكلف إضمار وقطع للكلام عن المعنى الذي قبله ، وقال الزمخشري التقدير لأن الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات ، فجعل أن تعليلا للإزالة ، وهذا ضعيف للفصل بينهما بالواو والصحيح عندي أن قوله وأن الله معطوف على آيات بينات ، لأنه مقدر بالمصدر ، فالتقدير أنزلناه آيات بينات وهدى لمن أراد الله أن يهديه (والصابين) ذكر في البقرة وكذلك الذين هادوا (والمجوس) هم الذين يعبدون النار ، ويقولون : إن الخير من النور والشر من الظلمة (والذين أشركوا) هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم (إن الله يفصل بينهم) هذه الجملة هي خبر إن الذين آمنوا والذين هادوا الآية ، وكررت مع الخبر للتأكيد ، وفصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق ، وسائر الأديان باطلة ، وبأن

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ قَسَا لَهُ مِنْ مُّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ه هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ه يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ه وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ه كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ه إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ

يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار (يسجد له من في السموات ومن في الأرض) دخل في هذا من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الملائكة والجن ولم يدخل الناس في ذلك لأنه ذكرهم في آخر الآية ، إلا أن يكون ذكرهم في آخرها على وجه التجريد ، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما ، وإنما المراد به الانقياد ثم إن الانقياد يكون على وجهين أحدهما الانقياد لطاعة الله طوعاً ، والآخر الانقياد لما يجرى الله على المخلوقات في أفعاله وتدييره شأواً أو أبواً (وكثير من الناس) إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لطاعة الله ، فيكون كثير من الناس معطوفاً على ما قبله من الأشياء التي تسجد ويكون قوله وكثير حق عليه العذاب مستأنفاً يراد به من لا ينقاد للطاعة ويوقف على قوله وكثير من الناس ، وهذا القول هو الصحيح ؛ وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدييره فلا يصح تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى ، وقيل إن قوله وكثير من الناس معطوف على ما قبله ثم عطف عليه كثير حق عليه العذاب فالجميع على هذا يسجد وهذا ضعيف لأن قوله حق عليه العذاب يقتضى ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود ، وتأوله الزخشرى على هذا المعنى ، بأن إعراب كثير من الناس فاعل بفعل مضمر تقديره يسجد بسجود طاعة أو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره مثاب وهذا تكلف بعيد (هذان خصمان) الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم ، وهو قول ابن عباس ، وقيل نزلت في علي ابن أبي طالب وحمة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعنة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات ، والخصم يقع على الواحد والاثني والجماعة ، والمراد به هنا الجماعة ؛ والإشارة بهذان إلى الفريقين (اختصموا في ربهم) أى في دينه وفي صفاته والضمير في اختصموا الجماعة الفريقين (فالذين كفروا) الآية : حكم بين الفريقين بأن جعل للكفار النار وللؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا (قطعت لهم ثياب من نار) أى فصلت على قدر أجسادهم ، وهو مستعار من تفصيل الثياب (الحميم) الماء الحار (يصهر به ما في بطونهم) أى يذاب ، وذلك أن الحميم إذا صب على رؤسهم وصل حره إلى بطونهم فأذاب ما فيها ، وقيل معنى يصهر ينضج (مقامع) جمع مقمعة أى مقرعة (من حديد) يضربون بها ، وقيل هى السياط (من غم) بدل من المجرور قبله (وذوقوا) التقدير يقال لهم ذوقوا (من أساور من ذهب) من لبيان الجنس أو للتبعض وفسرنا الأساور في الكهف (ولؤلؤا)

وَلَوْثُوا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۖ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءًا الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادُ وَمَنْ يُرْذِ فِيهِ  
يُالْحَادُ بِظُلْمٍ نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ  
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۖ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ

بالنصب مفعول بفعل مضمر أى يعطون لؤلؤا ، أو معطوف على موضع من أساور إذ هو مفعول ، وبالحقض  
معطوف على أساور أو على ذهب (الطيب من القول) قيل هو لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك  
(صراط الحميد) أى صراط الله ، فالحميد اسم الله ، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد ، وأضاف الصفة إلى  
الموصوف كقولك مسجد الجامع (إن الذين كفروا) خبره محذوف يدل عليه قوله نذقه من عذاب أليم ، وقيل  
الخبر يصدون على زيادة الواو ، وهذا ضعيف ، وإنما قال يصدون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على  
الفعل (سواء) بالرفع مبتدأ وخبره مقدر والجملة في موضع المفعول الثانى لجعلنا ، وقرئ بالنصب على أنه المفعول  
الثانى والعاكف فاعل به (العاكف فيه والباد) العاكف المقيم فى البلد والبادى القادم عليه من غيره والمعنى  
أن الناس سواء فى المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد وذلك إجماع ، وقال أبو حنيفة حكم سائر مكة فى ذلك  
كالمسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك ، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع  
مكة ، وقال مالك وغيره ليست الدور فى ذلك كالمسجد ، بل هى متملكة (بالحاد بظلم) الإلحاد الميل عن الصواب ،  
والظلم هنا عام فى المعاصى من الكفر إلى الصغائر ، لأن الذنوب فى مكة أشد منها فى غيرها ، وقيل هو استحلال الحرام  
ومفعول يرد محذوف تقديره من يرد أحداً أو من يرد شيئاً ، وإلحاد بظلم : حالان مترادفان ، وقيل المفعول قوله  
يالحاد على زيادة الباء (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت العامل فى إذ مضمر تقديره اذكر وبوأنا أصله من باء  
بمعنى رجع ، ثم ضوعف ليتعدى ، واستعمل بمعنى أنزلنا فى الموضع كقوله تبوء المؤمنون ، إلا أن هذا المعنى  
يشكل هنا لقوله لإبراهيم لتعدى الفعل باللام ، وهو يتعدى بنفسه حتى قيل اللام زائدة ، وقيل معناه هيأنا ،  
وقيل جعلنا ، والبيت هنا الكعبة ، وروى أنه كان آدم يعبد الله فيه ، ثم درس بالطوفان ، فدل الله إبراهيم  
عليه السلام على مكانه ، وأمره ببنائه (أن لا تشرك) أن مفسرة ، والخطاب لإبراهيم عليه السلام ، وإنما  
فسرت تبوء البيت بالنهى عن الإشراك ، والأمر بالتطهير ، لأن التبوئة إنما قصدت لأجل العبادة التى  
تقتضى ذلك (طهرا بیتی) عام فى التطهير من الكفر والمعاصى والأنجاس وغير ذلك (والقائمين) يعنى المصلين  
(وأذن فى الناس بالحج) خطاب لإبراهيم ، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول هو الصحيح ،  
روى أنه لما أمر بالأذان بالحج : صعد على جبل أبى قبيس ، ونادى : أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت  
فحجوا ، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة وهم فى أصلاب آبائهم وأجابوه فى ذلك الوقت كل شىء من جماد  
وغيره . ليلىك اللهم ليلىك ، فحرت التلبية على ذلك (يأتوك رجالا) جمع راجل أى ماشيا على رجله (وعلى  
كل ضامر) الضامر يراد به كل ما يركب من فرس وناقة وغير ذلك وإنما وصفه بالضمور لأنه لا يصل إلى  
البيت إلا بعد ضموه ، وقوله وعلى كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالا وركبانا ، واستدل



لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا  
الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ ۚ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۚ ذَٰلِكَ وَمَن يُعْظَمْ حُرْمَتِ  
اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا  
قَوْلَ الزُّورِ ۚ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي

بعضهم بتقديم الرجال في الآية على أن المشى إلى الحج أفضل من الركوب ، واستدل بعضهم بسقوط ذكر  
البحر بهذه الآية ، على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر ( يأتين ) صفة لكل ضامر ،  
لأنه في معنى الجمع ( من كل فج عميق ) أى طريق بعيد ( منافع لهم ) أى بالتجارة ، وقيل أعمال الحج وثوابه ،  
واللفظ أعم من ذلك ( ويذكروا اسم الله ) يعنى التسمية عند ذبح البهائم ونحرها وفي الهدايا والضحايا ، وقيل  
يعنى الذكر على الإطلاق ، وإنما قال اسم الله ، لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء ( في أيام  
معلومات ) هى عند مالك يوم النحر وثنائه وثالته خاصة لأن هذه هى أيام الضحايا عنه ، ولم يجوز ذبحها  
بالليل لقوله في أيام وقيل الأيام المعلومات عشر ذى الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده ، وقيل عشر ذى الحجة  
خاصة ، وأما الأيام المعدودات فهى الثلاثة بعد يوم النحر ، فيوم النحر من المعلومات لامن المعدودات  
واليومان بعده من المعلومات والمعدودات ورابع النحر من المعدودات لامن المعلومات ( فكلوا منها ) نداء وإباحة  
ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر ( البائس ) الذى أصابه البؤس وقيل هو المتكفف وقيل  
الذى يظهر عليه أثر الجوع ( ثم ليقضوا تفتهم ) التفت في اللغة الوسخ فالمعنى ليقضوا إرالة تفتهم بقص الأظفار  
والاستحداد وسائر خصال الفطرة والتنظف بعد أن يحلوا من الحج ، وقيل التفت أعمال الحج ، وقرئ بكسر  
اللام وإسكانها ، وهى لام الأمر وكذلك وليوفوا وليطوفوا ( وليطوفوا ) المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع  
المفسرين وهو الطواف الواجب ( بالبيت العتيق ) أى القديم ، لأنه أول بيت وضع للناس وقيل العتيق  
الكریم ، كقولهم : فرس عتيق ، وقيل أعنت من الجبابة أى منع منهم ، وقيل العتيق هو الذى لم يملكه أحد  
قط ( ذلك ) هنا وفي الموضع الثانى مرفوع على تقدير الأمر ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه ، ثم  
يقول هذا وقد كان كذا ، وأجاز بعضهم الوقف على قوله ذلك في ثلاثة مواضع من هذه السورة وهى هذا  
ود ذلك ومن يعظم شعائر الله ، ود ذلك ومن يشرك بالله ، لأنها جملة مستقلة أو هو خبر ابتداء مضمرة ،  
والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبى جعفر بن الزبير ، لأن ما بعدها ليس كلاما أجنبيا ، ومثلها ذلك  
ومن عاقب ، ود ذلكم فذوقوه ، فى الأنفال ، ود هذا وإن للطاغين ، فى ص ( حرمان الله ) جمع حرمة ، وهو  
مالم يحل هتكه من جميع الشريعة ، فيحتمل أن يكون هنا على العموم ، أو يكون خاصا بما يتعلق بالحج لأن  
الآية فيه ( فهو خير له ) أى التعظيم للحرمان خير ( إلا ما يتلى عليكم ) يعنى ما حرمه فى غير هذا الموضع كالميتة  
( الرجس من الأوثان ) من لبيان الجنس كأنه قال الرجس الذى هو الأوثان ، والمراد النهى عن عبادتها  
أو عن الذبح تقربا إليها كما كانت العرب تفعل ( قول الزور ) أى الكذب ، وقيل شهادة الزور ( فكأنما  
خر من السماء ) الآية ، تمثيل للمشرك بمن أهلك نفسه أشد أهلاك ( سحيق ) أى بعيد ( شعائر الله ) قيل هى الهدايا

به الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيْقٍ ، ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ، لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَبُوا وَبَشَّرَ الْمُخْبِتِينَ ، الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا

في الحج وتعظيمها بأن تختار سمانا عظاما غالية الأثمان ، وقيل مواضع الحج كمعرفات ومنى والمزدلفة ، وتعظيمها لإجلها وتوقيرها والقصد إليها ، وقيل الشعائر أمور الدين على الإطلاق وتعظيمها القيام بها وإجلالها ( فإنها من تقوى القلوب ) الضمير عائد على الفعل التي يتضمنها الكلام وهي مصدر يعظم ، وقال الزمخشري : التفسير : فإن تعظيمها من أعمال ذوى تقوى القلوب ، فحذفت هذه المضافات ( لكم فيها منافع ) من قال إن شعائر الله هي الهدايا ، فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمن اضطر إليها ، والأجل المسمى نحرها . ومن قال إن شعائر الله مواضع الحج ، فالمنافع التجارة فيها أو الأجر ، والأجل المسمى : الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة ( ثم محلها إلى البيت العتيق ) من قال إن شعائر الله الهدايا فمحلها موضع نحرها وهي منى ومكة ، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدى ، وثم على هذا القول ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها ، وإنما هي لترتيب الجمل ، ومن قال إن الشعائر مواضع الحج ، فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم : أى آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعنى طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم من إحرامه ومن قال إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق فذلك لا يستقيم مع قوله محلها إلى البيت ( ولكل أمة جعلنا منسكا ) أى لكل أمة مؤمنة ، والمنسك اسم مكان أى موضعها لعبادتهم ، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة ، والمراد بذلك الذبائح لقوله **ليذكروا اسم الله** على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربا إلى الأصنام ( فإلهكم إله واحد ) فى وجه اتصاله بما قبله وجهان : أحدهما أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبها بقوله فإلهكم إله واحد أى هو الذى شرع المناسك لكم ولمن تقدم قبلكم ، والثانى أنه إشارة إلى الذبائح أى إلهكم إله واحد فلا تدبحوا تقربا لغيره ( المخبتين ) الخاشعين وقيل المتواضعين ، وقيل نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكذلك قوله بعد ذلك وبشر المحسنين واللفظ فيهما أعم من ذلك ( وجلت ) خافت ( والبدن ) جمع بدنة ، وهو ما أشعر من الإبل ، واختلف هل يقال للبقرة بدنة ، وانتصابه بفعل مضم ( من شعائر الله ) واحدا شعيرة ، ومن للتبويض ، واستدل بذلك من قال إن شعائر الله المذكورة أو على العموم فى أمور الدين ( لكم فيها خير ) قيل الخیر هنا المنافع المذكورة قبل ، وقيل الثواب ، والصواب العموم فى خير الدنيا والآخرة ( صواف ) معناه قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ، وهي منصوبة على الحال من الضمير المجرور ، ووزنه فواعل ، وواحدة صاة ( وجبت جنوبها ) أى سقطت إلى الأرض عند موتها ، يقال وجب

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۚ أَذُنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۚ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوَامِعُ وَبِيعَ الصَّلَوَاتُ وَمَسْجِدُ

الحائط وغيره إذا سقط (القانع) معناه السائل ، وهو من قولك قنع الرجل بفتح النون : إذا سأل ، وقيل معناه المتعفف عن السؤال ، فهو على هذا من قولك قنع بالكسر إذا رضى بالقليل (والمعتر) المعترض بغير سؤال ، ووزنه مفتعل ، يقال اعتررت بالقوم إذا تعرّضت لهم ، فالمعنى أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله ، وأطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية ، ومن تعرض للعطاء ( كذلك سخرناها لكم ) أى كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم ، وقال الزمخشري التقدير مثل التخيير الذى علمتم سخرناها لكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) المعنى لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء ، وإنما تصلون إليه بالتقوى أى بالإخلاص لله ، وقصد وجه الله بما تذبجون وتنحرون من الهدايا ، فعبّر عن هذا المعنى بلفظ ينال مبالغة وتأكيداً ، لأنه قال ان تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله ، وإنما تصل بالتقوى منكم ، فإن ذلك هو الذى طلب منكم ، وعليه يحصل لكم الثواب ، وقيل كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية ( كذلك سخرها لكم ) كرر للتأكيد (لتكبروا الله) قيل يعنى قول الذابح بسم الله والله أكبر ، واللفظ أعم من ذلك (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة ، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم ، وحذف مفعول يدافع ليكون أعظم وأعم ، وقرئ يدافع بالالف ، ويدفع بسكون الدال من غير الالف ، وهما بمعنى واحد أجريت فاعل مجرى فعل من قولك عاقبة الأمر ، وقال الزمخشري : يدافع : معناه يبالغ في الدفع عنهم ، لأنه للبالغ ، وفعل المبالغة أقوى (إن الله لا يحب كل خوان كفور) الخوان مبالغة في خائن ، والكفور مبالغة في كافر ، قال الزمخشري هذه الآية علة لما قبلها (أذن للذين يقاتلون) هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال ، ونسخت الموادة مع الكفار ، وكان نزولها عند الهجرة ، وقرئ أذن بضم الهمزة على البناء لما لم يسم فاعله ، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى ، والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ، وقرئ يقاتلون بفتح التاء وكسرها (بأنهم ظلموا) أى بسبب أنهم ظلموا (الذين أخرجوا من ديارهم) يعنى الصحابة فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة ، فنهى عن هاجر إلى أرض الحبشة ، ومنهم من هاجر إلى المدينة ونسب الإخراج إلى الكفار لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم (إلا أن يقولوا ربنا الله) قال ابن عطية هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيبويه ، وقال الزمخشري أن يقولوا : فى محل الجر على الإبدال من حق (ولولا دفع الله الناس) الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التى فيه كأنه يقول لولا القتال والجهد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، وقيل المعنى : لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة ، والأول أليق بسباق الآية ، وقرئ دفاع بالالف مصدر دافع ،

يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبُثْرٌ مُعْتَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ

وبغير ألف مصدر دفع (لهدمت) قرئ بالتخفيف والتشديد للبالغة (صوامع) جمع صومعة بفتح الميم وهي موضع العبادة وكانت للصائين ولرهبان النصارى ، ثم سمي بها في الإسلام موضع الأذان ، والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهي كنائس النصارى والصلوات كنائس اليهود ، وقيل هي مشتركة لكل أمة ، والمراد بها مواضع الصلوات ، والمساجد للمسلمين ، فالمعنى لولا دفع الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم ، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عباداتهم ( يذكُر فيها اسم الله ) الضمير لجميع ما تقدم من المتعبدات ، وقيل للمساجد خاصة (ولينصرن الله من ينصره) أي من ينصر دينه وأوليائه ، وهو وعد تضمن الحظ على القتال (الذين إن مكناهم) الآية : قيل يعنى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الصحابة ، وقيل الخلفاء الأربعة لأنهم الذين مكنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به (وإن يكذبوك) الآية ضمير الفاعل لقريش ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية له والوعيد لهم (نكير) مصدر بمعنى الإنكار (على عروشها) العروش السقف فإن تعلق الجار بخاوية : فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهي فوقها ، وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال : فالمعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها (بثر معطلة) أي لا يستقى الماء منها لهلاك أهلها ، وروى أن هذه البثر هي الرس ، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود ، والأظهر أنه لم يرد التعيين ، لقوله «كأين من قرية» وهذا اللفظ يراد به التكثير (وقصر مشيد) أي مبنى بالشيد وهو الجص ، وقيل المشيد المرفوع البنيان (قلوب يعقلون) دليل على أن العقل في القلب خلافا للفلاسفة في قولهم العقل في الدماغ (فإنها لا تعى الأبصار) أي لا تعى الأبصار عى يعتد به ، وإنما العى الذى يعتد به عى القلوب ، وإن هؤلاء القوم ماعيت أبصارهم ولكن عمت قلوبهم ، فالمعنى الأول لقصد المبالغة ، والثانى خاص بهؤلاء القوم (التي في الصدور) مبالغة كقوله يقولون بأفواههم (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير لكفار قريش (ولن يخلف الله وعده) إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب ، وسماه وعدا ؛ لأن المراد به مفهوم (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) المعنى أن يوما من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف

أَخَذَتْهَا وَلِىَ الْمَصِيرُ ۖ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۚ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِىٓ أَمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۚ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى

يوم وذلك خمسمائة سنة وقيل المعنى إن يوما واحدا من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس طويلة ، وإن كانت فى الحقيقة قصيرة ، وفى كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب ، إلا أن الأول أرجح ، لأن الألف سنة فيه حقيقة ، وقيل إن اليوم المذكور فى الآية هو يوم من الأيام الستة التى خالق الله فيها السموات والأرض (وكان من قرية) ذكر أولا القرى التى أهلكتها بغير إهلاك ، وذكر هنا التى أهلكتها بعد الإهلاك ، والإهلاك هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد ، وعطف هذه الجملة بالواو على الجمل المعطوفة قبها بالواو ، وقال فى الأولى فكأن لأنه بدل من قوله فكيف كان نكير (سعوا فى آياتنا) أى سعوا فيها بالطعن عليها ، وهو من قولك سعى فى الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده (معاجزين) بالألف : أى مغالين ، لأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات ، والآيات تقتضى عجزهم ، فصارت مفاعلة ، وقرئ بالتشديد من غير ألف ومعناه أنهم يعجزون الناس عن الإسلام أى يبطونهم عنه (من رسول ولا نبي) النبى أعم من الرسول فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول ، فقدم الرسول لمناسبته لقوله أرسلنا وآخر النبى لتحصيل العموم ، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل فى ذلك من كان نبيا غير رسول (إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة والنجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين فلما بلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان ، تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى ، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد واختلف فى كيفية إلقاء الشيطان ، فقيل إن الشيطان هو الذى تكلم بذلك ، وظن الناس أن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هو المتكلم به لأنه قرب صوته من صوت النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى التبس الأمر على المشركين وقيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو ؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس فى قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد ، والقول الثانى أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة ، والقول الأول أرجح ، لأن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم معصوم فى التبليغ ، فغنى الآية أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان ، واختلف فى معنى تمنى وأمنيته فى هذه الآية فقيل تمنى بمعنى تلا ، والأمنية : التلاوة : أى إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده فى تلاوته ، وقيل هو من التمنى بمعنى حب الشيء ، وهذا المعنى أشهر فى اللفظ : أى تمنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مقاربة قومه واستتلافهم ، وألقى الشيطان ذلك فى هذه الأمنية ليعجزهم ذلك (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أى يبطله كقولك نسخت الشمس الظل (ليجعل) متعلق بقوله ينسخ ويحكم (للذين فى قلوبهم مرض) أى أهل الشك (والقاسية



شَقَاقٍ بَعِيدٍ • وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادَ الَّذِينَ  
آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْةً أَوْ يُاتِيَهُمْ عَذَابٌ  
يَوْمَ عَقِيمٍ • الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ • وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ • وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَهُمُ اللَّهُ  
رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ • لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ • ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ  
بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصَرِنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ • ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ  
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ • ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَآدِعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ • لَهُ مَا فِي

قلوبهم) المكذبون ، وقيل الذين في قلوبهم مرض عامة الكفار ، والقاسية قلوبهم أشد كفرًا وعتوا كأبي جهل  
(وإن الظالمين لني شقاق بعيد) يعنى بالظالمين المذكورين قبل ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر ، ليقضى  
عليهم بالظلم ، والشقاق : العداوة ، ووصفه ببعيد ، لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير (الذين أوتوا العلم)  
قيل يعنى الصحابة ، واللفظ أعم من ذلك (أنه الحق) الضمير حائد على القرآن ، وقال الرخشي هو لتسكين  
الشيطان من الإلقاء (فتخبت) أى تخشع (في مريئة منه) الضمير للقرآن ، وأول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو  
الإلقاء (يوم عقيم) يعنى يوم بدر ، ووصفه بالعقيم لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم ، لأنهم يقتلون فيه ،  
وقيل هو يوم القيامة ، والساعة مقدماته ، ويقوى ذلك قوله : الملك يومئذ لله ، ثم قسم الناس إلى قسمين :  
أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم (قتلوا أو ماتوا) روى أن قوما قالوا يا رسول الله قد علمنا ما أعطى الله لمن قتل  
من الخيرات ، فما لمن مات معك ، فنزلت الآية معللة أن الله يرزق من قتل ومن مات معاً ، ولا يقتضى ذلك المساواة  
بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت (رزقاً حسناً) يحتمل أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة ، أو رزق  
الشهداء في البرزخ ، والأول أرجح ، لأنه يعم الشهداء والموتى (مدخلا) يعنى الجنة (ذلك) تقديره هنا : الأمر  
ذلك كما يقول الكاتب هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر (ومن عاقب بمثل ما عوقب به)  
سمى الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوزاً كما تسمى العقوبة أيضاً باسم الذنب ووعده بالنصر لمن بغى عليه  
(إن الله لعفو غفور) إن قيل ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أن في ذكر  
هذين الوصفين إشعار بأن العفو أفضل من العقوبة ، فكأنه حرض على العفو ، والثاني أن في ذكرهما إعلاماً  
بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذى هو أولى (ذلك بأن الله يولج الليل) أى ذلك  
النصر بسبب أن الله قادر ، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، ومعنى الإيلاج  
هنا أنه يدخل ظلمة هذا في مكان ضوء هذا ، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا ، وقيل الإيلاج هو  
ما ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك الوصف الذى وصف الله به هو

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهوَ الْغَنَى الْحَمِيدُ ۖ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ۖ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ۚ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزَعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ۖ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۖ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَالِيسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۖ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ تُبَشِّرُونَ بِذَلِكَ النَّارَ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۖ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ

بسبب أنه الحق ( فتصبح الأرض مخضرة ) تصبح هنا بمعنى تصير ، وفهم بعضهم أنه أراد صديحة ليلة المطر ، فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة ، والبلاد الحارة ، وأما على معنى تصير فذلك عام في كل بلد ، والفاء للعطف ، وليست بجواب ، ولو كانت جواباً لقوله ألم تر لنصب الفعل ، وكان المعنى نفى خضرتها وذلك خلاف المقصود ، وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة ليفيد بقاءها كذلك مدة ( سخر لكم ما في الأرض ) يعني البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك ( أن تقع ) في موضع مفعول على تقدير عن أن تقع ، وقال الزمخشري كراهة أن تقع فهو مفعول من أجله ( إلا بإذنه ) يحتمل أن يريد يوم القيامة ، فجعل طى السماء كوقوعها أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء ( أحياكم ) أى أوجدكم بعد العدم ، وعبر عن ذلك بالحياة لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح ، ثم أحياء بنفخ الروح ( ثم يُمِيتُكُمْ ) بمعنى الموت المعروف ( ثم يحييكم ) يعني البعث ( لكفور ) أى جحود للنعمة ( منسكا ) هو اسم مصدر لقوله ناسكوه ولو كان اسم مكان لقال ناسكون فيه ( فلا ينازعك ) ضمير الفاعل للكفار ، والمعنى : أنه لا ينبغي منازعة النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه ، فجاء الفعل بلفظ النهى والمراد غير النهى ، وقيل إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ، ويحتمل أن يكون نهيا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ ( فى الأمر ) أى فى الدين والشريعة أو فى الذبائح ( وادع إلى ربك ) أى ادع الناس إلى عبادة ربك ( وإن جادلوك ) الآية : تقتضى موادة منسوخة بالقتال ( إن ذلك فى كتاب ) أى اللوح المحفوظ ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله ( إن ذلك على الله يسير ) يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات فى الكتاب ، أو إلى الحكم فى الاختلاف والأول أظهر ( ما لم ينزل به سلطانا ) يعنى الأصنام ؛ والسلطان هنا : الحجة والبرهان ، وما ليس لهم به علم : قيل إنه يعنى ما ليس لهم به علم ضرورى ، فنفى أولا البرهان النظرى ، ثم العلم الضرورى ، وليس اللفظ بظاهر فى هذا المعنى بل الأحسن نفى العلم الضرورى والنظرى معا ( تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر ) أى الإنكار لما يسمعون فالمنكر مصدر : كالمكرم بمعنى الإكرام ويعرف ذلك فى وجوههم يعوسها وإعراضها ( يسطون ) من السطوة

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ \* مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

وهي سرعة البطش (النار وعدّها الله) يحتمل أن تكون النار مبتدأ ، ووعدّها الله خبراً أو يكون النار خبراً ابتداءً مضمراً كأن قائلها قال ما هو ، فقيل هو النار ، ويكون وعدّها الله استثناءً وهذا أظهر (ضرب مثل) أى ضربه الله لإقامة الحجة على المشركين (لن يخلقوا ذباباً) تذييل بالاضمارة على الأكل من باب أولى وأحرى والمعنى أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره ، فكيف تعبد من دون الله الذي خلق كل شيء ، ثم أروض عجزهم بقوله (ولو اجتمعوا له) أى لو تعادوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) بيان أيضاً لعجز الأصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئاً لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه ، وقد قيل إن المراد بما يسلب الذباب منهم الطيب الذي كانت تجعله العرب على الأصنام واللفظ أعم من ذلك (ضعف الطالب والمطلوب) المراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب الذباب لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سلبته منها . وقيل الطالب الكفار والمطلوب الأصنام . لأن الكفار يطلبون الخير منهم (وما قدرا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس) رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر (اركعوا واسجدوا) في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره للحديث الصحيح الوارد في ذلك خلافاً للبالكية (واعبدوا ربكم) عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبر عنها بالركوع والسجود ، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات (وافعلوا الخير) قيل المراد صلة الرحم ، وقال ابن عطية هي في التدب فيما عدا الواجبات ، واللفظ أعم من ذلك كله (وجاهدوا في الله) يحتمل أن يريد جهاد الكفار ، أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى ، أو العموم في ذلك (حق جهاده) قيل إنه منسوخ كمنسوخ حق تقاته بقوله ما استطعتم ، وفي ذلك نظر ، وإنما أضاف الجهاد إلى الله لبيان بذلك فضله واختصاصه بالله (اجتباكم) أى اختاركم من بين الأمم (من حرج) أى مشقة ، وأصل الحرج الضيق (ملة أبيكم إبراهيم) انتصب ملة بفعل مضمراً تقديره أعنى بالدين ملة إبراهيم ، أو التزموا ملة إبراهيم وقال الفراء انتصب على تقدير حذف السكاف كأنه قال كلمة ، وقال الزمخشري انتصب بمضمون ما تقدم : كأنه قال وسع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم ، ثم حذف المضاف ، فإن قيل : لم يكن إبراهيم أباً للمسلمين كلهم ، فالجواب : أنه أباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أباً لامته لأن أمة الرسول في حكم أولاده ، ولذلك قرئ وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم ، وأيضاً فإن قریشاً وأكثر العرب من ذرية إبراهيم ، وهم أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم (هو سماكم) الضمير لله تعالى ومعنى من قبل في الكتب المتقدمة ، وفي هذا أى في القرآن ، وقيل الضمير لإبراهيم والإشارة إلى

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ  
فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

## سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ  
مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ مَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

قوله : ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، ومعنى من قبل على هذا : من قبل وجودكم ، وهنا يتم الكلام على هذا القول  
ويكون قوله « وفي هذا ، مستأنفا : أى وفي هذا البلاغ ، والقول الأول أرجح وأقل تكلفا ، ويدل عليه قراءة  
أبى بن كعب : الله سماكم المسلمين (شهيذا عليكم) تقدم معنى هذه الشهادة فى البقرة ( فأقيموا الصلاة ) الظاهر  
أنها المكتوبة لا قرائنها مع الزكاة ( هو مولاكم ) معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك

## سورة المؤمنون

(الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الخشوع حالة فى القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى  
جل جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع  
وقد عتد بعض الفقهاء الخشوع فى فرائض الصلاة ، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها ، وقد جاء فى الحديث  
لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب ، فقد يحضر  
القلب ولا يخشع (عن اللغو معرضون) اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللغو ، والكلام بما لا يعنى ، وتعدد  
أنواع المنهى عنه من الكلام عشرون نوعا ، ومعنى الإعراض عنه : عدم الاستماع إليه والدخول فيه ،  
ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به ، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضى ذلك من باب أولى وأحرى (للزكاة  
فاعلون) أى مؤدون ، فإن قيل : لم قال فاعلون ولم يقل مؤدون ؟ فالجواب : أن الزكاة لها معنيان أحدهما  
الفعل الذى يفعله المزكى أى أداء ما يجب على المال ، والآخر المقدار المخرج من المال كقولك هذه زكاة  
مالى ، والمراد هنا الفعل لقوله « فاعلون » ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره «هم لأداء الزكاة فاعلون» (على  
أزواجهم) هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أى لا يلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق  
بقوله حافضون على أن يكون على بمعنى عن (أوما مملكت أيمانهم) يعنى النساء المملوكات ، قال الزمخشري  
إنما قال «مملكت» ولم يقل «هن» ، لأن الإناث يجرى غير العقلاء (وراء ذلك) يعنى ما سوى الزوجات والمملوكات  
(لأماناتهم وعهدهم) يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده فى دينه أو العموم ، والأمانة أعم من العهد

رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدُوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عِلْقَةً خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ نَحْلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا \* ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ \* ثُمَّ إِنَّا نَكُنَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِيَّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّا نَكُنُّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ \* وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ \* وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ

لأهلها قد تكون بعدد وغير عهد متقدم (راعون) أي حافظون لها قائمون بها (على صلواتهم يحافظون) المحافظة عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها ، فإن قيل : كيف كرر ذكر الصلوات أولا وآخرا ؟ فالجواب : أنه ليس بتكرار ، لأنه قد ذكر أولا والخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها ، فهما مختلفان ، وأضاف الصلاة في الموضوعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها (الوارثون) أي المستحقون للجنة ، فالميراث استعارة ، وقيل إن الله جعل لكل إنسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار ، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة (الفردوس) مدينة الجنة وهي جنة الآعاب ، وأعاد الضمير عليها مؤثرا على معنى الجنة (ولقد خلقنا الإنسان) اختلف هل يعني آدم ، أو جنس بني آدم (من سلالة من طين) السلالة : هي ما ينسل من الشيء : أي ما يستخرج منه ، ولذلك قيل إنها الخلاصة ، والمراد بها هنا القطعة التي أخذت من الطين وخلق منها آدم ، فإن أراد بالإنسان آدم : فالعني أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين ، ولكن قوله بعد هذا (ثم جعلناه نظفة) لا بد أن يراد به بنو آدم ، فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولا ، ولكن يفسره سياق الكلام ، وإن أراد بالإنسان ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه ، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين : أي خلق أصله وهو أبوه آدم ويحتمل عندى أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعي آدم وذريته ، فأجمل ذكر الإنسان أولا ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم : وهي من طين ، وإلى الخلقة المختصة بذريته . وهي النظفة ، فإن قيل : ما الفرق بين من ومن ؟ فالجواب على ما قال الزمخشري : أن الأولى للابتداء ، والثانية للبيان . كقوله من الأولاد (في قرار مكين) يعني رحم الآم ، ومعنى مكين : متمكن وذلك في الحقيقة من صفة النظفة المستقرة ، لامن صفة المحل المستقر فيه ، ولكنه كقولك طريق سائر : أي يسير الناس فيه ، وقد تقدم تفسير النظفة والمضغة والعلقة في أول الحج (خلقا آخر) قيل هو نفخ الروح فيه ، وقيل خروجه إلى الدنيا ، وقيل استواء الشباب وقيل على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته (فتبارك الله) هو مشتق من البركة ، وقيل معناه تقدس (أحسن الخالقين) أي أحسن الخالقين خلقا ، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه ، وفسر بعضهم الخالقين بالمقتدرين فرارا من وصف المخلوق بأنه خالق ، ولا يجب أن ينفي عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله : وإذ تخلق من الطين ، وإنما الذي يجب أن ينفي عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم ، فهذا هو الذي انفرد الله به (سبع طرائق) يعني السموات ، وسمها طرائق لأن بعضها طروق فرق بعض كطارقة النعل ، وقيل يعني الأفلاك لأنها طرق للكواكب (وما كنا عن الخلق غافلين) يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين أو المصدر

بِهِ لَقَدِرُونَ \* فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلَّاتِكَيْنِ \* وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ \* إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَّتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ \* فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَازِينَ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ \* فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ الْأَنْتِ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

(ماء بقدر) يعنى المطر الذى ينزل من السماء فتكون منه العيون والانهار فى الارض، وقيل يعنى أربعة أنهار وهى النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى بقدر: بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعنى الزيتون، وإنما خص النخيل والأعناب والزيتون بالذكر: لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، وطور سيناء جبل بالشام وهو الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وينسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة وسيناء اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أحد، وقرئ بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف، لأن فعلا بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل معناه مبارك، وقيل ذو شجرة، ويلزم على ذلك صرفه (تنبت بالدهن) يعنى الزيت، وقرئ تنبت بفتح التاء، فالجورور على هذا فى موضع الحال. كقولك جاء زيد بسلاحه، وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: الأول أن أنبت بمعنى نبت والثانى حذف المفعول تقديره تنبت ثمرتها بالدهن والثالث زيادة الباء (وصبغ للأكلين) الصبغ الغمس فى الإدام (فى الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم والمقصود بالذكر الإبل، لقوله: وعليها وعلى الفلك تحمّلون، وقد تقدم فى النحل ذكر المنافع التى فيها وتذكيرها وتأنيثها (ما هذا إلا بشر) استبعدوا أن تكون النبوة لبشر؛ فإعجاباً منهم إذ أنبتوا الربوبية لحجر (يريد أن يفضل) أى يطلب الفضل والرياسة عليكم (ما سمعنا بهذا) أى بمثل مادعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذى قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة (به جنّة) أى جنون. فانظر اختلاف قولهم فيه: فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون (حتى حين) أى إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته (انصرنى بما كذبون) تضمن هذا دعاء عليهم، لأن نصرته إنما هى بإهلاكهم وقد تقدم فى هود تفسير بأعيننا ووحينا، وفار التنور، ولا تخاطبنى (اسلك فيها)



وَأِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۖ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۖ فَآرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ  
إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۖ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۖ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ  
لَأُنْكَمَ إِذَا الْخُسُوفُونَ ۖ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ۖ هِيَآتِ هِيَآتٍ لِمَا تُوعَدُونَ ۖ  
إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ  
لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۖ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ۖ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۖ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ  
فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاً ۖ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۖ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا  
يَسْتَخِرُونَ ۖ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلُّ مَاجَاءٍ أُمَّةٍ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ

أى أدخل فيها ، وقد تقدم تفسير زوجين اثنين (وإن كنا لمبتلين) إن تخفة من الثقلية ، ومبتلين : اسم فاعل  
من ابتلى ، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار ، أو إزال البلاء (قرنا آخرين) قيل لإنهم عاد ورسولهم هود ،  
لأنهم الذين يلون قوم نوح ، وقيل لإنهم ثمود ورسولهم صالح ، وهذا أصح لقوله : فأخذتهم الصيحة ، وثمود  
هم الذين أهلكوا بالصيحة ، وأما عاد فأهلكوا بالريح (من قومه) قدم هذا المجرور على قوله الذين كفروا لثلا  
يوم أنه متصل بقوله الحياة الدنيا بخلاف قوله : قال الملائكة الذين كفروا من قومه في غير هذا الموضع  
(أترفناهم) أى نعمناهم (بشر مثلكم) يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبي من البشر ، أو قالوه أنفة  
من اتبع بشر مثلهم ، وكذلك قال قوم نوح (أيعدكم) استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد (أنكم  
تخرجون) كرر أن تأكيد الأولى ؛ ومخرجون خبر عن الأولى (هيات هيات لما توعدون) هذا من  
حكاية كلامهم ، وهيات اسم فعل بمعنى بعد ، وقال الغزنوى هى للتأسف والتأوه ، ويجوز فيه الفتح والضم  
والكسر والإسكان ، وتارة يحى فاعله دون لام كقوله ، فهيات هيات العقيق وأهله ، وتارة يحى باللام  
كهذه الآية ، قال الزجاج فى تفسيره : البعد لما توعدون ، فنزله منزلة المصدر ، قال الزمخشري : وفيه وجه آخر  
وهى أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان  
المهيت به (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا ، فوضع هى موضع الحياة لدلالة الخبر عليها  
(نموت ونحيا) أى يموت بعض ويولد بعض ، فينقض قرن ويحدث قرن آخر ومرادهم إنكارهم البعث  
(عما قليل) مازائدة ، وقيل صفة للزمان والتقدير عن زمان قليل يندمون (فجعلناهم غثاء) يعنى هالكين كالغثاء  
والغثاء ما يحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود ، فشبه به الهالكين (فبعدا) مصدر وضع موضع الفعل  
بمعنى بعدوا : أى هلكوا ، والعامل فيه مضمرة لا يظهر (تترا) مصدر ووزنه فعلى ، ومعناه التواتر والتتابع ، وهو  
موضوع موضع الحال : أى متواترين واحداً بعد واحد ، فمن قرأه بالتنوين : فألفه للإلحاق ، ومن قرأه بغير  
تنوين : فألفه للتأنيث فلم ينصرف ، وتأنيثه لأن الرسل جماعة والتاء الأولى فيه بدل من واو هى فاء الكلمة

فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ \* ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ \* فَقَالُوا أَتَأْتِيَنَا بِنَبِيٍّ مِثْلَ بَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ \* فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ \* وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَامَةً آيَةً وَأَوْيَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ \* يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ \* فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ \* فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ أَحِينُ \* أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ \* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \*

(وجعلناهم أحاديث) أى يتحدث الناس بما جرى عليهم ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحداث، وهذا أليق لأنها تقال في الشر (قوما عالين) أى متكبرين (وقومهما لنا عابدون) أى حامدون متذللون (لعلهم يهتدون) الضمير لبنى إسرائيل لا لقوم فرعون، لأنهم هلكوا قبل إزال التوراة (وأوييناهما إلى ربوة) الربوة الموضع المرتفع من الأرض، ويجوز فيها فتح الرء وضهما وكسرها، واختلف في موضع هذه الربوة، فقيل بيت المقدس، وقيل بغوطة دمشق، وقيل بفلسطين (ذات قرار ومعين) القرار المستوى من الأرض فعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجارى، فقيل إنه مشتق من قولك مع الماء إذا كثر، فاليم على هذا أصلية، ووزنه فاعيل، وقيل إنه مشتق من العين، فاليم زائدة، ووزنه مفعول (يأتيناها الرسل) هذا النداء ليس على ظاهره، لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة، وإنما المعنى أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك، وقيل الخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد (كلوا من الطيبات) أى من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات فالأمر بالإباحة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) قرئ إن بالكسر على الاستئناف وبالفتح على معنى لأن، وهى متعلقة بقوله آخره فأتقون، وقيل تتعلق بفعل مضمر تقديره واعلموا، والأمة هنا الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره (فتقطعوا أمرهم) أى افرقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم (زبرا) جمع زبور: وهو الكتاب، والمعنى أنهم افرقوا في اتباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك، ووضعوا كتابا من عند أنفسهم (فذرهم في غمرتهم) الضمير لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء (حتى حين) هنا يوم بدر أو يوم موتهم (أيحسبون) الآية: ردة عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم وأنهم سبب لرضا الله عنهم (نسارع لهم) هذا خبر أن، والضمير الرابط محذوف تقديره نسارع به (مل لا يشعرون) أى لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم، فقيه معنى التهديد (يؤتون ما آتوا) قبل معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل إنه عام في جميع أفعال البر أى يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا قُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ إِلَيْهِمْ رَاجِعُونَ ۖ أُولَٰئِكَ يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۖ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۖ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْرُونَ ۖ لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُتْرَوْنَ ۖ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۖ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَآ تَهْجُرُونَ ۖ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۖ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا

وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا أنها قرأت يؤتون ما أتوا بالقصر ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة ، وقيل إنه عام في الحسنات والسيئات : أى يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله (أنهم إلى ربهم راجعون) أن في موضع المفعول من أجله ، أو في موضع المفعول بوجلت ، إذ هي في معنى خائفة (أولئك يسارعون في الخيرات) فيه معنيان : أحدهما أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات ، والآخر أنهم يتعجلون ثواب الخيرات ، وهذا مطابق الآية المتقدمة ، لأنه أثبت فيهم مانعاً عن الكفار من المسارعة (وهم لها سابقون) فيه المعنيان المذكوران في يسارعون للخيرات ، وقيل معناه سبقت لهم السعادة في الأزل (لا نكلف نفوساً إلا وُسْعها) يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحون غير خارج عن الوُسْع والطاقة ، وقد تقدم الكلام على تكليف ما لا يطاق في البقرة (ولدينا كتاب) يعنى صحف الأعمال ، ففي الكلام تهديد وتأمين من الظلم والحيث (في غمرة من هذا) أى في غفلة من الدين بحملته ومن القرآن ، وقيل من الكتاب المذكور ، وقيل من الأعمال التى وصف بها المؤمنون (ولهم أعمال من دون ذلك) أى لهم أعمال سيئة دون الغمرة التى هم فيها ، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال ، والإشارة بذلك على هذا إلى الغمرة ، وإنما أشار إليها بالتأكيد لأنها في معنى الكفر ، وقيل الإشارة إلى قوله من هذا : أى لهم أعمال سيئة غير المشار إليه حسبما اختلف فيه (هم لها عاملون) قيل هي إخبار عن أعمالهم في الحال ، وقيل عن الاستقبال ، وقيل المعنى أنهم يتبادون على عملها حتى يأخذهم الله فجعل «حتى إذا أخذنا مترفيهم» غاية لقوله عاملون (مترفيهم) أى أغنياؤهم وكبرائهم (إذا هم يجأرون) أى يستغيثون ويصيحون ، فإن أراد بالعذاب قتل المترفين يوم بدر : فالضمير في يجأرون لسائر قريش : أى صاحوا وناحوا على القتلى ، وإن أراد بالعذاب شدة الدنيا أو عذاب الآخرة : فالضمير لجميعهم (لا تجأروا اليوم) تقديره يقال لهم يوم العذاب لا تجأروا ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة ، وأن يكون بلسان الحال ولفظه نهى ، ومعناه : أن الجوار لا ينفعهم (على أعقابكم تنكصون) أى ترجعون إلى وراة ذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهى القرآن (مستكبرين به) قيل إن الضمير عائد على المسجد الحرام وقيل إنه على الحرم وإن لم يذكر ؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام والمعنى أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام لأنهم أهل وولاته ، وقيل إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات ، والمعنى على هذا أن القرآن يحدث لهم عتواً وتكبراً ، وقيل إنه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على هذا متعلق بسامراً (سامراً) مشتق من السمر وهو الجلوس بالليل للحديث ، وكانت قريش تجتمع بالليل في المسجد فيحدثون وكان أكثر حديثهم سب النبي صلى الله عليه وسلم ، وسامراً مفرد بمعنى الجمع ، وهو منصوب

رَسُولُهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ \* أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكَثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ \* وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ  
أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ \* أَمْ  
تَسْتَلْهُمْ خُرْجًا نَخْرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَلَئِنَّ الَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسِبُونَ \* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ الْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ  
يَعْمَهُونَ \* وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِلرَّهْمِ وَمَا يَنْصَرِعُونَ \* حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ

على الحال فن جعل الضمير في به للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فالمعنى أنهم سامرون بذكره وسبه (تهجرون)  
من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فعناه تقولون لهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام ، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم  
فهو من الهجر بفتح الهاء أى تهجرون الإسلام ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، أو من قولك هجر المريض  
إذا هذى أى تقولون اللغو من القول (أفلم يدبروا القول) يعنى القرآن ، وهذا توبيخ لهم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم  
الاولين) معناه أن النبوة ليست ببدع فينكرونها بل قد جاءت آباؤهم الاولين فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل  
وغيرهم (أم لم يعرفوا رسولهم) المعنى أم لم يعرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنه أشرفهم حسبا وأصدقهم  
حديثا وأعظمهم أمانة وأرجحهم عقلا ، فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون ، أو غير ذلك من النقائص ،  
مع أنه جاءهم بالحق الذى لا يخفى على كل ذى عقل سليم ، وأنه عين الصواب (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات  
والارض) الاتباع هنا استعارة ، والحق هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم ، فالمعنى لو كان الأمر على ما تقتضى  
أهواءهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والارض كقوله ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، وقيل إن  
الحق فى الآية هو الله تعالى ، وهذا بعيد فى المعنى ، وإنما حمل على أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة ، وإنما  
الحق هنا هو المذكور فى قوله بل جاءهم بالحق وآكثرهم للحق كارهون ، (بل أتيناكم بذكرهم) يحتمل أن يكون بذكرهم  
ووعظهم أو بغيرهم وشرفهم وهذا أظهر (أم تسألهم خرجا) الخرج هو الأجرة ويقال فيه خراج والمعنى واحد ،  
وقرى بالوجهين فى الموضوعين فهو كقوله أم تسألهم أى است تسألهم أجر ائثقل عليهم اتباعك (نخرج ربك خير) أى  
رزق ربك خير من أموالهم فهو رزقك ويغنيك عنهم (عن الصراط لنا كبون) أى عادلون ومعرضون عن الصراط  
المستقيم (ولو رحمتهم) الآية : قال الا كثرون : نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش  
بالقحط فنهالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها ، فالمعنى رحمتهم بالخصب وكشفنا ما بهم من ضر الجوع  
والقحط : لتمادوا على طغيانهم ، وفى هذا عندى نظر ، فإن الآية مكية باتفاق ، وإنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على  
قريش بعد الهجرة حسبا ورد فى الحديث ، وقيل المعنى لو رحمتهم بالرد إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ، وهذا القول  
لا يلزم عليه ، الزم على الآخر ، ولكنه خرج عن معنى الآية (ولقد أخذناهم بالعذاب) قيل إن هذا العذاب هو  
الجوع بالقحط وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر ، وهذا مردود بأن العذاب الذى أصابهم  
إنما كان بعد بدر ، وقيل إن العذاب الذى أخذهم هو يوم بدر ، والباب المتوعد به هو القحط ، وقيل الباب ذو العذاب  
الشديد : عذاب الآخرة ، وهذا أرجح ، ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا ، وقال : إذاهم فيه ملبسون : أى

شَدِيدٌ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ \* وَهُوَ  
الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \*  
بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ \* قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ \* لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا  
هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ  
لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا  
تَتَّقُونَ \* قُلْ مَنْ يَدَّيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ  
فَأَنِّي تُسْحَرُونَ \* بَلْ أَتَيْنَهُمُ الْحَقَّ وَلَهُمْ لَكَاذِبُونَ \* مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا

يَأْتِسُونَ مِنَ الْخَيْرِ، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة كقوله «ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون»، (فما استكانوا)  
أى ما تذللوا لله عز وجل، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة في آخر آل عمران (وما يتضرعون) إن قيل :  
هلا قال فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكثرون وما يتضرعون باتفاق الفعلين في الماضي أو في المستقبل؟  
فالجواب: أن ما استكانوا عند العذاب الذى أصابهم، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد فنفي الاستكانة  
فيما مضى، ونفى التضرع في الحال والمستقبل (قليلًا ما تشكرون) مازائدة، وقليلًا صفة لمصدر محذوف تقديره  
شكرا قليلًا تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة - وهى القلوب - لعظم المنافع التى فيها فيجب شكر خالقها  
ومن شكره: توحيد واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، ففى ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة (ذراكم فى  
الارض) أى نشركم فيها (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو فاعله ومحتص به فاللام على هذا للاختصاص،  
وقد ذكر فى البقرة معنى اختلاف الليل والنهار (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أى قالت قريش مثل قول الأمم  
المتقدمة، ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم: لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا، وقد ذكر  
الاستفهامان فى الرد، وأساطير الأولين فى الانعام (قل لمن الارض ومن فيها) هذه الآيات توقيف لهم  
على أمور لا يمكنهم الإقرار بها، وإذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة (سيقولون لله)  
قربى فى الأول لله باللام بإجماع، جواباً لقوله لمن الارض، وكذلك قرأ الجمهور الثانى والثالث، وذلك على  
المعنى لأن قوله من رب السموات فى معنى لمن هى، وقرأ أبو عمرو الثانى والثالث بالرفع على اللفظ (ملكوت)  
مصدر وفى بناءه مبالغة (بجبر ولا يجار عليه) الاجارة المنع من الاهانة، يقال أجرت فلانا على فلان إذا منعت  
من مضرتة وإهاتته، فالمعنى أن الله تعالى يغيب من شاء بمن شاء ولا يغيب أحداً منه أحداً (فأنى تسحرون) أى  
تخدعون عن الحق والخداع لهم الشيطان، وذلك تشبيهه بالسحر فى التخليط والوقوع فى الباطل، ورتب  
هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج فقال أولاً أفلا تذكرون، ثم قال ثانياً أفلا تتقون، وذلك أباح، لأن فيه  
زيادة تخويف، ثم قال ثالثاً فأنى تسحرون وفيه من التوبيخ ما ليس فى غيره (ولأنهم لكاذبون) يعنى فيما  
ينسبون لله من الشركاء والأولاد ولذلك رد عليهم بنى ذلك (إذا لذهب كل إله بما خالق) هذا برهان على

لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \* عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ  
عَمَّا يُشْرِكُونَ \* قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ \* رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَإِنَّمَا عَلَىٰ أَنْ تُرِيَكَ  
مَآئِدُهُمْ لَقَدْ رُودُونَ \* أَدْفَعِ بَالَتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ \* وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ  
الشَّيَاطِينِ \* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ \* حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ  
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا

الوحدانية ، وبيانه أن يقال لو كان مع الله إله آخر لا نفر دكل واحد منهما ؛ مخلوقاته عن مخلوقات الآخر ،  
واستبد كل واحد منهما بملكه وطلب غلبة الآخر والعلو عليه كما ترى حال ملوك الدنيا ولكن لما رأينا جميع  
المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة : علمنا أن ماله ومديره واحد ، لا إله غيره  
وليس هذا البرهان بدليل التماثل كما فهم ابن عطية وغيره ، بل هو دليل آخر ، فإن قيل : إذ لا تدخل إلا على  
كلام هو جزاء وجواب ، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل ؟ فالجواب : أن الشرط  
مخدوف تقديره لو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله ، وهو جواب للكفار الذين  
وقع الرد عليهم (عالم الغيب) بالرفع خبر ابتداء ، وبالحذف صفة لله (قل رب إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ) الآية : معناه  
أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضى أن يرى ذلك ،  
وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار ، وإن شرطية وما زائدة ، وجواب الشرط فلا تجعلني ، وكرر قوله رب مبالغة  
في الدعاء والتضرع (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) قيل التي هي أحسن لا إله إلا الله ، والسيئة الشرك ، والأظهر  
أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق وهو محكم غير منسوخ ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسألة الكفار  
(من همزات الشياطين) يعني نزغاته ووساوسه ، وقيل يعني الجنون ، واللفظ أعم من ذلك (أن يحضرون)  
معناه أن يكونوا معه ، وقيل يعني حضورهم عند الموت (حتى إذا جاء أحدهم الموت) قال ابن عطية : حتى هنا  
حرف ابتداء : أي ليست غاية لما قبلها ، وقال الزمخشري حتى تتعلق بيصفون : أي لا يزالون كذلك حتى يأتيهم  
الموت (قال رب ارجعون) يعني الرجوع إلى الدنيا ، وخاطب به مخاطبة الجماعة للتعظيم ، قال ذلك الزمخشري  
وغيره ، ومثله قول الشاعر : ألا فارحمون يا آل محمد \* وقيل إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة (فما تركت)  
قيل يعني فيما تركت من المال ، وقيل فيما تركت من الإيمان فهو كقوله : أو كسبت في إيمانها خيرا ، والمعنى  
أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحا في الإيمان الذي تركه أول مرة (كلا) ردع له  
عما طلب (إنها كلمة هو قائلها) يعني قوله \* رب ارجعون لعلني أعمل صالحا ، فسمى هذا الكلام كلمة وفي تأويل  
معناه ثلاثة أقوال : أحدها أن يقول هذه الكلمة لا محالة لإفراط ندمه وحسرتة فهو إخبار بقوله ، والثاني  
أن المعنى أنها كلمة يقوله ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئا ، والثالث أن يكون المعنى أنه يقوله كاذبا فيها ، ولورجع  
إلى الدنيا لم يعمل صالحا (ومن ورائهم) أي فيما يستقبلون من الزمان والضمير للجماعة المذكورين في قوله جاء أحدهم  
(برزخ) يعني المدة التي بين الموت والقيامة ، وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وأصل البرزخ الحاجز  
بين شيئين (فلا أنساب بينهم) المعنى أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة لا شغل كل أحد بنفسه



أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ \* أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \* قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ \* قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ \* إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \* فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءَ حَتَّىٰ أَنسَوُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ \* إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ \* قُلْ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَن كُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* أَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ \* وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ \* وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \*

كقوله (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) فتكون الانساب كأنها معدومة (ولا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضا الاشتغال كل أحد بنفسه ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف كثيرة (تلفح وجوههم النار) أي تصيدهم بالإحراق (كالحون) الكراح انكشاف الشفتين عن الأسنان ، وكثيرا ما يجري ذلك للكلاب ، وقد يجري للكباش إذا شويت رؤوسها ، وفي الحديث إن شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ وسط رأسه ، وفي ذلك عذاب وتشويه (غلبت علينا شقوتنا) أي ما قدر عليهم من الشقاء ، وقرئ شقاوتنا ، والمعنى واحد (قال اخسؤا) كلمة تستعمل في زجر الكلاب ، ففيها إهانة وإبعاد (ولا تكلمون) أي لا تكلمون في رفع العذاب حينئذ يأسون من ذلك ، أعاذنا الله من ذلك برحمته (سخريا) بضم السين من السخرة بمعنى التخديم ، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء ، وقد يقال هذا بالضم ، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين ، على أن معنى الاستهزاء هنا اليلق لقوله « وكنتم منهم تضحكون » (كم لبثتم في الأرض) يعني في جوف الأرض أمواتا ، وقيل أحياء في الدنيا ، فأجابوا بأنهم لبثوا يوما أو بعض يوم لاستقصاء المدة أولما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئا (فاسأل العادين) أي اسأل من يقدر على أن يعد ، وهو من عوفي عما ابتلوا به أو يعنون الملائكة (إن لبثتم إلا قليلا) معناه أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين أبدا (عبثا) أي باطلا ، والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب (لا برهان له به) أي لا حجة ولا دليل ، والجملة صفة لقوله إلها آخر ، وجواب الشرط (فإنما حسابه عند ربه) لأنه لا يفلح الكافرون (الضمير للأمر والشأن ، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين ، ليبين البون بين الفريقين والله أعلم

## سورة النور

مدنيه وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ هـ  
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

## سورة النور

(سورة أنزلناها) السورة خبر ابتداء مضمرة ، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره فيما أنزل عليكم سورة ، وأنزلناها صفة للسورة ، وفرضناها : أى فرضنا الأحكام التى فيها وقرئ بالتشديد للبالغة (آيات بينات ) يعنى ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال ، وقيل معنى بينات هنا ليس فيها مشكل (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ) الزانية والزانى يراد بهما الجنس ، وقدم الزانية لأن الزنا كان حينئذ فى النساء أكثر ، فإنه كان منهن إماء وبغايا يباحرن بذلك ، وإعراب الزانى والزانية كإعراب : السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، وقذف كرفى المائدة ، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما فى سورة النساء من الإمساك فى البيوت فى الآية الواحدة ومن الأذى فى الأخرى ، ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه ، فإن جلد المائدة إنما هو حد الزانى والزانية إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين ، فيخرج منها الكفار ، فيرتدون إلى أهل دينهم ، ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة ، فأما العبد والأمة : فحدهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير محصنين ، وأما المحصن والمحصنة فحدهما الرجم هذا على مذهب مالك ، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب ، فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم فى المسلمين والكافرين ، وفى الأحرار والعبيد والإماء ، وفى المحصن وغير المحصن ، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء ، منها باتفاق ، ومنها باختلاف ، فأما الكفار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أو لم يحصنوا : أخذوا بعموم الآية ، ورأى الشافعى أن حدهم كحد المسلمين الجلد إن لم يحصنوا ، والرجم إن أحصنوا أخذوا بالآية ، وبرجم النبي صلى الله عليه وسلم لليهودى واليهودى إذ زنيا ، ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى : فى سورة النساء « واللاقى يأتين الفاحشة من نسائكم ، فخص نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه ، ولكن بقيت فى محلها ، وأما العبد والأمة : فرأى أهل الظاهر أن حد الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى « فعلمين نصف ما على المحصنات من العذاب ، وأن حد العبد الجلد مائة لعموم الآية ، وقال غيرهم يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة ، إذ لافرق بينهما ، وأما المحصن فقال الجمهور حده الرجم فهو مخصوص فى هذه الآية ، وبعضهم يسمى هذا التخصيص نسخاً ، ثم اختلفوا فى التخصيص أو النسخ ، فقيل الآية التى ارتفع لفظها وبقي حكمها وهى قوله « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ، وقيل النسخ لها السنة الثابتة فى الرجم ، وقال أهل الظاهر وعلى بن أبى طالب : يجلد المحصن بالآية ، ثم يرمى بالسنة لجمعوا عليه الحدين ، ولم يجعلوا الآية منسوخة ، ولا مخصصة ، وقال الخوارج لا رجم أصلاً فإن الرجم ليس فى كتاب الله ، ولا يمتد بقولهم ، وظاهر الآية الجلد دون تغريب ، وبذلك قال أبو حنيفة ، وقال مالك الجلد والتغريب سنة للحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ، الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ \* وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن

عام ، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك ، وصفة الجلد عند مالك في الظهر والمجلود جالس وقال الشافعي يفرق على جميع الاعضاء والمجلود قائم ، وتستتر المرأة بثوب لا يقبها الضرب ، ويجزئ الرجل عند مالك وقال قوم يجلد على قميص (ولا تأخذكم بهما رافة) قيل يعني في إسقاط الحد : أى أقيموه ولا بد ، وقيل في خفيف الضرب ، وقيل في الوجهين . فعلى القول الأول يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وعلى القول الثاني والثالث يكون الضرب في الزنا أشد ، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة فمنعه مالك وأجازه أبو حنيفة لما ورد في قصة أيوب عليه السلام ، وأجازه الشافعي للمريض لورود ذلك في الحديث (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) المراد بذلك توبيخ الزناة والغاظة عليهم ، واختلف في أقل ما يجزئ من الطائفة فقيل أربعة اعتباراً بشهادة الزنا وهو قول ابن أبي زيد ، وقيل عشرة ، وقيل اثنين وهو مشهور مذهب مالك ، وقيل واحد (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) الآية : معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا ، وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك ولا يوافق عليه من النساء إلا زانية أو مشركة ، وينكح على هذا بمعنى يجامع ، وقيل معناها لا يحل لزنان أن يتزوجا إلا زانية أو مشركة ، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانياً أو مشركاً ، ثم نسخ هذا الحكم وأيسح لها الزوج بمن شاء ، والأول هو الصحيح (وحرّم ذلك على المؤمنين) الإشارة بذلك إلى الزنا أى حرّم الزنا على المؤمنين وقيل الإشارة إلى تزوج المؤمن غير الزاني بزانية ، فإن قوماً منعوا أن يتزوجها ، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها وهو بعيد ، وأجاز تزويجها مالك وغيره ، وروى عنه كراهته (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدَةً) هذا حد القذف وهو الفرية التي عبر الله عنها بالرمي والمحصنات يراد بهن هنا العفاف من النساء ، وخصن بالذكرك لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال ، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم ، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد ، وقيل إن المعنى يرمون الأنثى المحصنات فيم اللفظ على هذا النساء والرجال ، ويحتاج هنا إلى الكلام في القذف والقاذف والمقذوف والشهادة في ذلك ، فأما القذف فهو الرمي بالزنا اتصافاً . أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي لعموم لفظ الرمي في الآية ، خلافاً لآبي حنيفة ، أو النفي من النسب ، ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كالتصريح خلافاً للشافعي وأبي حنيفة ، وأما القاذف فيحد : سواء كان مسلماً أو كافراً لعموم الآية ، وسواء كان حراً أو عبداً إلا أن العبد والأمة إنما يحذان أربعين عند الجمهور فنصفوا أحدهما قياساً على تنصيفه في الزنا خلافاً للظاهرية ، ولا يحد الصبي ولا المجنون لكونهما غير مكلفين ، وأما المقذوف فذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رمى به ، والتسكن من الوطء تحرزاً من المجبوب وشبهه ، فلا يحد عنده من قذف صبياً أو كافراً أو مجرباً أو عبداً ومن لا يمكنه الوطء وقد قيل يحد من قذف واحداً منهم لعموم الآية وانفقوا على اشتراط البراءة مما رمى به وأما الشهادة التي

بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ \* وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ \* إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ

تسقط حد القذف ، نفى أن يشهد شاهدان عدلان بأن المذنوب عبدا أو كافرا ويشهد أربعة شهود ذكر عدول على المعاينة لما قذف به كالمروء في المسكحة ، ويؤدون الشهادة مجتمعين ( إلا الذين تابوا ) تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام ، وهي الحدودة شهادة القاذف وتفسيره ، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسير وأن ذلك يزول عنه بالتوبة ، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحد وأنه لا يسقط عنه بالتوبة ، واختلف هل يرجع إلى رد الشهادة أم لا : فقال مالك إذا تاب قبلت شهادته ، خلافا لآبي حنيفة ، وتوبته هو صلاح حاله في دينه وقيل لكذاب نفسه ( والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهاداء إلا أنفسهم ) هذه الآية في قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك ، وسبها أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يحد مع امرأته رجلا أيقضه فتقتلونه أم كيف يصنع ، فسكت عنه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عاد فقال مثل ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبك فأتني بها فأني بها فتلاعنا وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وموجب اللعان عند مالك شيئان : أحدهما أن يدعى الزوج أنه رأى امرأته تزني ، والآخر أن ينفي حملها ويدعى الاستبراء قبله ، فإذا تلاعن الزوج تعلق به ثلاثة أحكام نفى حد القذف عنه ، وانتفاء سبب الولد منه ووجوب حد الزنا عليها إن لم تلاعن ، فإن تلاعن سقط الحد عنها ، ولفظ الآية عام في الزوجات الحرائر والممالك ، والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم ، وبذلك أخذ مالك واشترط في الزوج الاسلام واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حرين عدلين ( فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ) أى يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني أو أشهد بالله ما هذا الحمل منى ولقد زنت وإني في ذلك لمن الصادقين ، ثم يقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وزاد أشهد أن يقول أشهد بالله الذى لا إله إلا هو ، وانتصب أربع شهادات بالله على المصدرية ، والعامل فيه شهادة أحدهم وقرئ بالرفع وهو خبر شهادة أحدهم ، وقوله بالله وإنه لمن الصادقين من صلة أربع شهادات أو من صلة شهادة أحدهم ( والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ) قرئ بنصب الخامسة هنا وفي الموضع الثانى ، وانتصب بفعل مضمرة تقديره ويشهد الخامسة ، أو بالعطف على أربع شهادات على قراءة النصب ، وقرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على أربع شهادات بقراءة الرفع ، وقرئ أن لعنة ، وأن غضب : بتشديد أن ، ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء ( ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ) العذاب هنا حد الزنا أى يدفعه اللعان المرأة ، وهى أن تقول أربع مرات أشهد بالله ما زنت ، وإنه فى ذلك لمن الكاذبين ، ثم تقول فى الخامسة : غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام : دفع الحد عنها ، والتفريق بينها وبين زوجها ، وتأيد الحرمة ( ولولا فضل الله ) جواب لو محذوف هنا

مَنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ۝ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَلَوْلَا نَسَكَ اللَّهُ الْكَذِبُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ

وفي الموضع الآخر تقديره لولا فضل الله عليكم لاخذكم ، أو نحوه هذا (إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم) الإفك : أشد الكذب ، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ستة عشر آية في شأن سيدتنا عائشة رضي الله عنها وفي برأيتها بما رماها به أهل الإفك وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة برأي يوسف بشهادة الشاهد من أهلها وبرأي موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأي مريم بكلام ولدها في حجرها وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها وقد خرج حديث الإفك البخاري ومسلم وغيرهما ، واختصاره أن عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس ، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل ، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة ، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش ، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ما بال رجال رموا أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليا إلا خيرا ، وسأل جارية عائشة ، فقالت : والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين ، ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة ، وهم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ، وجمحة بنت جحش ، ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت ، وقيل إن حسانا لم يكن منهم وارتفاع عصبة لأنه خبر إن ، واختار ابن عطية أن يكون عصبة بدلا من الضمير في جاؤا ، ويكون الخبر لا تحسبوه شرًّا لكم على تقدير إن حديث الذين جاؤا بالإفك ، والأول أظهر (بل هو خير لكم) خطاب للمسلمين ، والخير في ذلك من خمسة أوجه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها ، والأجر الجزيل لها في القرية عليها ، وموعدة المؤمنين ، والانتقام من المقترين (والذي تولى كبره) هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق ، وقيل الذي بدأ بهذه القرية غير معين والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة (لولا) إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) لولا هنا عرض والمدنى أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة أبعد لفضلها ، وروى أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري ، فقال لزوجته : أكنت أنت تفعلين ذلك ، قالت لا والله ، قال فعائشة أفضل منك ؟ قالت نعم ، فإن قيل : لم قال سمعتموه بلفظ الخطاب ، ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله ظن المؤمنون ، ولم يقل ظنتم ؟ فالجواب أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرًّا (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) لولا هنا عرض ، والضمير في جاءوا لأهل الإفك ، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء (أنفتم فيه) يقال أفاض في الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه (إذ تلقونه بألسنتكم) العامل في إذ قوله مسكم أو أفضتم ، ومعنى تلقونه : يأخذ به من بعض ، وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم

مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ \* وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ  
بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ \* يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ  
الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ  
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* وَلَا يَأْتِلِ  
أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

في حديث الإفك ، وإن كانوا لم يصدقوه ، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والتكليف له بالكلية ،  
فدعاهم على ثلاثة أشياء ، وهى : تلقيه بالالسنة : أى السؤال عنه وأخذه من المسؤل والثانى قولهم ذلك ،  
والثالث أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم ، وفائدة قوله بالسنةكم وبأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك  
الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم ( ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا  
أن نتكلم بهذا ) أى كان الواجب أن يبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعهم له ، ولولا أيضا في هذه  
الآية عرض ، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما ، ولكنه فصل بينهما بقوله إذ سمعتموه لأن  
الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها ، والقصد بتقديم هذا الطرف الاعتناء به ، وبيان أنه كان الواجب  
المبادرة إلى إنكار الكلام في أول وقت سمعتموه ، ومعنى ما يكون لنا ما ينبغي لنا ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا  
( سبحانه ) تنزيه لله عن أن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما قال أهل الإفك ، وقال  
الزمخشري : هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر ، والاستبعاد له ، والأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية  
العجائب ( بهتان عظيم ) البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه والغيبة أن يقال ما فيه ( أن تعودوا لمثله ) تقديره  
يعظكم كراهة أن تعودوا لمثله ، ثم عظم الأمر وأكده بقوله إن كنتم مؤمنين ( إن الذين يحبون أن تشيع  
الفاحشة ) الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك ، ثم هو عام في غيرهم ممن اتصف  
بصفاتهم ، والعذاب في الدنيا الحد ، وأما عذاب الآخرة ، فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا على  
ذنوب لم يعاقب عليه في الآخرة فأشكل اجتماع الحد مع عذاب الآخرة في هذا الموضع ، فيحتمل أن يكون  
القاذف يعذب في الآخرة ولا يسقط الحد عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود ، أو يكون هذا  
مخصصا بمن قذف عائشة ، فإنه روى عن ابن عباس أنه قال : من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من  
خاض في أمر عائشة أو يكون لمن مات صراغير تائب ، أو يكون للمنافقين ( خطوات الشيطان ) ذكر في البقرة  
( الفحشاء والمنكر ) ذكر في النحل ( زكى ) أى تطهر من الذنوب ، وصلاح دينه ( ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة )  
أن يؤتوا أولى القربى معنى يأتل يحاف ، فهو من قولك آليت إذا حلفت ، وقيل معناه يقصر فهو من قولك



وَلِيَصْفَحُوا أَلَّا يُحِبُّوا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تُشْهِدُهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۝ الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّغُونَ بِمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأَتَدْخُلْنَ بيوْتَكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْلَمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝

أولت أى قصرت ومنه لا يألونكم خبالا، والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين أو الفضل في المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسعة هي اتساع المال، ونزلت الآية بسبب أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم في حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته؛ ولأنه قريبه، وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفر عن يمينه، قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومها في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) أى كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا لأنتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه إنى لأحب أن يغفر الله لى، ثم ردت النفقة إلى مسطح (المحصنات الغافلات) معنى المحصنات هنا العفاف ذوات الصون، ومعنى الغافلات السليطات الصدور، فهو من الغفلة عن الشر (لعنوا في الدنيا والآخرة) هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ولذلك لم يذكرفيه توبة، قال ابن عباس كل مذهب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة وقيل الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحد أو عذاب الآخرة (يوم تشهد) العامل فيه يوفيه، وكرر يومئذ تأكيد وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمرة (دينهم الحق) أى جزاؤهم الواجب لهم (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) هذه الآية تدل على أن ما قبلها في المنافقين، لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى المبين الظاهر الذى لا شك فيه (الحبيثات للحبيثين) الآية: معناها أن الحبيثات من النساء للحبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ففي ذلك رد على أهل الإفك، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات، وقيل المعنى أن الحبيثات من الأعمال للحبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ففيه أيضا رد على أهل الإفك، وقيل معناه أن الحبيثات من الأقوال للحبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك: أى أن أقوالهم الحبيثة لا يقولها إلا حبيث مثلهم (أولئك مبرؤن مما يقولون) الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير في يقولون للحبيثات والحبيثين والمراد تبرئة عائشة رضى الله عنها عما رميت به (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) هذه الآية أمر بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعم بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة، ومعنى تستأذنوا: تستأذنوا وهو مأخوذ من قولك آذنت الشيء إذا علمته، فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل هو مأخوذ من الانس ضد الوحشة؛ وقرأ ابن عباس حتى تستأذنوا، والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهى إلى الوجوب، واختلف

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ \* قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ

أيهما يقدم ، فقليل يقدم السلام ثم يستأذن فيقول السلام عليكم ، ثم يقول أَدْخُلْ ، وقيل يقدم الاستئذان لتقدمه في الآية ، وليس في الآية عدد الاستئذان ، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات ، وهو تفسير للآية (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قريش فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون ، فأباح هذه الآية دحرها بغير استئذان ، واختلف في البيوت غير المسكونة في هذه الآية ، فقليل هي الفنادق التي في الطرق ولا يسكنها أحد بل هي موقوفة ليأوى إليها كل ابن سبيل ، والمتاع على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك ، وقيل هي الحرب التي تدخل للبول والغائط ، والمتاع على هذا حاجة الإنسان ، وقيل هي حوائط القيسارية والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها ، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان في الحوائط واجب بإجماع (قل المؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) إعرابها كما عراب يقيموا الصلاة في إبراهيم ، وقد ذكر ومن أبصارهم للتبويض ، والمراد غض البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل ، وقيل معنى التبويض فيه أن النظرة الأولى لا حرج فيها ، ويمنع ما بعدها ، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة ، وقيل هي لا بداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة ، أو إلى ما لا يحل من النساء أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر وحفظ الفروج المأمور به : هو عن الزنا ، وقيل أراد ستر العورة ، والأظهر أن الجميع مراد (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعا ، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجني أم لا ، وعن سائر جسد المرأة أم لا ، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه ، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال (ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها) نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها ، وهو ما لا بد من النظر إليه عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك ، فقليل إلا ما ظهر منها يعنى الثياب فعلى هذا يجب ستر جميع جسدنا ، وقيل الثياب والوجه والكفان ، وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة وزاد أبو حنيفة القدمين (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الجيوب هي التي يقول لها العامة أطواق ، وسببها أن النساء كن في ذلك الزمان يلبسن ثيابا واسعات الجيوب يظهر منها صدورهن ، وكن إذا غطين رؤسهن بالآخر سدلها من وراء الظهر . فيبقى الصدر والعنق والأذنان لاستتر عليهن ، فأمرهن الله بلبس الآخر على الجيوب ليستتر جميع ذلك (ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن) الآية : المراد بالزينة هنا الباطنة ، فلما

أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ أَوْ نِسَائِهِمْ أَوْ مَمْلُوكَاتِ أَيْمَانِهِمْ أَوْ التَّبَعِينَ  
غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ  
مَائِخِفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ

ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذوى المحرم من الزينة الظاهرة ، وذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج  
وذوى المحارم من الزينة الباطنة ، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا ، ثم  
ثمى بذوى المحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة ، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب ، والمراد بالآباء كل  
من له ولادة من والد وجد ، وبالأبناء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد ، ولم يذكر في هذه الآية من  
ذوى المحارم : العم والخال ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة ، لأنهما من ذوى المحارم ، وكره ذلك  
قوم ، وقال الشافعى إنما لم يذكر العم والخال لثلاثا يصفان زينة المرأة لا ولادتهما (أونسائهن) يعنى جميع  
المؤمنات ، فكأنه قال أو صنفهن ويخرج عن ذلك نساء الكفار (أو مملكت أيمانهن) يدخل في ذلك الإمام  
المسلمات والكنائيات ، وأما العبيد : ففهم ثلاثة أقوال : منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعى ، والجواز  
وهو قول ابن عباس وعائشة ، والجواز بشرط أن يكون العبد وغدا وهو مذهب مالك ، وإنما أخذ جوازه  
من قوله « أو التابعين غير أولى الإربة » واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبي أم لا ؟ على  
قولين (أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال) شرط في رؤية غير ذوى المحارم شرطين : أحدهما أن  
يكونا تابعين ، ومعناه أن يتبع لشيء يعطاه كالوكيل والمتصرف ، ولذلك قال بعضهم هو الذى يتبعك  
ومهمته بطئه ، والآخر أن لا يكون لهم إربة في النساء كالحصى والمخنث والشيخ الهرم والاحمق ، فلا يجوز  
رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين ، وقيل بأحدهما ، ومعنى الإربة الحاجة إلى الوطء (أو الطفل الذين لم  
يظهروا على عورات النساء) أراد بالطفل الجنس ، ولذلك وصفه بالجمع ، ويقال طفل مالم يراهق الحلم  
ويظهروا معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء ، فمعناه الذين لم يطؤوا النساء ، وقيل الذين لا يدرون  
ماعورات النساء ، وهذا أحسن (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مائخفين من زينتهن) روى أن امرأة كان لها  
خلخالان ، فكانت تضرب بهما ليسمعهما الرجال ، فنهى الله عز وجل عن ذلك ، قال الزجاج إسماع صوت  
الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف  
بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وفرائضها ثلاثة : الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال ،  
لا من حيث أضر يدين أو مال ، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان ، والعزم  
أن لا يعود إليها أبداً ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزا مجتدا ، وآدابها ثلاثة : الاعتراف بالذنب مقروما  
بالانكسار ، والإكثار من التضرع والاستغفار ، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات ،  
ومراتبها سبع : فتوبة الكفار من الكفر ، وتوبة المخطئين من الذنوب الكبائر ، وتوبة العدول من الصغائر ،  
وتوبة العابدين من الفترات ، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات ، وتوبة أهل الورع من الشبهات ،  
وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات . والبواعث على التوبة سبعة : خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، والحجل

مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصِنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ

من الحساب ، وحببة الحبيب ، ومراقبة الرقيب القريب ، وتعظيم بالمقام ، وشكر الإناعام (وأنكحوا الأيامي منكم) الأيامي جمع أيم ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبكاراً أو ثيبات ، والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامي ، فاقضى ذلك النهى عن عضلهم من التزويج ، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح ؛ واشترط الولاية فيه ، وهو مذهب مالك والشافعي خلافاً لآبي حنيفة (والصالحين من عبادكم وإمائكم) يعنى الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإنائهم ، وقال الرخشي : الصالحين بمعنى الصلاح في الدين ، قال وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم ؛ ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافاً لمالك ، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمه على النكاح خلافاً للشافعي (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله ، ولذلك قال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح (وليس تغفروا الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على الزوج ، فقوله لا يجدون نكاحاً معناه لا يجدون استطاعة على الزوج بأى وجه تعذر الزوج ، وقيل معناه لا يجدون صداقاً للنكاح ، والمعنى الأول أعم ، والثاني أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة ، وهى مقاطعة العبد على مال منجم فإذا أذاه خرج حرّاً ، وإن عجز بقى رقيقاً ، وقيل إن الآية نزلت بسبب حويط بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه ، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة ، وهذا الأمر على النذب عند مالك والجمهور ، وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنس بن مالك حين سأله بملوكه سير بن الكتابة فلتكأ أنس فقال له عمر لتكاتبه أو لا وجعلك بالدرة ، وإنما حمله مالك على النذب لأن الكتابة كالبيع ، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها ، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا ؟ على قولين في المذهب (إن علمتم فيهم خيراً) الخير هنا القوة على أداء الكتابة بأى وجه كان ، وقيل هو المال الذى يؤدى منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس ، وقيل هو الصلاح في الدين (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته واختلف فيمن المخاطب بذلك فقيل هو خطاب للناس أجمعين ، وقيل للولاة ، والأمر على هذين القولين للنذب ، وقيل هو خطاب لسادات المكاتبين ، وهو على هذا القول نذب عند مالك ، ووجوب عند الشافعي فإن كان الأمر للناس ، فالمعنى أن يعطوهم صدقات من أموالهم ، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة ، وإن كان للسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم ، وقيل يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة ، وعلى القول بالخط من الكتابة اختلف في مقدار ما يحط ، فقبل الربع ، وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ كَرَاهِيهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا  
مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۚ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِثْلِ نُورِ كَشْكُوفَةٍ فِيهَا مُصْبِحٌ

وقبل الثالث ، وقال مالك والشافعي : لاحد في ذلك ، بل أقل ما ينطلق عليه اسم شيء ، إلا أن الشافعي يجبره على ذلك ، ولا يجبره مالك ، وزمان الخط عنه في آخر الكتابة عند مالك ، وقيل في أول نجم (ولا تكرر هو فتيانكم على البغاء ) معنى البغاء الزنا ، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك وسبب الآية أن عبد الله ابن أبي ابن سلول المناق كان له جاريتان ، فكان يأمرهما بالزنا لكسب منه وللولادة ، ويضربهما على ذلك ، فشكنا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله (إن أردن تحصنا) هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن وهو التعفف ، وقيل هو راجع إلى قوله وأنكحوا الأيامى وذلك بعيد (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) يعني ما تكسبه الأمة بفرجها ، وما تلده من الزنا ؛ ويتعلق لتبتغوا بقوله لا تكرر هو (ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) المعنى غفور لهن رحيم بهن لا يؤاخذهن بالزنا ، لأنهن أكرهن عليه ، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذي يكرههن إذا تاب من ذلك (آيات مبينات) بفتح الياء : أى بيّن بها الله ؛ وبالكسر مبينات للأحكام والحلال والحرام (ومثلاً) يعنى ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا ، لأنه كان حراماً في كل ملة أو في براعة عائشة كما برأ يوسف ومريم (الله نور السموات والأرض) النور يطلق حقيقة على الضوء الذى يدرك بالابصار ، ويجازا على المعاني التى تدرك بالقلوب ، والله ليس كمثل شيء ، فتأويل الآية الله ذو نور السموات والأرض ؛ ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة في أنه كريم ، فإن أراد بالنور المدرك بالابصار ، فمعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذى فيهما من الشمس والقمر والنجوم ، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود ، وإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء ، ومن هذا المعنى قرأ على بن أبي طالب : الله نور السموات والأرض ، بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو : أى جعل فيهما النور ، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب ، فمعنى نور السموات والأرض جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض ولهذا قال ابن عباس : معناه هادى أهل السموات والأرض (مثل نوره كشكاة فيها مصباح) المشكاة هى الكوة غير النافذة تكون فى الحائط ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة ، وقيل المشكاة العمود الذى يكون المصباح على رأسه ، والأول أصح وأشهر ، والمعنى صفة نور الله فى وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة ، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم ، لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار ، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه وقيل الضمير فى نوره عائد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل على القرآن ، وقيل على المؤمن ، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير ، فإن قيل : كيف يصح أن يقال الله نور السموات والأرض فأخبر أنه هو النور ، ثم أضاف النور إليه فى قوله مثل نوره ، والمضاف عين المضاف إليه ؟ فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذى قدمناه أى الله ذو نور السموات والأرض ، أو كما تقول زيد كرم ، ثم تقول ينعش الناس بكرمه

المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار \* ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب \* والذين

(المصباح في زجاجة) المصباح هو الفتيل بناره ، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهى ، لأنه جسم شفاف (الزجاجة كأنها كوكب دري) شبه الزجاج في إنارتها بكوكب دري ، وذلك يحتمل معنيين إيمان يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها ، وإيمان يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفاتها ورقة جوهرها ، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح ، والمراد بالكوكب الدري أحد الدراري المضيئة : كالمشترى ، والزهرة ، وسهيل ، ونحوها ، وقيل أراد الزهرة ، ولادليل على هذا التخصيص ، وقرأ نافع دري بضم الدال وتشديد الياء بغير همزة وهذه القراءة وجهان : إيمان ينسب الكوكب إلى الدر ليأضه وصفائه ، أو يكون مسهلاً من الهمز ، وقرئ بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال ، وهو مشتق من الدر بمعنى الدفع (يوقد من شجرة مباركة زيتونة) من قرأ يوقد بالياء أو توقد بالفعل الماضي فالفعل مسند إلى المصباح ، ومن قرأ توقد بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاج ، والمعنى : توقد من زيت شجرة مباركة ، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها ، أولانها تنبت في الأرض المباركة وهي الشام (لا شرقية ولا غربية) قيل يعني أنها بالشام فليست من شرق الأرض ولا من غربها ، وأجود الزيتون زيتون الشام ، وقيل هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار ، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ، وللغرب فتسمى غربية بل هي غربية شرقية ، لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب ، وقيل إنها في وسط دوحة لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب ، وقيل إنها من شجرة الجنة ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) مبالغة في وصف صفائه وحسنه (نور على نور) يعني اجتماع نور المصباح وحسن الزجاج وطيب الزيت ، والمراد بذلك كمال النور الممثل به (يهدى الله لنوره من يشاء) أي يوفق الله من يشاء لإصابة الحق (في بيوت) يعني المساجد ، وقيل بيوت أهل الإيمان من مساجد ومساكن ، والأول أصح ، والجاري يتعلق بما قبله : أي كشكاة في بيوت ، أو توقد في بيوت ، وقيل بما بعده وهو يسبح ، وكرر الجاز بعد ذلك تأكيداً ، وقيل بمحذوف : أي سبحوا في بيوت أذن الله أن ترفع ، والمراد بالإذن الأمر ، ورفعها بناؤها ، وقيل تعظيمها (بالغدو والآصال) أي غدوة وعشية وقيل أراد الصبح والعصر وقيل صلاة الضحى والعصر (رجال) فاعل يسبح على القراءة بكسر الباء ، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمر يدل عليه الأول (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أي لا تشغلهم ، ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها ، والبيع من التجارة ، ولكنه خصه بالذكر تمييزاً كقوله : فأكهه ونخل ورمان ، أو أراد بالتجارة الشراء (تقلب فيه القلوب والآبصار) أي تضطرب



كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝

من شدة الهول والخوف ، وقيل تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى ، لأن الحقائق تنكشف حينئذ ، والاول أصح كقوله : وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وفي قوله «تنقلب فيه القلوب» تجنيس (ليجزئهم الله) متعلق بما قبله ، أو بفعل من معنى ما قبله (أحسن ماعملوا) تقديره جزاء أحسن ماعملوا (ويزيدهم من فضله) يعنى زيادة على ثواب أعمالهم (بغير حساب) ذكر في البقرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثلين لأعمال الكافرين : الاول يقتضى حال أعمالهم في الآخرة ، وأنها لا تنفعهم ، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب ، والثاني يقتضى حال أعمالهم في الدنيا ، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض ، والسراب هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض ، وقيل بمعنى القاع وليس بجمع (يحسبه الظمآن ماء) الظمآن العطشان أى يظن العطشان أن السراب ماء ، فيأتيه ليشربه ، فإذا جاءه خاب مأمل ، وبطل ما ظن ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه ، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب (حتى إذا جاءه) ضمير الفاعل للظمآن ، وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (لم يجده شيئاً) أى شيئاً ينفع به أو شيئاً موجوداً على العموم لأنه معدوم ، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمآن وضمير المفعول للسراب . أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (ووجد الله عنده) ضمير الفاعل في وجد للكافر ، والضمير في عنده لعمله ، والمعنى وجد الله عنده بالجزء ، أو وجد زبانية الله (أو كظلمات) هذا هو المثال الثاني ، وهو عطف على قوله كسراب ، والمشبّه بالظلمات أعمال الكافر : أى هم من الضلال والخيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب (في بحر لجي) منسوب إلى اللج ، وهو معظم الماء ، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال قوبلت به أجزاء الممثل به : فالظلمات أعمال الكافر ، والبحر اللج صدره ، والموج جهله ، والسحاب الغطاء الذي على قلبه ، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور المذكور قبلها مبالغة (إذا أخرج يده لم يكديرها) المعنى مبالغة في وصف الظلمة ، والضمير في أخرج وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة واختاف في تأويل الكلام : فقيل المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها ، فنفي الرؤية ومقاربتها ، وقيل بل رآها بعد عسر وشدة ، لأن كاد إذا نفيت تقتضى الإيجاب ، وإذا أوجبت تقتضى النفي ، وقال ابن عطية : إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها فأما إذا دخل حرف النفي على كاد كقوله لم يكدر ، فإنه يحتمل النفي والإيجاب (ومن لم يجعل الله له نوراً) أى من لم يهده الله لم يهتد ، فالتور كناية عن الهدى ، والإيمان في الدنيا ، وقيل أراد في الآخرة أى من لم يرحمه الله فلا رحمة له ، والاول أليق بما قبله (ألم تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ) الرؤية هنا بمعنى العلم والتسبيح التزيه والتعظيم وهو من العقلاء بالنطق ، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل ، فقال الجمهور إنه حقيقى ، ولا يبعد أن

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا  
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ  
مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ۝ يَلْقَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ۝ وَاللَّهُ  
خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَنَانِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ  
يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ ۝ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرُّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝  
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝  
أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ  
قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ  
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ

يلهمها الله التسبيح ، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدى إليها العقلاء ، وقيل تسبيحه ظهور الحكمة فيه  
( صفات ) يصفن أجنحتهن في الهواء ( كل قد علم ) الضمير في علم الله ، أو لكل ، والضمير في صلاته وتسبيحه  
اكل ( بزجي ) معناه يسوق ، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثفيل كالسحاب ( ركاما ) متكاثف بدنه فوق  
بعض ( الودق ) المطر ( من خلاله ) أي من بينه ، وهو جمع خلل كجبل وجبال ( وينزل من السماء من جبال فيها من برد )  
قيل إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل في السماء جبالا من برد ، وقيل إنه مجاز كقولك عند فلان جبال من مال  
أو علم : أي هي في الكثرة كالجبال ، ومن في قوله « من السماء » لا ابتداء الغاية ، وفي قوله « من جبال » كذلك ، وهي بدل  
من الأولى ، وتكون للتبعض ، فتكون مفعول ينزل ، ومن في قوله من برد : لبيان الجنس أو للتبعض فتكون مفعول  
ينزل ، وقال الأخفش هي زائدة ، وذلك ضعيف ، وقوله « فيها » صفة للجبال ، والضمير يعود على السماء ( سنا برقه )  
السنا بالقصر الضوء ، وبالمجد والشرف ( يلقب الله الليل والنهار ) أي يأتي بهذا بعد هذا ( خلق كل دابة ) يعني نبي آدم  
والبهائم والطير لأن ذلك كله يدب ( من ماء ) يعني المي ، وقيل الماء الذي في الطير الذي خلق منه آدم وغيره ( على  
بطنه ) كالحيات والحوت ( ويقولون آمنا ) الآية : نزلت في المنافقين ، وسبها أن رجلا من المنافقين كانت بينه  
وبين يهودى خصومة ، فدعاه اليهودى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ، ودعاه إلى كعب بن الأشرف  
( مذعنين ) أي منافقين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم ( أفي قلوبهم مرض ) توقيف يراد به التوبيخ ، وكذلك  
ما بعده ( أن يحيف ) معناه أن يحجور ، والحيف الميل ، وأسند إلى الله ، لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه ( إنما  
كان قول المؤمنين ) الآية . معناها إنما الواجب أن يقول المؤمنون : سمعنا وأطعنا إذا دعوا إلى الله ورسوله ،  
وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه ( ومن يطع الله ورسوله ) الآية : قال ابن عباس : معناها من

لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تُقَسِّمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۖ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۖ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۖ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۚ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ ذَنْبُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ

يطع الله في فرائضه ورسوله في سنته (ويخشى الله) فيما مضى من ذنوبه (ويثق به) فيما يستقبل، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية، وسمعا بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال إنها جمعت كل مافي النوراة والإنجيل (وأقسموا) أى حلفوا، والضمير للمنافقين (جهداً أيمانهم) أى بالغوا في اليمين وأكادوها (ليخرجن) بمعنى إلى الغزو (قل لا تقسموا) نهى عن اليمين الكاذبة لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل (طاعة معروفة) مبتداً وخبره محذوف أى طاعة معروفة أمثل وأولى بكم، أو خبر مبتداً محذوف أى المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها (عليه ما حمل) بمعنى تبليغ الرسالة (وعليكم ما حاتم) بمعنى السمع والطاعة واتباع الشريعة (ليستخلفنهم في الأرض) وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة، وقيل إن المراد بالآية: خلافة أبى بكر وعثمان وعلى رضى الله عنهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الخلافة بعدى ثلاثون سنة، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة على، فإن قيل، أين القسم الذى جاء قوله: ليستخلفنهم، جواباً له؟ فالجواب أنه محذوف تقديره: وعدهم الله وأقسم، أو جعل الوعد بمنزلة القسم لتحققه (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قيل المراد بالذين ملكت أيمانكم: الرجال خاصة، وقيل النساء خاصة، لأن الرجال يستأذنون في كل وقت وقيل الرجال والنساء (والذين لم يبلغوا الحلم) يعنى الأطفال غير البالغين (ثلاث مرات) نصب على الظرفية لأنهم أمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن، فعنى الآية أن الله أمر المالك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وهى قبل الصبح وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الأخيرة، لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للوم في غالب أمرهم، وهذه الآية محكمة؛ وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها، وحملها بعضهم على النذب (تضعون ثيابكم) يعنى تتجردون (الظهيرة) وسط النهار (ثلاث عورات) جمع عورة من الانكشاف كقوله بيوتنا عورة، ومن رفع ثلاث فهو خبر ابتداء مضمرة تقديره هذه الأوقات ثلاث عورات لكم: أى تنكشفون فيها، ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة أى ليس عليكم

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِهْمَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

ولا على المماليك والأطفال حناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة (طوافون عليكم) تقديره المماليك والأطفال طوافون عليكم ، فلذلك يؤمر بالاستئذان في كل وقت (بعضكم على بعض) بدل من طوافون : أى بعضكم يطوف على بعض وقال الزمخشري هو مبتدأ أى بعضكم بطوف على بعض أفاعل بفعل مضمر ( وإذ بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات ، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها : أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال (والقواعد من النساء) جمع قاعدة وهي العجوز ، فقيل هي التي قعدت عن الولد ، وقيل التي قعدت عن التصرف ، وقيل التي إذا رأيتها استقذرتها (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبيح لغيرهن من وضع الثياب ، قال ابن مسعود إنما أبيع لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء ، وقال بعضهم : إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها (غير متبرجات بزينة) إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة ، والتبرج هو الظهور (وأن يستعففن خير لهن) المعنى أن الاستعفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها والأولى لهن أن ياترن ما يلزمن شباب النساء من الستر (ليس على الأعشى حرج) الآية اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعشى والأعرج والمريض في هذه الآية ، فقيل هو في الغزو أى لا حرج عليهم في تأخيرهم عنه ، وقوله ولا على أنفسكم ، مقطوع من الذي قبله على هذا القول كأنه قال : ليس على هؤلاء الثلاثة حرج في ترك الغزو ، ولا عليكم حرج في الأكل ، وقيل الآية كلها في معنى الأكل ، واختلف الذهابون إلى ذلك ، فقيل إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذروهم الناس ، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس ، وقيل إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار في بيوتهم ، وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب ، فنزلت الآية في ذلك ، وقيل إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا ، فنزلت الآية ، وهذا ضعيف . لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم ، وقيل إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم عنه أعمارهم من الجهاد وغيره ( ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أباح الله تعالى للإنسان الأكل في هذه البيوت المذكورة في الآية ، فبدأ ببيت الرجل نفسه ، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن ، لأنه دخل في قوله من بيوتكم ، لأن بيت ابن الرجل بيته ، لقوله عليه الصلاة والسلام : أنت ومالك لأبيك ، واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة فذهب قوم إلى أنه منسوخ ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه والناسخ قوله تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه ،

أَعْمَلَكُمْ أَوْ بِيوتِ عَمَلِكُمْ أَوْ بِيوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بِيوتِ خَلَلِكُمْ أَوْ مَمْلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لِهِمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

وقيل الآية محكمة ، ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك ، وقيل بإذن وبغير إذن (أو مملكتم مفاتيحه) يعني الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتيح مخازن أموال ساداتهم ، فأباح لهم الأكل منها ، وقيل المراد ممالك الإنسان من مفاتيح نفسه وهذا ضعيف (أو صديقكم) الصديق يقع على الواحد والجماعة ، كالعدو ، والمراد به هنا جمع ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله آباءكم وأمهاتكم وغير ذلك ، وقرن الله الصديق بالقرابة ، لقرب مودته ، وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) إباحة للأكل في حال الاجتماع والانفراد ، لأن بعض العرب كان لا يأكل وحده أبداً خيفة من البخل ، فأباح لهم الله ذلك (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم) أى إذا دخلتم بيوتاً مسكونة ، فسلموا على من فيها من الناس ، وإنما قال على أنفسكم بمعنى صنفكم كقوله «ولا تلبسوا أنفسكم» وقيل المعنى إذا دخلتم بيوتاً خالية فسلموا على أنفسكم بأن يقول الرجل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وقيل يعنى بالبيوت المساجد ، والأمر بالسلام على من فيها ، فإن لم يكن فيها أحديهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين (وإذا كانوا معه على أمر جامع) الآية : الأمر الجامع هو ما يجمع الناس للبشارة فيه ، أو للتعاون عليه . ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة ، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة ، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان (لبعض شأنهم) أى لبعض حوائجهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) في معناها ثلاثة أقوال الأول أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهم ليجتمعوا إليه في أمر جامع أو في قتال وشبه ذلك ، فالمعنى أن إجابتهم له إذا دعاهم واجبة عليهم بخلاف إذا دعا بعضهم بعضاً ، فهو كقوله تعالى : استجبوا لله وللرسول إذا دعاهم ، ويقوى هذا القول مناسبتة لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع ، والقول الثانى أن المعنى لا تدعوا الرسول عليه السلام باسمه كما يدعو بعضهم بعضاً باسمه بل قولوا يا رسول الله أو يا نبي الله تعظيماً ودعاً بأشرف أسمائه ، وقيل المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض : أى دعاؤه عليكم يجاب فاحذروه ، ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى على أن المعنى صحيح (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) الذين ينصرفون عن حفر الخندق ، والراذال والروغان والخالفه ، وقيل الانصراف في خفية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الضمير لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ، واختلف في عن هنا ،

يُصِيبُهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ \* أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \*

## سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا \* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا \* وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْكِرْتَهُ وَأَعَاثُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا \* وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُكْتَتِبَتْهَا فَيْهِي تَمْثِلًا عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي

فقيل إنها زائدة وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية : معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول : كان المطر عن ريح ، قال الزمخشري يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد الناس عنه ، فمعنى يخالفون عن أمره يصدّون الناس عنه ، فهدف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف (فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الفتنة في الدنيا بالزوايا أو بالفضيحة أو القتل أو العذاب في الآخرة (ق. يعلم ما أنتم عليه) دخلت قد لنا كيد ، وفي الكلام معنى الوعيد ، وقيل معناها التقليل على وجه التهكم والخطاب لجميع الخلق ، أو للمنافقين خاصة (ويوم يرجعون إليه) يعنى المنافقين ، والعامل في الظرف بينهم .

## سورة الفرقان

(تبارك) من البركة وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع (على عبده) يعنى محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وذلك على وجه التشريف له والاختصاص (ليكون للعالمين نذيراً) الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم أو للقرآن ، والأول أظهر وقوله للعالمين ، عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره ، ومن يأتي بعده إلى يوم القيامة ، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوة والتوحيد ، والرد على من خالف في ذلك (فقدره تقديراً) الخلق عبارة عن الإيجاد بعد العدم ، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة ، وتخصيص كل مخلوق بمقداره ، وصفته ، وزمانه ومكانه ، ومصالحته ، وأجله ، وغير ذلك (واتخذوا) الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى (وأعاضه عليه قوم آخرون) يعنون قوماً من اليهود منهم عداس ويسار وأبوفكيهة الرومي (قد جاءوا ظلماً وزوراً) أى ظلموا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما نسبوا إليه وكذبوا في ذلك عليه (وقالوا أساطير الأولين) أى مأسطره الأولون في كتبهم ، وكان الذى يقول هذه المقالة النضر بن الحارث (اكتتبها) أى كتبها له كاتب ، ثم صارت تملى عليه ليحفظها . وهذا حكاية كلام الكفار ، وقال الحسن إنها من قول الله على وجه الرد عليهم ، ولو كان ذلك لقال أكتتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار ،



يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا \* أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا \* أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا \* تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا \* بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا \* إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا \* وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا \* لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا \* قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا \* لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ

وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا وينبغي على قول الحسن أن يوقف على أساطير الأولين ( قل أنزله الذي يعلم السر ) رد على الكفار في قولهم ويعني بالسر : ما أسره الكفار من أقوالهم ، أو يكون ذلك على وجه التنصل والبراءة مما نسب الكفار إليه من الافتراء أي أن الله يعلم سرى فهو العالم بأني ما اقتريت عليه ، بل هو أنزله على ، فإن قيل ما مناسبة قوله « إنه كان غفوراً رحيماً ، لما قبله ؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفار : أعقبها بذلك ، لبيان أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم ، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم ( وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ) الآية : قال هذا الكلام قریش طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقد رده الله عليهم بقوله « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، وقولهم « هذا الرسول ، على وجه التهم كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم ، أو يعنون الرسول بزعمه ، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم : لولا أنزل إليه ملك وما بعده ، ثم وصفهم بالظلم ، وقد ذكرنا معنى مسحوراً في سبجان ( ضربوا لك الأمثال ) أي قالوا فيك تلك الأقوال ( فلا يستطيعون سبيلاً ) أي لا يقدر على الوصول إلى الحق لبعدهم عنه وإفراط جهلهم ( خيراً من ذلك ) الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا ( جنات تجري من تحتها الأنهار ) يعني جنات الآخرة وقصورها وقيل يعني جنات ، وقصوراً في الدنيا ، ولذلك قال إن شاء ( إذا رأتهم ) أي إذا رأتهم جهنم وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة أو مجازاً بمعنى صارت منهم بقدر ما يرى على البعد ( سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ) التغيظ لا يسمع وإنما المسموع ، وإنما المسموع أصوات دالة عليه في لفظه تجوز ، والزفير أول صوت الحمار ( مكاناً ضيقاً ) تضيق عليهم زيادة في عذابهم ( مقرنين ) أي مربوط بعضهم إلى بعض ، وروى أن ذلك بسلاسل من النار ( دعوا هنالك ثبورا ) الثبور الويل وقيل الهلاك ، ومعنى دعائهم ثبورا : أنهم يقولون يا ثبورا كقول القائل واحسرتاه وأسفاه ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحداً ) تقديره يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضي ذلك وإن لم يكن ثم قول وإنما دعوا ثبورا كثيراً لأن عذابهم دائم ، فالثبور يتجدد عليهم في كل حين ( قل أذلك خير أم جنة الخلد ) إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار ، لأن الكلام توقيف وتوخيخ ، وإنما

عَلَىٰ رَبِّكَ وَعَدًّا مَّسْئُولًا ۖ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۚ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۖ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نُدْفَعُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۖ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا

يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبراً (وعداً مسئولاً) أى سألهم المؤمنين أو الملائكة في قولهم وأدخلهم جنات عدن ، وقيل معناه وعداً : واجب الوقوع لأنه حتمه (فيقول أأنتم أضللتهم عبادى هؤلاء) القائل لذلك هو الله عز وجل ، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم ، وقيل الأصنام خاصة ، والاول أرجح لقوله ثم نقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، وقوله : أن أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، (أم هم ضلوا السبيل) أم هنا معادلة لما قبلها ، والمعنى أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين أأنتم أضللتهم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أنتم ، ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله هم ، ليتحقق إسناد الضلال إليهم ، فإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور ليوبخ الكفار الذين عبدوهم (قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) القائلون لهذا هم المعبودون : قالوه على وجه التبرى من عبدتهم كقولهم أنت ولينا من دونهم ، والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ ، وإقامة الحجة عليهم (ولكن متعتهم وآباءهم) معناه أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته (قوما بوراً) أى هالكين ، وهو من البوار وهو الهلاك ، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد والجماعة (فقد كذبوكم بما تقولون) هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة أى قد كذبكم آلهتكم التى عبدتم من دون الله ، وتبرؤا منكم وقيل هو خطاب للمعبودين : أى كذبوكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا ، وقيل هو خطاب للمسلمين : أى قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشرعية ، وقرئ بما يقولون بالياء من أسفل ، والياء في قوله بما تقولون على القراءة بالتاء بدل من الضمير في كذبوكم ، وعلى القراءة بالياء كقولك كتبت بالقلم ، أو كذبوكم بقولهم (فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً) قرئ فاستطيعون بالتاء فوق ، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين ؛ والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم ، أو يكون الخطاب للمسلمين والصرف على هذا ردة التكذيب ، وقرئ بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين والصرف صرف العذاب (ومن يظلم منكم) خطاب للكفار وقيل للمؤمنين وقيل على العموم (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) تقديره وما أرسلنا رسلاً أو رجالاً قبلك ، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير في قوله إلا أنهم لىأكلون الطعام ، وهذه الآية ردة على الكفار في استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم ، فالغنى فتنة للفقير ،

أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا \* يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا \* وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا \* أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا \* وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ \* وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا \* الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَاقِ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا \* وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \* يَوَيْلَ لِّئَنِّي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا \* وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا \* وَكَذَلِكَ

والصحيح فتنة للمريض ، والرسول فتنة لغيره من يحسده ويكفر به (أتصبرون) تقديره لننظر هل تصبرون (لا يرجون لقاءنا) قيل معناه لا يخافون ، والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله ، وحينئذ يؤمنون فرد الله عليهم بقوله لقد استكبروا الآية : أى طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه ، وقوله فى أنفسهم كما تقول فلان عظيم فى نفسه أى عند نفسه أو بمعنى أنهم أضمو الكفر فى أنفسهم (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم ، فالعامل فى يوم معنى لا بشرى ، ويومئذ بدل (ويقولون حجرا محجورا) الضمير فى يقولون إن كان للسلائكة ، فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين حجرا محجورا أى حرام عليكم الجنة أو البشرى ، وإن كان الضمير للمجرمين ، فالمعنى أنهم يقولون حجرا بمعنى عودا لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره ، واتصابه بفعل متروك إظهاره نحو معاذ الله (وقدما إلى ما عملوا) أى قصدنا إلى أعمالهم فلفظ القدوم مجاز ، وقيل هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره (فجعلناه هباء منثورا) عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك ، وأنها لا تنفعهم لأن الإيمان شرط فى قبول الأعمال ، والهباء هى الأجرام الدقيقة من الغبار التى لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوكة ، والمشور المتفرق (خير مستقرا) جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار ، لأن هذا مستقر وهذا مستقر (وأحسن مقيلا) هو مفعول من النوم فى القائلة وإن كانت الجنة لانوم فيها ، ولكن جاء على ما تنعاره العرب من الاستراحة وقت القائلة فى الإمكنة الباردة ، وقيل إن حساب الخلق يكمل فى وقت ارتفاع النهار ، فيقبل أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار (ويوم تشقق السماء بالغمام) هو يوم القيامة وانشقاق السماء : انقطاعها ، ومعنى بالغمام أى يخرج منها الغمام ، وهو السحاب الرقيق الأبيض وحينئذ أنزل الملائكة إلى الأرض (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الندم والحسرة ، والظالم هنا عقبه بن أبى معيط ، وقيل كل ظالم والظلم هنا الكفر (مع الرسول) هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أو اسم جنس على العموم (ليتني لم أأخذ فلانا خليلا) روى أن عقبه جنح إلى الإسلام فهناه أبى بن خلف وأمية بن خلف فهو فلان ، وقيل إن عقبه نهى أبى بن خلف عن الإسلام ، فالظالم على هذا أبى و فلان عقبه ، وإن كان الظالم على العموم ففلانا على العموم أى خليل كل

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۚ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۚ  
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۚ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا \* وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۚ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ لِمِثْلِهِ لَمِثْلًا وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۚ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْفُرْيَةِ الَّتِي

كافر (وكان الشيطان للإنسان خذولا) يحتمل أن يكون هدا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالشيطان إيسر أو الخليل المذكور (وقال الرسول) قيل إن هذا حكاية قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الدنيا، وقيل في الآخرة (مهجورا) من الهجر بمعنى البعد والترك وقيل من الهجر بضم الهاء أى قالوا فيه الهجر حين قالوا إنه شعر وسحر والاول أظهر (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) العدو هنا جمع، والمراد تسليية النبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي بغيره من الأنبياء (وكفى ربك هاديا ونصيرا) وعد لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالهدى والنصرة (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) هذا من اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل (كذلك لنثبت به فؤادك) هذا جواب لهم تقديره أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم لحفظه: ولونزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه لأنه أى لا يقرأ، لحفظ المفرق عليه أسهل، وأيضا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضى أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه، وأيضا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة (ورتلناه ترتيلا) أى فرقناه تفريقا فإنه نزل بطول عشرين سنة وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذى يتعلق به كذلك وبه يتعلق لنثبت (ولا يأتونك بمثل) الآية معناها لا يوردون عليك سؤالا أو اعتراضا إلا أنيناك في جوابه بالحق، والتفسير الحسن الذى يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم (الذين يحشرون على وجوههم) يعنى الكفار، وحشروهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء في الحديث قيل يا رسول الله: كيف يحشر الكافر على وجهه: قال أليس الذى أمشاه في الدنيا على رجله قادرا على أن يمشيه في الآخرة على وجهه (شر مكانا) يحتمل أن يريد بالمكان المذلة والشرف أو الدار والمسكن في الآخرة (وزيرا) معينا (إلى القوم) يعنى فرعون وقومه، وفي الكلام حذف تقديره: فذهب إليهم فكذبوهما فدمرناهم (كذبوا الرسل) تأويله كما ذكر في قوله في هود فعصوا رسله (وأعدنا للظالمين) يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم (وأصحاب الرس) معنى الرس في اللغة البئر، واختلف في أصحاب الرس: فقيل هم من بقية ثمود وقيل من أهل اليمامة، وقيل من أهل أنطاكية، وهم أصحاب يس، واختلف في قصتهم فقيل بعث الله إليهم نبيافرموه في بئر فأهلكهم الله، وقيل كانوا حول بئرهم فأنهات بهم فهلكوا (وقرون بين ذلك كثيرا) يقتضى التكثير

أَمْطَرْتُ مَطَرَ السَّوءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا \* وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُواكَ إِلَّا هُزُوعًا  
أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا \* إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ هَٰئِهِتَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ  
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا \* أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا \* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ  
يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا \* أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ  
سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا \* ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا  
وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا \* وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
طَهُورًا \* لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِي كَثِيرًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ

والإيهام ، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الالهام (ضربناه بالأمثال) أي بيناه (تبرنا) أي أهلكنا (ولقد  
أتوا على القرية) الضمير في أتوا لقريش وغيرهم من الكفار ، والقرية قرية قوم لوط ، ومطر السوء الحجارة  
ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام ، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور  
ويرجون كقوله يرجون لقاءنا ، وقد ذكر (أهذا الذي) حكاية قولهم على وجه الاستهزاء ، فالجملة في موضع  
مفعول لقول محذوف يدل عليه هذا ، وقوله « إن كاد ليضلنا » استئناف جملة أخرى وتم كلامهم ، راستأنف  
كلام الله تعالى في قوله « وسوف يعلمون » الآية على وجه التهديد لهم (اتخذ الله هواه) أي أطاع هواه حتى صار كأنه  
له إله (بل هم أضل) لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها ، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتتجنب  
ما يضرها ، وهؤلاء يترون أنفع الأشياء وهو الثواب ، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب (ألم تر إلى ربك) أي  
إلى صنع ربك وقدرته (مد الظل) قيل مدته من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حينئذ على الأرض كلها ،  
واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل ، ولا يقال ظل بالليل ، واختار أن مد الظل من الإسفار إلى طلوع  
الشمس وبعد مغيبها يسير ، وقيل معنى مد الظل : أي جعله يمتد وينبسط (ولو شاء لجعله ساكنا) أي ثابتا غير زائل  
لكنه جعله يزول بالشمس ، وقيل معنى ساكن غير منبسط على الأرض ، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها  
(ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) قيل معناه أن الناس يستدلون بالشمس وأحوالها في سيرها على الظل متى يتسع ومتى  
ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر فينبون على ذلك ارتفاعهم به وجلسهم فيه ، وقيل معناه لولا الشمس لم  
يعرف أن الظل شيء لأن الأشياء لم تعرف إلا بأضدادها (ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) قبضه نسخه وإزالته بالشمس ؛  
ومعنى يسيرا شيئا بعد شيء لادفعة واحدة ، فإن قيل : ما معنى ثم في هذه المواضع الثلاثة ؟ فالجواب أنه يحتمل  
أن تكون للترتيب في الزمان أي جعل الله هذه الأحوال حالا بعد حال ، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه  
الأحوال الثلاثة وأن الثاني أعظم من الأول ، والثالث أعظم من الثاني (الليل لباسا) شبه ظلام الليل باللباس ،  
لأنه يستر كل شيء كاللباس (والنوم سباتا) قيل راحة وقيل موتا لقوله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت  
في منامها ويدل عليه مقابلته بالنشور (الرياح بشرا) ذكر في الأعراف (ماء طهورا) مبالغة في طاهر وقيل معناه  
طهر للباس في الوضوء وغيره . وبهذا المعنى يقول الفقهاء : ماء طهورا ، أي مطهر ، وكل مطهر طاهر ، وليس كل

أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا \* وَلَوْ شِئْنَا لَئِبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا \* فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا \* وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا \* الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

طاهر مطهر (أناسي) قيل جمع إنسي ، وقيل جمع إنسان ، والاول أصح (ولقد صرفناه) الضمير للقرآن ، وقيل للبطرو وهو بعيد (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أى لو شئنا لخففنا عنك أنفاله الرسالة ببعث جماعة من الرسل ولكنا خصصناك بها كرامة لك فاصبر (وجاهدكم به) الضمير للقرآن أو لما دال عليه الكلام المتقدم (مرج البحرين) اضطرب الناس في هذه الآية لأنه لا يعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عذب وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح ، قال ابن عباس أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض ، والبحر العذب الفرات بحر السحاب ، وقيل البحر الملح البحر المعروف ، والبحر العذب مياه الأرض ، وقيل البحر الملح جميع المياه الملح من الآبار وغيرها ، والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون ، ومعنى العذب البالغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة ، والأجاج نقيضه ، واختلف في معنى مرجهما ، فقيل جعلهما متجاورين متلاصقين ، وقيل أسال أحدهما في الآخر (وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) أى فاصلا يفصل بينهما وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان ، وقيل البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر (خاق من الماء بشرا) إن أراد بالبشر آدم فالمراد بالماء الماء الذى خلق به مع التراب فصار طينا ، وإن أراد بالبشر بنى آدم ، فالمراد بالماء المي الذى يخلقون منه (فجعله نسبا وصهرا) النسب والصهر يعان كل قرى : أى كل قرابة ، والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم قرب ذلك أو بعد ، والصهر هو الاختلاط بالنكاح ، وقيل أراد بالنسب الذكور أى ذوى نسب ينتسب إليهم ، وأراد بالصهر الإناث : أى ذوات صهر يصاهر بهن ، وهو كقوله (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) (وكان الكافر على ربه ظهيرا) الكافر هنا الجنس ، وقيل المراد أبو جهل ، والظهير المعين أى يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله (والملائكة بعد ذلك ظهير) (قل ما أسئلكم عليه من أجر) أى لا أسئلكم على الإيمان أجرة ولا منفعة (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) معناه إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته ، فلا استثناء منقطع ، وقيل المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة ، فلا استثناء على هذا متصل ، والاول أظهر ، وفي الكلام محذوف تقديره إلا سؤال من شاء وشبه ذلك (وتوكل على الحي الذى لا يموت) قرأ هذه الآية بعض السلف فقال لا ينبغي لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت (وسبح بحمده) أى قل سبحان الله وبحمده ، والتسبيح التنزيه عن كل ما يليق به ، ومعنى بحمده أى بحمده أقول ذلك ، ويحتمل أن يكون المعنى سبحانه مثلبا بحمده ، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد (وكفى به بذنوب



الرَّحْمَنُ فَسَّئِلَ بِهِ خَيْرًا ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَاجِدُ مَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۚ  
تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۚ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً  
لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۚ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ  
قَالُوا سَلَامًا ۚ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۚ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا  
كَانَ غَرَامًا ۚ لَهَا سَاعَتٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۚ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۚ

عباده خيرا) يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم أو يكون المراد تهديد  
العباد لعلم الله بذنوبهم (استوى على العرش) ذكر في الأعراف (الرحمن) خبر ابتداء مضمر ، أو بدل من  
الضمير في استوى (فاسأل به خيرا) فيه معنيان : أحدهما وهو الأظهر : أن المراد أسأل عنه من هو خير  
عارف به ، وانتصب خيرا على المفعولية ، وهذا الخبر المسئول هو جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب  
والباء في قوله به : يحتمل أن تتعلق بخيرا ، أو تتعلق بالسؤال ، ويكون معناها على هذا معنى عن ، والمعنى الثاني ،  
أن المراد أسأل بسؤاله خيرا أي إن سألته تعالى تجده خيرا بكل شيء ، فانتصب خيرا على الحال ، وهو  
كقولك لورأيت فلانا رأيت به أسدا : أي رأيت برؤيته أسدا (قالوا وما الرحمن) لما ذكر الرحمن في القرآن  
أنكرته قریش ، وقالوا لا نعرف الرحمن ، وكان مسيلة الكذاب قد تسمى بالرحمن ، فقالوا على وجه المغالطة  
إنما الرحمن الرجل الذي باليامة (أنسجد لما تأمرنا) تقديره لما تأمرنا أن نسجد له (وزادهم نفورا) الضمير  
المفعول في زادهم يعود على المقول وهو اسجدوا للرحمن (بروجا) يعنى المنازل الاثني عشر ، وقيل الكواكب  
العظام (سراجا) يعنى الشمس ، وقرئ بضم السين والراء على الجمع : يعنى جميع الأنوار ثم خص القمر بالذكر  
تشريفا (جعل الليل والنهار خلفه) أى يخلف هذا هذا ، وقيل هو من الاختلاف ، لأن هذا أبيض وهذا  
أسود ، والخلفة اسم الهيئة : كالركبة والجلسة ، والأصل جعلهما ذوى خلفه (لمن أراد أن يذكر) قيل معناه  
يعتبر في المصنوعات ، وقيل معناه يتذكر لما فاتته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه في النهار أوفاته  
بالنهار فيستدركه بالليل ، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضى الله عنهما (وعباد الرحمن) أى عباده  
الراضيون عنده ، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة ، وعباد مبتدأ وخبره الذين يمشون ، أو قوله في آخر  
السورة أولئك يجزون الغرفة (الذين يمشون على الأرض هونا) أى رفقا وإينا بحلم ووقار ، ويحتمل أن  
يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم ، وعبر بالمشى على الأرض عن  
جميع تصرفهم مدة حياتهم (قالوا سلاما) أى قالوا قولا سديدا ليدفع الجاهل برفق ، وقيل معناه قالوا للجاهل  
سلاما أى هذا اللفظ بعينه بمعنى سلينا منكم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بالسيف ، وإنما يصح النسخ في  
حق الكفار ، وأما الإغضاء عن السفاهة والحلم عنهم فستحسن غير منسوخ (إن عذابها) وما بعده يحتمل أن يكون من  
كلامهم أو من كلام الله عز وجل (كان غراما) أى هلاكا وخسرانا ، وقيل ملازما (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا  
ولم يقتروا) الاقتار هو التضيق في النفقة والشح وضده الاسراف فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا سُومًا وَغَمًّا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا زَوْجًا وَنَحْوًا ۖ وَاسْلَمَ ۖ خَلَدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبُودُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

وهو القوام ، وذلك في الانفاق في المباحات وفي الطاعات ، وأما الانفاق في المعاصي فهو إسراف ، وإن قل (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أى عقابا ، وقيل الأثم الإثم فعناه يلقى جزاء أثام ؛ وقيل الأثم : وادى جهنم ، والإشارة بقوله ذلك إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا (ويخلد فيه مهانا) قيل نزلت في الكفار لأنهم المخلدون في النار بإجماع ، فكأنه قال الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا ، وقيل نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون ، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه ، وأما على مذهب أهل السنة فالخلود عبارة عن طول المدة (إلا من تاب) إن قلنا الآية في الكفار فلا إشكال فيها ، لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا ، وإن قلنا إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح ، واختلف هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قيل يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلا عما عملوا من السيئات ، وقيل إن هذا التبديل في الآخرة : أى يبدل عقاب السيئات بشواب الحسنات (يتوب إلى الله متابا) أى متابا مقبولا مرضيا عند الله كما تقول لقد قلت يا فلان قولا أى قولا حسنا (لا يشهدون الزور) أى لا يشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة ، وقيل معناه لا يحضرون مجالس الزور واللغو فهو على هذا من المشاهدة والحضور والاول أظهر (وإذا مروا باللغو مروا كراما) اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه ، ومعنى مروا كراما أى أعرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيها لأنفسهم عن ذلك (لم يخرجوا عليها وغميانا) أى لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم ، فانتفى للصمم والعمى لا للخروج عليها (قرة أعين) قيل معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لك ، وقيل أدخلهم معنا الجنة ، واللفظ أعم من ذلك ( واجعلنا للمتقين إماما) أى قرة يفتقدونها المتقون فإمام مفرد يراد به الجنس ، وقيل هو جمع آثم أى متبع (الغرفة) يعنى غرفة الجنة فهى اسم جنس (قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية ، وفى معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال : الاول : أن المعنى إن الله لا يبالي بكم لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة وهذا قريب من معنى قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، الثانى : أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال ، والمعنى لا يبالي الله بكم ، ولكن برحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه ويكون على هذين القولين خطابا

## سورة الشعراء

مكية إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* طَسَمَ \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا  
مُؤْمِنِينَ \* إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ  
الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ \* فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَأُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى  
الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زوجٍ كَرِيمٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ  
الرَّحِيمِ \* وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ  
أَنْ يُكَذِّبُونِ \* وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ \* وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \*  
قَالَ كَلَّا فَادْخُلَا بَنَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ \* فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا

لجميع الناس من المؤمنين والكافرين لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه أو خطابا للمؤمنين خاصة لأنهم هم الذين  
يدعون الله ويعبدونه ، ولكن يضعف هذا بقوله « فقد كذبتم » الثالث : أنه خطاب للكفار خاصة والمعنى  
على هذا : ما يعبأ بكم ربى لولا أن يدعوكم إلى دينه ، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين ، وهو  
مصدر مضاف إلى المفعول ، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل ( فقد كذبتم ) هذا  
خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين ( فسوف يكون لزاما ) أى سوف يكون العذاب لزاما  
ثابتا وأضر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التكذيب المتقدم ، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم  
بدر ، أو عذاب الآخرة .

## سورة الشعراء

( طسم ) تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة ، ويخص هذا أنه قيل الطاء من ذى الطول ،  
والسين من السميع أو السلام ، والميم من الرحيم أو المنعم ( باخع ) ذكر في الكهف ( ظلت أعناقهم لها  
خاضعين ) الأعناق جمع عنق وهى الجارحة المعروقة ، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق  
إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء ، وقيل الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما  
يقال لهم رؤس وصدور ، وقيل هم الجماعات من الناس ، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل ( محدث ) يعنى به محدث  
الإتيان ( فسيأتهم ) الآية : تهديد ( من كل زوج ) أى من كل صنف من النبات فيعم ذلك القوات والفواكه والادوية  
والمرعى ، ووصفه بالكرم لما فيه من الحسن ومن المنافع ( إن فى ذلك لآية ) الإشارة إلى ما تقدم من النبات وإنما ذكره  
بلفظ الإفراد لأنه أراد أن فى كل واحد آية أو إشارة إلى مصدر قوله أنبتنا ( ويضيق صدرى ) بالرفع عطف  
على أخاف ، أو استئناف ، وقرئ بالنصب عطفا على يكذبون ( فأرسل إلى هارون ) أى اجعله معى رسولا  
أستعين به ( ولهم على ذنب ) يعنى قتله للقبلى ( قال كلا ) أى لا تخف أن يقتلوك ( إنا معكم ) خطاب لموسى

بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكُنَا فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۖ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۚ قَالَ فَعَلْتُمْ أَإِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۖ فَفَرَّرْتُمْ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ قُوَّةَ رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۖ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ ۚ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۖ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونٌ ۖ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَدْهَمُهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ۚ قَالَ لَنْ أُنْخِذَ إِلَهِمَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۖ قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ۖ قَالَ فَأْتِ بِهِ ۖ إِنْ

وأخيه ومن كان معهما . أو على جعل الاثنين جماعة (مستمعون) لفظه جمع ، وورد مورد عظيم الله تعالى ، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله ، لأن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع والاول أحسن ، وتأويله : أن في الاستماع اعتناء واهتمام بالامر ليست في صفة سامعون والخطاب في قوله معكم لموسى وهارون وفرعون وقومه ، وقيل لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان ( إنا رسول ربك ) إذ قيل لم أفردته وهما اثنان ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أن التقدير كل واحد منا رسول . الثاني أنهما جملا كشخص واحد لاتفاقهما في الشريعة ، ولأنهما أخوان فكانهما واحد . الثالث أن رسول هنا مصدر وصف به ، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة ، فإنه يقال رسول بمعنى رسالة ، بخلاف قوله إنا رسولا ، فإنه بمعنى الرسل ( أن أرسل معناني إسرائيل ) أى أطلقهم ( قال أَلَمْ تُرَبِّكُنَا فِينَا وَلِيدًا ) قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والاحتقار له ( وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ) قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام ويعنى بالفعل : قتله للقبلى ، والواو في قوله وأنت إن كانت للحال فقوله من الكافرين معناه كافرا بهذا الدين الذى جئت به لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة ، وقد كان قبل ذلك مؤمنا ، ولم يعلم بذلك فرعون ، وقيل معناه من الكافرين بنعمتى ، وإن كانت الواو للاستشاف : فيحتمل أن يريد من الكافرين بدنى ، ومن الكافرين بنعمتى ( قال فعلتها إدا وأنا من الضالين ) القائل هنا هو موسى عليه السلام ، والضمير في قوله فعلتها لقتله القبلى ، واختلف في معنى قوله من الضالين ، فقيل معناه من الجاهلين بأن وكفى تقتله ، وقيل معناه من الناسين ، فهو كقوله ، أن تضل إحداهما ، وقوله إدا ، صلة في الكلام ، وكأها بمعنى حينئذ ، قال ذلك ابن عطية ( ففررت منكم ) أى من فرعون وقومه ، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفردته في قوله تمنها على أن عبدت ، ( وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل ) معنى عبدت ذلك واتخذتهم عبيدا ، فعنى هذا الكلام أنك عدت نعمة على تعبيد بنى إسرائيل وليست في الحقيقة بنعمة إنما كانت نعمة لأنك كنت تذبح أبناءهم ولذلك وصلت أنا إليك فريتي ، فالإشارة بقوله تلك إلى الترية وأن عبدت في موضع رفع عطف بيان على تلك أو في موضع نصب على أنه مفعول من أجله ، وقيل معنى الكلام تربيتك نعمة على لأنك عبدت بنى إسرائيل وتركتني فهى في المعنى الاول إنكار لنعمته وفي الثانى اعتراف بها ( قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلك من المسجونين ) لما أظهر فرعون الجهل

كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ • فَالْتَقَىٰ دَعَاؤُهُ فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ • وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيْضَاءٌ لِلنَّظَرِينَ • قَالَ لِلنَّاسِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ • يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ • قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ • فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ • وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَتَتْكُمْ مَّجْتَمِعُونَ • لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِينَ • فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ • قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ • قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَتُمْ مُلْقُونَ • فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ • فَالْتَقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ • فَالْتَقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ • قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالِينَ • رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ • قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ • لَا تَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبْنَكُمْ أَجْمَعِينَ • قَالُوا لَاضْئِرُّ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ • إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ • وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ • فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • إِنَّ هَٰؤُلَاءَ

بالله فقال : وما رب العالمين ؛ أجابه موسى بقوله رب السموات والأرض ، فقال ألا تستمعون ؛ تعجباهن جوابه فزاد موسى في إقامة الحجج بقوله ربكم و بآباءكم الأولين لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة ، عند العقلاء وأعظم البراهين فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم ، فلما ظهرت هذه الحجج حاد فرعون عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه ، وأيد الازدراء والنكاح في قوله رسولكم الذي أرسل إليكم فزاد موسى في إقامة الحجج بقوله رب المشرق والمغرب ، لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدتها ولا أن يدعيها لغير الله ، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجج على نمرود ، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهدهد بالسجن ، فأقام موسى عليه الحجج بالمعجزة ، وذكرها له بتلطف طمعاً في إيمانه ، فقال : أولو جئتكم بشيء مبين ، والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام وتقديره أتفعل بي ذلك ولو جئتكم بشيء مبين ، وقد تقدم في الأعراف ذكر العصا واليد ، وماذا تأمرون ، وأرجه ، وحاشرين فإن قيل : كيف قال أولاً إن كنتم موقنين ، ثم قال آخر إن كنتم تعقلون ؟ فالجواب أنه لا ين أولاً طمعاً في إيمانهم ، فلما رأى منهم العناد والمغالطة : وبجهم بقوله إن كنتم تعقلون ، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون إن رسولكم لمجنون ( لميقات يوم ) هو يوم الزينة ( تتبع السحرة ) أي تتبعهم في نصرة ديننا لا في عمل السحر ، لأن عمل السحر كان حراماً ( بعزة فرعون ) قسم أقسموا به ، وقد تقدم في الأعراف تفسير ما يافكون ، وما بعد ذلك ( لاضير ) أي لا يضرننا ذلك لأننا ننتقل إلى الله ( أسر بعبادي ) يعني بني إسرائيل ( إنكم متبعون ) إخبار باتباع فرعون ( لخدمة قليلون ) الخدمة الطائفة من الناس ، وفي هذا احتقار لهم على

لَشَرِّذَمَةً قَلِيلُونَ \* وَلَهُمْ لَنَا لَعَا تَطُون \* وَلَنَا لَجِيعٌ حَذِرُونَ \* فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ \* فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ \* فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ \* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ \* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ \* وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ \* وَأَجْمَعْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ \* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَالِكَيْنِ \* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ \* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ \* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ \* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ \*

أنه روى أنهم كانوا ستمائة ألف ، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير (فأخرجناهم من جنات وعيون) يعني التي بمصر ، والعيون الخلجان الخارجة من النيل ، وكانت ثم عيون في ذلك الزمان ، وقيل يعني الذهب والفضة وهو بعيد (وهم مقام كريم) مجالس الأمراء والحكام ، وقيل المنابر ، وقيل المساكن الحسان (كذلك) في موضع خفض صفة لمقام أو في موضع نصب على تقدير أخرجناهم مثل ذلك الإخراج ، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء تقديره الأمر كذلك (وأورثناها بني إسرائيل) أي أورثهم الله مواضع فرعون بمصر على أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بني إسرائيل لمصر ، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام وقناويله على هذا أورثهم مثل ذلك بالشام (فاتبعوهم) أي لحقوهم ، وضمير الفاعل لفرعون وقومه ، وضمير المفعول لبني إسرائيل (مشرقين) معناه داخلين في وقت الشروق وهو طلوع الشمس ، وقيل معناه نحو المشرق واتصابه على الحال (ترآه الجمعان) وزن تراءى تفاعل ، وهو منصوب من الرؤية ، والجمعان جمع موسى وجمع فرعون أي رأى بعضهم بعضا (فانفلق) تقدير الكلام فضرب موسى البحر فانفلق (كل فرق) أي كل جزء منه والطود الجبل ، وروى أنه صار في البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط من بني إسرائيل طريق (وأزلفناهم الآخرين) يعني بالآخرين فرعون وقومه ، ومعنى أزلفنا قربناهم من البحر ليغرقوا ، ثم هنا ظرف يراد به حيث انفلق البحر وهو بحر القلزم (ما تعبدون) إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء ، ويقيم عليهم الحجة (قالوا نعبد أصناماً) إن قيل لم صرحوا بقولهم نعبد ، مع أن السؤال وهو قوله ما تعبدون يعني عن التصريح بذلك ، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله : ما أنزل ربكم : قالوا خيراً ، فالجواب أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام ، ثم زادوا قولهم فنظل لها عاكفين مبالغة في ذلك (بل وجدنا آبائنا) اعتراف بالتقليد المحض (إلا رب العالمين) استثناء منقطع وقيل



رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّ بِالصَّالِحِينَ \* وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ \* وَاجْعَلْ لِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ \* وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ \* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ \* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ \* وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْبَاقِينَ \* وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ \* وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ \* فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ \* وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ \* قَالُوا هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ \* تَأْتِيهِمْ أَنْفُسُهُمْ فَتَنْفِرُ \* إِذْ تُسَوِّيكَمُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ \* فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ \* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ \* فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ

متصل لأن في آياتهم من عبد الله تعالى ( وإذا مرضت فهو يشفين ) أسند المرض إلى نفسه وأسند الشفاء إلى الله تأديباً مع الله ( أن يغفر لي خطيئتي ) قيل أراد كذباته الثلاثة الواردة في الحديث وهي قوله في سارة زوجته هي أختي ، وقوله ( إني سقيم ) وقوله ( بل فعله كبيرهم ) وقيل أراد الجنس على الإطلاق ، لأن هذه الثلاثة من المعارض فلا إثم فيها ( لسان صدق ) ثناء جميلاً ( يوم لا ينفع ) وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم ، وهو من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون أيضاً من كلام إبراهيم ( إلا من أتى الله بقلب سليم ) قيل سليم من الشرك والمعاصي ، وقيل الذي يلقي ربه وليس في قلبه شيئاً غيره وقيل بقلب لديغ من خشية الله ، والسليم هو اللديغ لغة ، وقال الزمخشري هذا من بدع التفسير ، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً فيكون من أتى الله مفعولاً بقوله لا ينفع ، والمعنى على هذا أن المسال لا ينفع إلا من أنفق في طاعة الله ، وأن البنين لا ينفعون إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق ، ويحتمل أيضاً أن يكون متصلاً ، ويكون قوله من أتى الله بدلاً من قوله مال ولا بنون على حذف مضاف تقديره إلا مال من أتى الله وبنوه ويحتمل أن يكون منقطعاً بمعنى لكر ( وأزلفت الجنة ) أي قرئت ( للغاوين ) يعني المشركين بدلالة ما بعده ( فكفُّوا فيها ) كفُّوا مضاعف من كب كررت حرّوفه دلالة على تكرير معناه : أي كهم الله في النار مرة بعد مرة ، والضمير الأصنام ، والغاوون هم المشركون ، وقيل الضمير للبشر كين ، والغاوون هم الشياطين ( نسويكم رب العالمين ) أي نجعلكم سواء معه ( وما أضلنا إلا المجرمون ) يعني كبراءهم ، وأهل الجرم والجراة منهم ( حميم ) أي خالص الود ، قال الزمخشري جمع الشفعاء ووجد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة ، وقلة الأصدقاء ( كذبت قوم نوح المرسلين ) أسند الفعل إلى القوم ، وفيه علامة التأييد ، لأن القوم في معنى الجماعة والآمة ، فإن قيل : كيف قال المرسلين بالجمع وإنما كذبوا نوحاً وحده ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإنما لم يركب إلا فرساً واحداً ، والآخر أن من كذب نبياً واحداً فقد كذب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لأن قولهم واحد ودعوتهم

وَأَطِيعُونَ \* قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ \* قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ \* وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ \* إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ \* فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ \* إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* كَذَبْتَ عَادَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ \* وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ \* وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ \* أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ \* وَجَنَّاتٍ وَعَيْونَ \* إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ \* إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ \* وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ \* فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ \* إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* كَذَبْتَ قَوْمُ الْمُؤْمِنِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ \* فِي جَنَّتٍ وَعَيْونَ \* وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ \* وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ

سواء ، وكذلك الجواب في كذبت عاد والمرساين وغيره (واتبعك الارذلون) جمع أرذل ، وقد تقدم الكلام عليه في قوله أرذلنا في هود (وما أباطارد المؤمنين) يعني الذين سموهم أرذلين ، فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم كما أرادت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطردهم عمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وأشباهم من الضعفاء (المرجومين) يحتمل أن يريدوا الرجم بالحجارة ، أو بالقول وهو الشتم (فافتح بيني وبينهم) أي احكم بيننا (في الفلك المشحون) أي المملوء (بكل ريع) الريع المكان المرتفع وقيل الطريق (آية) يعني المباني الطوال وقيل أبراج الحمام (مصانع) جمع مصنع وهو ما اتقن صنعه من المباني ، وقيل مأخذ الماء (أمدكم بأنعام) الآية نفسه. ير لقوله أمدكم بما تعلمون فأهم أولا ثم فسر (خلق الأولين) بضم الخاء واللام أي عاداتهم والمعنى أنهم قالوا ما هذا الذي عليه من ديننا إلا عادة الناس الأولين ، وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام ، ويحتمل على هذا وجهين : أحدهما أنه بمعنى الخلقة والمعنى ما هذه الخلقة التي نحن عليها إلا خلقة الأولين والآخر أنها من الاختلاق بمعنى الكذب ، والمعنى ما هذا الذي جئت به إلا كذب الأولين (أتتركون) تخويف لهم معناه أطمعون أن تتركوا في النعم على كفركم (ونخل طلعتها هضيم) الطلع عنقود التمر

وَأَطِيعُونَ ۖ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۖ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۖ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۖ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۖ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ فَعَقَرُوها فَاصْبَحُوا نَدَمِينَ ۖ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَھُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالِينَ ۖ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالِينَ ۖ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۖ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۖ قَالَ إِنِّي لَعَمْلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ۖ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۖ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۖ لَا تَجْزُوا فِي الْغَابِرِينَ ۖ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ۖ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ ۖ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَھُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ

في أول نباته قبل أن يخرج من الكم، والحضيم : اللين الرطب ، فالمعنى طلعتها يتم ويرطب ، وقيل هو الرخص أول ما يخرج ، وقيل الذي لبس فيه نوى ، فإن قيل : لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوى على النخل ؟ فالجواب : أن ذلك تجريد كقوله فاكهة ونخل ورمال ، ويحتمل أنه أراد الجنات التي ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل ( وتنحتون ) ذكر في الأعراف ( فارهين ) قرئ بألف ويغير ألف وهو منصوب على الحال من الفاعل في تنحتون ، وهو مشتق من الفراهة وهي الذشاط والسيكس ، وقيل معناه أقوياء وقيل أشربين بطرين ( من المسحرين ) مبالغة في المسحورين ، وهو من السحر بكسر السين ، وقيل من السحر بفتح السين وهي الروية ، والمعنى على هذا إنما أنت بشر ( لها شرب ) أى حظ من الماء ( فاصبحوا نادمين ) لما تغيرت ألوانهم حسبا أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لا تنفعهم الندامة ( فأخذتهم الصيحة ) التي ماتوا منها وهي العذاب المذكور هنا ( من القالين ) أى من المبغضين ، وفي قوله قال ومن القالين : ضرب من ضروب التجنيس ( مما يعملون ) أى نجنى من عقوبة عملهم أو اعصمى من عملهم والأول أرجح ( لا تجوزا ) يعنى امرأة لوط ( فى الغابرين ) ذكر فى الأعراف وكذلك أمطرنا ( أصحاب الأيكة ) قرئ بالهمز وخفض التاء مثل الذى فى الحجر وق ، ومعناه الغيضة من الشجر ، وقرئ هنا وفى ص : بفتح اللام والتاء ، فقيل إنه مهمل من الهمز ، وقيل إنه اسم بلد ، ويقوى هذا : القول بأنه على هذه القراءة بفتح التاء غير منصرف ، يدل على ذلك أنه اسم علم ، وضعف ذلك الزحشرى ، وقال إن الأيكة اسم لا يعرف ( إذ قال لهم شعيب ) لم يقل هنا أخوهم كما قال فى قصة نوح وغيره ، وقيل إن شعيبا بعث إلى مدين ، وكان من قبيلتهم ، فلذلك قال وإلى مدين أخاهم شعيبا ، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم فلذلك لم يقل أخوهم ، فكان شعيبا على هذا

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخُسْرِينَ \*  
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ \* وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* وَاتَّقُوا الَّذِي  
خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَىٰ \* قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ \* وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ \*  
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ \* فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم  
عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ  
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \* وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \*  
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ \* وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ \* أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ \* وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ  
عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ \* كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ \* لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ  
حَتَّىٰ آيَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ \* فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ \* أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ \*

مبعوثا إلى القبيلتين وقيل إن أصحاب الأيكة مدين ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم ، ولم يقل  
أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسبة إليها (من الخسرين) أى من الناقصين  
للكيل والوزن (بالقسطاس) الميزان المعتدل (والجبلية) يعنى القرون المتقدمة (عذاب يوم الظلة) هى سحابة  
من نار أحرقتهم ، فأهلك الله مدين بالصيحة ، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة ، فإن قيل : لم كرر قوله إن فى  
ذلك لآية مع كل قصة ؟ فالجواب : أن ذلك أبلغ فى الاعتبار ، وأشد تنبيها للقلوب وأيضا فإن كل قصة منها  
كانها كلام قائم مستقل بنفسه ، فحتمت بما ختمت به صاحبها ( وإنه لتنزيل رب العالمين ) الضمير للقرآن  
( الروح الامين ) يعنى جبريل عليه السلام ( على قلبك ) إشارة إلى حفظه لإياه ، لأن القلب هو الذى يحفظ  
( بلسان عربى ) يعنى كلام العرب هو متعلق بنزل أو المنذرين ( وإنه لفي زبر الاولين ) المعنى أن القرآن  
مذكور فى كتب المتقدمين فى ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قریش بقوله ( أو لم يكن لهم آية أن  
يعلمه علماء بنى إسرائيل ) بأنه من عند الله آية لكم وبرهان ، والمراد من أسلم من بنى إسرائيل كعبدالله بن سلام  
وقيل الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام ( ولونزلناه على بعض الأعجمين ) الآية جمع أعجم ، وهو  
الذى لا يتكلم سواء كان إنسانا أو بهيمة أو جمادا والأعجمى : المنسوب إلى الأعجم ، وقيل بمعنى الأعجم ، ومعنى  
الآية : أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ، ثم قرأه عليهم لا يؤمنوا لإفراط عنادهم ، ففى ذلك تسلية للنبي  
صلى الله عليه وسلم على كفرهم به مع وضوح برهانه ( كذلك نساكه فى قلوب المجرمين ) معنى سلكناه .  
أدخلناه ، والضمير للتكذيب الذى دل عليه ما تقدم من الكلام ، أو للقرآن أى سلكناه فى قلوبهم مكذبا  
به ، وتقدير قوله : كذلك مثل هذا السالك سلكناه ، والمجرمين : يحتمل أن يريد به قریشا أو الكفار المتقدمين  
ولا يؤمنون : تفسير للسالك الذى سلكه فى قلوبهم ( فيقولوا هل نحن منظرُونَ ) تمنوا أن يؤخروا حين لم

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۖ ثُمَّ جَاءَهُمْ بِمَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ۚ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ  
 قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ۚ ذِكْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۚ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۚ  
 لَأَنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ۚ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ؕ أَخَرَفْتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ۚ وَأَنْذَرْتُكَ الْآقَرِينَ ۚ  
 وَأَخْفَضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۚ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ  
 الرَّحِيمِ ۚ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۚ وَتَقْلَبُكَ فِي السُّجُودِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَىٰ أَمْنٍ تَنْزِلُ  
 الشَّيَاطِينُ ۚ تَنْزِلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ۚ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ۚ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ

ينفعهم التي (أبعدنا باستعجلون) توييح لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم فأمطر علينا حجارة من  
 السماء وشبه ذلك (أفرأيت إن متعناهم سنين) المعنى أن مدة إهمالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طال  
 مدة سنين، لأن كل ما هو آت قريب، قال بعضهم «سنين» يريد به عمر الدنيا (وما أهلكنا من قرية إلا لها  
 منذرون) المعنى أن الله لم يهلك قوما إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا فأذبرهم فكدبوه  
 (ذكري) منصوب على المصدر من معنى الإنذار أو على الحال من الضمير في منذرون، أو على المفعول من  
 أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر (وما تنزلت به الشياطين) الضمير للقرآن، وهو رد على من قال  
 إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد (وما ينبغي لهم وما يستطيعون) أي ما يمكنهم ذلك ولا يقدرُونَ عليه  
 ولفظ ما ينبغي تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة بمعنى لا يليق (لأنهم عن السمع لمعزولون) تعليل لكون الشياطين  
 لا يستطيعون الكهانة لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان أمر الكهان  
 كثيراً متشرأبلاً ذلك (وأنذر عشيرتك الأقربين) عشيرة الرجل هم قرابته الأدنى، ولما نزلت هذه الآية  
 أنذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرابته فقال يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد المطلب أنقذوا  
 أنفسكم من النار، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية، قال الزمخشري في معناه قولان أحدهما أنه أمر  
 أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرأفة بقريبه  
 ولا يخافهم بالإنذار (واخفض جناحك) عبارة عن لين الجانب والرفق، وعن التواضع (الذي يراك حين  
 تقوم) أي حين تقوم في الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات (وتقلبك في الساجدين) معطوف على  
 الضمير المفعول في قوله يراك، والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل معناه يرى صلاتك مع  
 المصلين، ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة، وقيل يرى قلبك بصرك في المصلين خلفك لأنه عليه الصلاة والسلام  
 كان يراهم من وراء ظهره (تنزل على كل آفاك أثيم) هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين  
 والآفاك الكذاب، والآثيم الفاعل للإثم يعني بذلك الكهان، وفي هذا رد على من قال إن الشياطين تنزلت على  
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالكهانة، لأنها لا تنزل إلا على آفاك أثيم، وكان صلى الله عليه وآله وسلم على  
 غاية الصدق والبر (يلقون السمع) معناه يستمعون والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون  
 إلى الملائكة، أو يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل يلقون بمعنى يلقون المسموع،

تَرَاهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ ۖ وَأَنْهَم يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ

## سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ طَسَ تِلْكَ ءَايَاتُ الْفُرْعَانِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۚ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَةً لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فُهم يَعْمَهُونَ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ ۚ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۚ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ

والضمير يحتمل أيضا على هذا أن يكون للشياطين ، لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان أو يكون للكهان لأنهم يلقون الكلام إلى الناس (وأكثرهم كاذبون) يعني الشياطين أو الكهان لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ) لما ذكر الكهان ذكر الشعراء ليسين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة ، وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك ، وقيل أراد شعراء الجاهلية ، وقيل شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم ، والغاؤون قيل هم رواة الشعر وقيل هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من اللغو والباطل ، وقيل هم الشياطين ( في كل واديهيمون ) استعارة وتمثيل أي يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل ، ويفرطون في التجوز حتى يخرجوا إلى الكذب ( إلا الذين آمنوا ) الآية : استثناء من الشعراء يعني بهم شعراء المسلمين كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف ، وقيل إن هذه الآية مدنية (ذكروا الله) قيل معناه ذكروا الله في أشعارهم ، وقيل يعني الذكر على الإطلاق (وانتصروا من بعد ما ظلموا) إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعراء في هجر الكفار بعد أن هجوا الكفار النبي صلى الله عليه وسلم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله من بعد ما ظلموا وعمل ينقلبون في أي لتأخره ، وقيل : إن العامل في أي سيعلم

## سورة النمل

(تلك آيات القرآن وكتاب مبين) عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض ، وإن كان الموصوف واحدا (هدى وبشرى) في موضع نصب على المصدر أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمر (وهم بالآخرة هم يوقنون) تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين أو تكون مستأنفة وتمت الصلة قبلها ، ورجح الزمخشري هذا (يعمهنون) يتحiron (سوء العذاب) يعني في الدنيا وهو القتل يوم بدر ، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة ، والاول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك (لتلقى القرآن) أي



قَبَسَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .  
يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ  
يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ .  
وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَدًا مِثْلَ أُخْرَى مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا  
فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهُ أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا  
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ . وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ  
مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ . وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ

تُعْطَاهُ (آنست) ذكر في طه ، وكذلك قبس ، والشهاب النجم شبه القبس به ، وقرئ بإضافة شهاب إلى قبس  
وبالتنوين على البدل أو الصفة ، فإن قيل : كيف قال هنا سأتيتكم وفي الموضع الآخر لعل آتيتكم ، والفرق بين  
الترجي والتسويق أن التسويق متيقن الوقوع بخلاف الترجي ؟ فالجواب أنه قد يقول الراحي : سيكون كذا ؛  
إذا قوى رجاءه (تصطلون) معناه تستدفنون بالبار من النرد ، ووزنه تفعلون ، وهو مشتق من صلى بالنار والطاه  
بدل من التاء (أن بورك من في النار ومن حولها) أن مفسرة ، وبورك من البركة ، ومن في النار : يعني من في مكان النار  
ومن حولها : من حول مكائها : يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام ، قال الزحشرى : والظاهر أنه عام في كل  
من كاد في تلك الأرض وفي ذلك الوادى وما حوله من أرض الشام (وسبحان الله) يحتمل أن يكون مما قيل في النداء  
لموسى عليه السلام ، أو يكون مستأنفا وعلى كلا الوجهين قصده تزيه الله بما عسى أن يخطر ببال السامع من  
معنى النداء ، أو في قوله بورك من في النار لأن المعنى نودى أن بورك من في النار ، إذ قال بعض الناس فيه ما يجب  
تزيه الله عنه (وألق عصاك) هذه الجملة معطوفة على قوله بورك من في النار ، لأن المعنى يؤدى إلى أن بورك  
من في النار ، وأن ألق عصاك وكلاهما تفسير للنداء (كأها جان) الجان الحية ، وقيل الحية الصغيرة ، وعلى  
هذا يشكك قوله فإذا هي ثعبان ، والجواب : أنها ثعبان في جرمها ، جان في سرعة حركتها (ولم يعقب) لم  
يرجع أولم يلتفت (إلا من ظلم) استثناء منقطع تقديره لكن من ظلم من سائر الناس ، لا من المسلمين ، وقيل  
لأنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم وهذا بعيد لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب وأيضا لأن تسميتهم  
ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم (بدل حسنا) أى عمل صالحا (في جيبك) ذكر في طه (في تسع  
آيات) متصل بقوله ألق وأدخل ، تقديره نيسرك ذلك في جملة تسع آيات ، وقد ذكرت الآيات التسع في  
الإسراء (إلى فرعون) متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره اذهب بالآيات التسع إلى فرعون (مبصرة)  
أى ظاهرة واضحة الدلالة وأسند الإبصار لها مجازا ، وهو في الحقيقة لتأملها (واستيقنتها أنفسهم) يعنى أنهم  
جحدوا بها مع أنهم يتقنوا أنها الحق فكفرهم عناد ، ولذلك قال فيه ظلما ، والواو فيه وال الحال ، وأضمرت  
بعدها قد علوا يعنى تكبروا (ورث سليمان داود) أى ورث عنه النبوة والعلم والملك (علمنا منطق الطير)  
أى فهمنا من أصوات الطير المعانى التى فى نفوسها (وأوتينا من كل شيء) عموم معناه الخصوص ، والمراد

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۖ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ۖ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۖ وَتَقَفَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۖ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ أَوْ لَأَأْتِيَنَّكَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ فَكَيْتَ غَيْرَ بِعَبِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۖ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

بهذا اللفظ الكثير : كقولك فلان يقصده كل أحد ، وقوله علمنا وأوتينا : يحتمل أن يريد نفسه وأباه أو نفسه خاصة على وجه التعظيم ، لأنه كان ملكا (وحشر لسليمان جنوده) اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافا شديدا تركنا ذكره لعدم صحته (هم يوزعون) أى يكفون ويراد أولهم إلى آخرهم ، ولا بد لكل ملك أو حاكم من وزعة يدفعون الناس (حتى إذا أتوا على وادى النمل) ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض أو ركباناً حتى خافت منهم النمل ، ويحتمل أنهم كانوا فى الكرسى المحمول بالريح ، وأحست النملة بنزولهم فى وادى النمل (قالت نملة) النمل حيوان فطن قوى الحس يدخر قوته ويقسم الحبة بقسمين . لثلاث تنبت ، ويقسم حبة الكسبرة على أربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت قسمين ، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول ، وروى أن سليمان سمع كلامها ، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال ، وهذا لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك (ادخلوا) خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء (لا يحطمنكم) يحتمل أن يكون جواباً للأمر أو نهياً بدلاً من الأمر لتقارب المعنى (وهم لا يشعرون) الضمير لسليمان وجنوده ، والمعنى اعتذار عنهم لو حطموا النمل أى لو شعروا بهم لم يحطموهم (فتبسم ضاحكاً) تبسم لاحد أمرين : أحدهما سروره بما أعطاه الله ؛ والآخر ثناء النملة عليه وعلى جنوده ، فإن قولها وهم لا يشعرون : وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان (وتفقد الطير) اختلف الناس فى معنى تفقده للطير ، فقليل ذلك لعنايته بأمر ملكه ، وقيل لأن الطير كانت تظله فغاب الهدد فدخلت الشمس عليه من موضعه (أم كان من الغائبين) أم، نقطة فإنه نظر إلى مكان الهدد فلم يبصره ، فقال ما لى لا أرى الهدد أى لا أراه ولعله حاضر وستره سائر ، ثم دلم بأنه غائب فأخبر بذلك (لأعذبه) روى أن تعذيبه للطير كان بنسف ريشه (بسلطان مبين) أى حجة بينة (فكك) أى أقام ، ويجوز فتح الكاف وضمها ، وبالفتح قرأ عاصم ، والفعل يحتمل أن يكون مسنداً إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدد وهو أظهر (غير بعيد) يعنى زمان قريب (أحطت) أى أحطت علماً بما لم تعلمه (من سبأ) يعنى قبيلة من العرب ، وجدتهم الذى يعرفون به : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومن صرفه أراد الحى أو الآب ، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة ، وقرئ بالتسكين لتوالى الحركات ، وعلى القراءة بالتثنية يكون فى قوله من سبأ بنيان ضرب من أدوات البيان ، وهو التجنيس (وجدت امرأة تملكهم) المرأة بلقيس بنت شراحيل : كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها ، فغلبت بعده على الملك ، والضمير فى تملكهم يعود على سبأ ، وهم قومها (من كل

عَظِيمٌ ۖ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتُمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ أَذْهَبَ بِكُنْتِي هَذَا فَالَنَّهُ لِيَلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۚ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتَتْهُنَّ إِلَى كُتُبٍ كَرِيمٍ ۚ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَى وَآتُونِي مُسْلِمِينَ ۚ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ ۚ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۚ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَالِكَ يَفْعَلُونَ ۚ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۚ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمَدُونَنِي بِمَا لِي فَأَتَنِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا أَتَاكُمْ بَلْ

شيء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك (ولها عرش عظيم) يعني سرير ملكها ، ووقف بعضهم على عرش ثم ابتدأ عظيم وجدتها على تقدير : عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وهذا خطأ ، وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة ( أن لا يسجدوا لله ) من كلام الهدد أو من كلام الله ، وقرأ الجمهور بالتشديد ، وأن في موضع نصب على البدل من أعمالهم ، أو في موضع خفض على البدل من السبيل ، أو يكون التقدير لا يهتدون لأن يسجدوا بحذف اللام ، وزيادة لا ، وقرئ بالتخفيف على أن تكون لا حرف تنبيه وأن تكون الباء حرف نداء فيوقف عليها بالالف على تقدير يا قوم ثم ابتدأ اسجدوا (يخرج الخبء) الخبء في اللغة الخفي وقيل معناه هنا الغيب ، وقيل يخرج النبات من الأرض واللفظ يعم كل خفي ، وبه فسر ابن عباس (ثم تول عنهم) أي تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، وروى أنه دخل عليها من كوة فالتق إليها الكتاب وتوارى في الكوة ، وقيل إن التقدير انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهو من المقلوب والاول أحسن (ماذا يرجعون) من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول (قالت يا أيها الملأ) قبل هذا الكلام محذوف تقديره : فالتق الهدد إليها الكتاب فقرأته ، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم يا أيها الملأ (كتاب كريم) وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان ، أو لأن فيه اسم الله ، أو لأنه مخنوم كما جاء في الحديث كرم الكتاب ختمه (من سليمان) يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان ، وأن يكون من كلامها : أخبرتهم أن الكتاب من سليمان (وأتوني مسلمين) يحتمل أن يكون من الانقياد بمعنى مستسلمين ، أو يكون من الدخول في الإسلام (أولو قوة) يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوة الملك والعدد (وكذلك يفعلون) من كلام الله عز وجل تصديقا لقولها فيوقف على ما قبله ، أو من كلام بلقيس تأكيذا للبعث الذي أرادته ، وتعني كذلك يفعل هؤلاء بنا (وإني مرسله إليهم بهدية) قالت لقومها إني أجرب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال ، فإن كان ملكاً دنيوا : أرضاه المال ، وإن كان نبيلاً برضه المال ، وإنما يرضيه دخولنا في دينه فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس واختصرنا وصفها لعدم صحته (أتدنونني بمال) إنكار للهدية لأن الله أغناه عنها بما أعطاه (بل أتم بهديتكم تفرحون) أي أتم محتاجون إليها تفرحون بها وأنا لست

أَتَمَّ هَدْيَتَكُمْ تَقَرُّحُونَ \* أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ \*  
 قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ  
 تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ \* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ  
 طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ  
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ \* قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ \*  
 فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ \* وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ

كذلك ( ارجع اليهم ) خطاب للرسول ، وقيل للدهد ، والاول أرجح ، لان قوله فلما جاء سليمان مسند  
 الى الرسول ( لا قبل لهم بها ) أى لاطاقة لهم بها ( قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني  
 مسلمين ) القائل سليمان ، والملا جماعة من الجن والانس ، وطلب عرشها قبل ان ياتوه مسلمين ، لانه وصف  
 له بعظمة فأراد ان يأخذه قبل ان يسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم ، فسلمين على هذا من الدخول  
 في دين الإسلام ، وقيل إنما طلب عرشها قبل ان ياتوه مسلمين ليظهر لهم قوته ، فسلمين على هذا بمعنى  
 منقادين ( قال عفرت ) روى عن وهب بن منبه ان اسم هذا العفريت الكودن ( قبل ان تقوم من مقامك ) قبل  
 ان تقوم من موضع الحكم ، وكان يجلس من بكرة الى الظهر ، وقيل معناه قبل ان تستوى من جلوسك قائما ( قال  
 الذى عنده علم من الكتاب ) هو آصف بن برخيا ، وكان رجلا صالحا من بنى اسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم  
 وقيل هو الخضر ، وقيل هو جبريل ، والاول أشهر ، وقيل سليمان وهذا بعيد ( آتيك به ) فى الموضوعين : يحتمل ان  
 يكون فعلا مستقبلا أو اسم فاعل ( قبل ان يرتد إليك طرفك ) الطرف العين فالمعنى على هذا قبل ان تنفض  
 بصرك إذا نظرت إلى شيء وقيل الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت ( فلما رآه مستقرا عنده ) قيل هنا  
 محذوف تقديره : لجاءه الذى عنده علم من الكتاب بعرشها ، ومعنى مستقرا عنده حاصلا عنده وليس هذا  
 بمستقر الذى يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافا لمن فهم ذلك ( يشكر لنفسه ) أى منفعة الشكر لنفسه ( قال  
 نكروا لها عرشها ) تنكيره تغيير وصفه وستر بعضه ، وقيل الزيادة فيه والنقص منه ، وقصد بذلك اختبار عقلها  
 وفهمها ( أتهتدى ) يحتمل ان يريد تهتدى لمعرفة عرشها ، أو للجواب عنه إذا سئلت أو الإيمان ( فلما جاءت  
 قيل أهكذا عرشك ) كان عرشها قد وصل قبلها الى سليمان فأمر بتنكيره ، وأن يقال لها أهكذا عرشك  
 أى أمثل هذا عرشك لئلا تفتن أنه هو ، فأجابته بقولها : كأنه هو جوابا عن السؤال ، ولم تقل هو تحزرا  
 من الكذب أو من التحقيق فى محل الاحتمال ( وأوتينا العلم من قبلها ) هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوها  
 قد آمنت قالوا ذلك اعترافا بنعمة الله عليهم فى أن آتاهم العلم قبل بلقيس وهداهم للإسلام قبلها ، والجملة معطوفة  
 على كلام محذوف تقديره قد أسلمت هى وعلت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها ( وصدها  
 ما كانت تعبد من دون الله ) هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه ، أو من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون  
 ما كانت تعبد ، فاعلا أو مفعولا ، فإن كان فاعلا : فالمعنى صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول فى الإسلام

تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۖ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُعَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۖ قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۖ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبَيْنَ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۖ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۖ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۖ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ

حتى إلى هذا الوقت ، وإن كان مفعولا : فهو على إسقاط حرف الجر ، والمعنى صدها الله أو سليمان عن ما كانت تعبده من دون الله فدخلت في الإسلام (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأتها حسبتة لجة وكشفت عن ساقها) الصرح في اللغة هو القصر ، وقيل صحن الدار ، روى أن سليمان أمر قبل قدومه ابنه له على طريقها قصرا من زجاج أبيض وأجرى الماء من تحته ، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما رأتها حسبتة لجة ، واللجة الماء المتجمع كالبحر ، فكشفت عن ساقها لتدخله لما مرت بدخوله ، وروى أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها ، فقالوا له إن عقلها مجنون ، وإن رجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتذكير العرش فوجدتها عاقلة واختبر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقها وجدها أحسن الناس ساقا فتزوجها وأقرها على ملكها باليمن ، وكان يأتيها مرة في كل شهر ، وقيل أسكنها معه بالشام (قال إنه صرح معرّد من قوارير) لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقها لتدخل الماء قال لها سليمان إنه صرح معرّد ، والمعرّد الأملس ، وقيل الطويل ، والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجية (قالت رب إني ظلمت نفسي) تعني بكفرها فيما تقدم (وأسلمت مع سليمان) هذا ضرب من ضروب التجنيس (فريقين يختصمون) الفريقان من آمن ومن كفر ؛ واختصامهم : اختلافهم وجدالهم في الدين (لم تستعجلون) أي لم تطلبون العذاب قبل الرحمة ، أو المعصية قبل الطاعة (قالوا أطيرنا بك) أي تشاءمنا بك وكانوا قد أصابهم القحط (قال طائركم عند الله) أي السبب الذي يحدث عنه خيركم أو شركم : هو عند الله وهو قضاءه وقدره . وذلك رد عليهم في تطيرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام (وكان في المدينة) يعني مدينة ثمود (يفسدون في الأرض) قيل إنهم كانوا يقرضون الدنانير والدرهم ولفظ الفساد أعم من ذلك (تقاسموا بالله) أي حلفوا بالله ، وقيل إنه فعل ماض وذلك ضعيف ، والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه (لنبئنه وأهله) أي لنقتلنه وأهله بالليل وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه (ثم لنقولن لوليّه ما شهدنا مهلك أهله) أي نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه ، ومهلك يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان فإن قيل إن قولهم ما شهدنا مهلك أهله يقتضي التبري من دم أهله دون التبري من دمه ، فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنهم أرادوا ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله ، وحذف مهلكه لدلالة قولهم لنبئنه وأهله ، والثاني أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم لقوله «وأغرقتنا آل فرعون» ، يعني فرعون وقومه ، الثالث : أنهم قالوا مهلك أهله خاصة ليكونوا صادقين ، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا ، وأرادوا التعريض في كلامهم لثلاث

لَا يَشْعُرُونَ . فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ . أَمَّا دَمَرُنُهُمْ وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ . فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا  
 إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ  
 وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ . أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ . بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ . فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ  
 إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ لَهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ . فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَرْنَا مِنْ  
 الْغَابِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ . قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى . اللَّهُ  
 خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَاقٍ ثَقِيَّاتٍ  
 بِهِجَّةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَأَعْلَهُمْ اللَّهُ بِلَوْمِ قَوْمٍ يَعْدِلُونَ . أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْقَهَا  
 أَنْهْرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَأَعْلَهُمْ اللَّهُ بِلَوْمِ قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ . أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ

يكذبوا (وإننا لصادقون) يحتمل أن يكون قولهم وإننا لصادقون مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون ، ويحتمل أنهم  
 قصدوا وجهان التعريض ليخرجوا به عن الكذب وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن مهلك أهله ، وهو أنهم  
 قصدوا أن يقتلوا صالحا وأهله معاً ، ثم يقولون ما شهدنا مهلك أهله وحدهم وإننا لصادقون في ذلك بل يعنون أنهم  
 شهدوا مهلكه ومهلك أهله معاً وعلى ذلك حمله الزمخشري (أنادمرناهم وقومهم) روى أن الرهط الذين تقاسموا  
 على قتل صالح اختفوا ليلاً في غار قريباً من داره ليخرجوا منه إلى داره بالليل فوقع عليهم صخرة فأهلكتهم  
 ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض ، ونجا صالح ومن آمن به (وأنتم تبصرون) قيل معناه  
 تبصرون بقلوبكم أنها معصية وقيل تبصرون بأبصاركم لأنهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يستتر بعضهم  
 من بعض ، وقيل تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب « يتطهرون » ، والغابرين ،  
 « وأمطرنا » ، قد ذكر (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله أن يتلو الآيات المذكورة  
 بعد هذا ، لأنها براهين على وحدانيته وقدرته ، وأن يستفتح ذلك بحمده ، والسلام على من اصطفاه من  
 عباده كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيمناً بذكر الله ، قال ابن عباس يعني بعباده الذين اصطفى  
 الصحابة ، واللفظ يعم الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين (آله خير أم ما يشركون) على وجه الرد على المشركين  
 فدخلت خير إلى يراد بها التفضيل لتبكيهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير فيها أشركوا أصلاً ، ثم أقام عليهم  
 الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات ، وأعقب كل برهان  
 منها بقوله إله مع الله على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده فقامت عليهم الحجة بذلك وفيها أيضاً  
 نعم يجب شكرها فقامت بذلك أيضاً وأم في قوله خير أم ما يشركون متصلة عاطفة ، وأم في الموضع التي بعده منقطعة  
 بمعنى بل والهمزة (قوم يعدلون) أي يعدلون عن الحق والصواب أو يعدلون بالله غيره أي يجعلون له عديلاً  
 ومثيلاً (رواسي) يعني الجبال (البحرين) ذكر في الفرقان (يجيب المضطر) قيل هو المجهود ، وقيل الذي



إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ ۝ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ  
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ يَبْدُو الْخَلْقَ  
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ لَا يَعْلَمُ  
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ

لا حول له ولا قوة ، واللفظ مشتق من الضرر : أى الذى أصابه الضرر أو من الضرورة أى الذى ألجأته  
الضرورة إلى الدعاء (خلفاء الأرض) أى خلفاء فيها تتوارثون سكناها (أمن يهديكم) يعنى الهداية بالنجوم  
والطرقات (بشرا) ذكر فى الأعراف (من السماء والأرض) الرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات  
(هاتوا برهانكم) تعجيز للبشر كين (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) هذه الآية تقتضى  
انفراد الله تعالى بعلم الغيب ، وأنه لا يعلمه سواه ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمداً يعلم  
الغيب فقد أعظم الفرية على الله ، ثم قرأت هذه الآية ، فإن قيل : فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
يخبر بالغيوب وذلك معدود فى معجزاته ، فالجواب : أنه صلى الله عليه وسلم قال إني لا أعلم الغيب إلا  
ما علمنى الله ، فإن قيل : كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكهان والمنجمين وأشباهمهم ، بالأمور المخفية ؟  
فالجواب : أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف أو عن وهم لا عن علم ، وإنما اقتضت الآية نفي العلم ، وقد قيل  
إن الغيب فى هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة ، لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك ، ولذلك قال وما  
يشعرون أيان يبعثون ، فعلى هذا يندفع السؤال الأول ، والثانى لأن علم الساعة انفراد به الله تعالى لقوله  
تعالى « قل إنما عليها عند الله ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : فى خمس لا يعلمها إلا الله ، ثم قرأ « إن الله  
عنده علم الساعة ، إلى آخر السورة ، فإن قيل : كيف قال إلا الله بالرفع على البدل والبديل لا يصح إلا إذا  
كان الاستثناء متصلاً ويكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها والله تعالى ليس بمن فى السموات والأرض باتفاق  
فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض ، والقائلين بنفى الجهة يقولون إن الله  
تعالى ليس بهما ولا فوقهما ولا داخلهما ولا خارجا عنهما فهو على هذا استثناء منقطع ، فكان يجب أن  
يكون منصوباً ؟ فالجواب من أربعة أوجه : الأول أن البدل هنا جاء على لغة بنى تميم فى البدل ، وإن كان  
منقطعا كقولهم ما فى الدار أحد إلا حمار بالرفع والحمار ليس من الأحدين وهذا ضعيف ، لأن القرآن أنزل  
بلغة الحجاز لا بلغة بنى تميم ، والثانى أن الله فى السموات والأرض بعلمه كما قال وهو معكم أينما كنتم ، يعنى  
بعلمه ، فجاء البدل على هذا المعنى وهذا ضعيف ، لأن قوله فى السموات والأرض وقعت فيه لفظة فى الظرفية  
الحقيقية ، وهى فى حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية ولا يجوز استعمال لفظة واحدة فى الحقيقة والمجاز  
فى حالة واحدة عند المحققين ، الجواب الثالث أن قوله من فى السموات والأرض يراد به كل وجود  
فكانه قال من فى الوجود فيكون الاستثناء على هذا متصلاً ، فيصح الرفع على البدل ، وإنما قال من  
فى السموات والأرض جرياً على مناهج كلام العرب فهو لفظ خاص يراد به ما هو أعم منه : الجواب الرابع أن  
يكون الاستثناء متصلاً على أن يتأول من فى السموات فى حق الله كما يتأول قوله « أمنت من فى السماء وحديث

فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَابُؤُنَا أَنَا نُخْرَجُونَ . لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءِيبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ . وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدْفُكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمِمَّا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ . إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقِصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ . إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ . وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ

الجارية وشبه ذلك (وما يشعرون أيا ن يعثون) أى لا يشعرون من فى السموات والأرض متى يعثون ، لأن علم الساعة مما انفرد به الله ، روى أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم متى الساعة (بل أذكرك علمهم فى الآخرة) وزن أذكرك تفاعل ثم سكنت التاء وأدغمت فى الدال واجتلبت ألف الوصل ، والمعنى تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها ، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها وقرئ أدرك بهمزة قطع على وزن أفعل ، والمعنى على هذا يدرك علمهم فى الآخرة أى يعلمون فيها الحق ، لأنهم يشاهدون حيثئذ الحقائق ، فقوله فى الآخرة على هذا ظرف ، وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء (عمون) جمع عم ، وهو من عمى القلوب (ردف لكم) أى تبعكم ، واللام زائدة ، أو ضمن معنى قرب وتعدى باللام ، ومعنى الآية أنهم استعجلوا العذاب بقولهم متى هذا الوعد ، فقيل لهم عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذى تستعجلون وهو قتلهم يوم بدر (غائبة) الهاء فيه للبالغة : أى ما من شئ فى غاية الخفاء إلا وهو عند الله فى كتاب (إنك لا تسمع الموتى) شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى فى أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء ، ثم شبههم بالصم وبالعوى وإن كانوا أصحاب الحواس ، وأكدهم سماعهم بقوله إذا ولوا مدبرين ، لأن الأصم إذا أدبر وبعد عن الداعى زاد صممه وعدم سماعه بالكلية (وإذا وقع القول عليهم) أى إذا حان وقت عذابهم الذى تضمنه القول الأزل من الله فى ذلك وهو قضاؤه ، والمعنى إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض ، وخروج الدابة من أسرار الساعة ، وروى أنها تخرج من المسجد الحرام ، وقيل من الصفا ، وأن طولها ستون ذراعا ، وقيل هى الجساسة التى وردت فى الحديث (تكلمهم) قيل تكلمهم بيطلاق الأديان كلها إلا دين الإسلام ، وقيل تقول لهم ألا لعنة الله على الظالمين ، وروى أنها تسم الكافر وتخطم أنفه وتسود وجهه وتبيض وجه المؤمن (إن الناس) من قرأ بكسر الهمزة فهو ابتداء كلام ،

كَانُوا بَيِّنَاتٍ لَا يُوَفِّقُونَ ۖ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ  
قَالَ أَكُذِّبْتُمْ بَيِّنَاتِي وَلَمْ تُخِطُوا بِهَا عَلَيَّ أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ۖ  
الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَايَتْلَقُونَ يُؤْمِنُونَ ۖ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ  
فَنُزِعَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۖ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً  
وَهِيَ تَمْرٌ مِنَ السَّحَابِ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا  
وَهُمْ مِنْ قَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ  
إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۖ وَأَنْ أَتْلُوا  
الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ۖ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرُكُمْ أَيَّتَهُ  
فَتَعَرَّفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۖ

ومن قرأ بالفتح فهو مفعول تكلمهم : أى تقول لهم إن الناس كانوا بآتنا لا يوقنون ، أو مفعول من أجله تقديره  
تكلمهم ، لأن الناس لا يوقنون ثم حذف اللام ، ويحتمل قوله لا يوقنون بخروج الدابة ، ولا يوقنون بالآخرة  
وأموال الدين ، وهذا أظهر (فهم يوزعون) أى يساقون بعنف (أما ذا كنتم تعملون) أم استفهامية ، والمعنى إقامة  
الحجة عليهم كأنه قيل لهم إن كان لكم عمل أو حجة فهاؤها (ووقع القول عليهم) أى حق العذاب عليهم  
أو قامت الحجة عليهم (فهم لا ينطقون) إنما يسكتون لأن الحجة قد قامت عليهم وهذا فى بعض مواطن  
القيامة ، وقد جاء أنهم يتكلمون فى مواطن (ليسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ينفخ فى الصور) ذكر فى الكهف  
(إلا من شاء الله) قيل هم الشهداء ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام (داخرين) صاغرين  
متذللين (تحسبها جامدة) أى قائمة ثابتة (وهى تمر) يكون مرورها فى أول أحوال يوم القيامة ، ثم ينسفها  
الله فى خلال ذلك فتكون كالمهن ثم تصير هباء منبثا (صنع الله) مصدر ، والعامل فيه محذوف ، وقيل هو  
منصوب على الإغراء : أى انظروا صنع الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) قيل إن الحسنة لا إله إلا الله ،  
والله أعم ، ومعنى خير منها أن له بالحسنة الواحدة عشر (من نون فزع يومئذ) من نون فزع فتح الميم من يومئذ  
ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرها على الإعراب (ومن جاء بالسيسة) السيسة هنا  
الكفر والمعاصى التى قضى الله بتعذيب فاعلها (هذه البلدة) يعنى مكة (الذى حرّمها) أى جعلها حراما آمنا  
لا يقاتل فيها أحد ولا ينتهك حرمتها ، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بسبب قضائه وأمره ، ونسبه النبي صلى  
الله تعالى عليه وآله وسلم إلى إبراهيم عليه السلام فى قوله إن إبراهيم حرم مكة . لأن إبراهيم هو الذى  
أعلم الناس بتحريمها ، فليس بين الحديث والآية تعارض وقد جاء فى حديث آخر أن مكة حرّمها الله يوم  
خلق السموات والأرض (ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) أى إنما على الإنذار والتبليغ (سيركم أى

## سورة القصص

مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* طَسَمَ \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ  
بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي  
نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \*  
وَنُكَفِّرُ عَنْهُمْ سُوْءَهُمْ وَلَنُنْزِلَنَّ فِي الْآرْضِ الْفِرْعَوْنَ وَنُزْرَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَنْ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ  
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَشِيَ عَلَيْهِ فَأُلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي \* إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِذْ هُوَ الْيَسِيرُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ \*  
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا \* إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَنْ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ \* وَقَالَتْ  
أُمُّرَاتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَأَصْبَحَ فُؤَادُ  
أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا \* إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ

آياتها) وعيد بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله إمامي الدنيا أوفى الآخرة

## سورة القصص

(علا في الأرض) أي تكبر وطغا (شيعا) أي فرقا مختلفين فجعل فرعون القبط ملوكا وبنى إسرائيل  
خدما لهم ، وهم الطائفة الذين استضعفهم ، وأراد الله أن يمن عليهم ويجعلهم أئمة : أي ولاية في الأرض  
أرض فرعون وقومه (هامان) هو وزير فرعون (وأوحينا إلى أم موسى) اختلف هل كان هذا الوحي يلهام  
أومنام أو كلام بواسطة الملك ، وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامتنالها ما أمرت به (فإذا خفت عليه)  
أي إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد  
غلام منهم (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط اللقاء من غير قصد ، روى أن آسية امرأة فرعون رأت الثابت  
في البحر وهو النبل فأمرت أن يساق لها ففتحت فوجدت فيه صبيا فأحبته ، وقالت لفرعون : هذا قرة عين لي  
ولك (ليكون لهم عدوا) اللام لام العاقبة وتسمى أيضا لام الصيرورة (لا تقتلوه) روى أن فرعون هم بذبجه  
إذ توسم أنه من بني إسرائيل ، فقالت امرأته لا تقتلوه (وهم لا يشعرون) أي لا يشعرون أن هلاكهم يكون  
على يديه ، والصمير الفاعل لفرعون وقومه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي ذاهلا لا عقل معها ، وقيل فارغا  
من الصبر وقيل فارغا من كل شيء إلا من هم موسى ، وقيل فارغا من وعد الله : أي نسيت ما أوحى إليها ، وقيل فارغا من  
الحزن إذ لم يفرق وهذا بعيد لما بعده وقيل فارغا من كل شيء إلا من ذكر الله وقرئ فزعا بالزاي من الفرع (إن  
كادت لتبدي به) أي تظهر أمره ، وفي الحديث كادت أم موسى أن تقول والبناء وتخرج صائحة على وجهها  
(ربطنا على قلبها) أي رزقناها الصبر (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله (وقالت

فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۖ فَرُدَدَتْهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَسَعَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ ۚ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ اقْضَىٰ عَلَيْهِ قَالِ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ۖ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۖ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ

لاخوته قصيه) أى اتبعيه ، والقص طلب الأثر ، فخرجت أخته تبحث عنه فى خفية (فبصرت به عن جنب) أى رآته من بعيد ولم تقرب منه لئلا يلموا أنها أخته ، وقيل معنى عن جنب : عن شوق إليه ، وقيل معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريده (وهم لا يشعرون) أى لا يشعرون أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أى منع منها بأن بغضنا الله له ، والمراضع جمع مرضعة ، وهى المرأة التى ترضع ، أوجع مرضع بفتح الميم والضاد : وهو موضع الرضاع يعنى الثدي (من قبل) أى من أول مرة (فقال هل أدلكم) القائلة أخته تخاطب آل فرعون (فرددناه إلى أمه) لما منعه الله من المراضع وقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت الآتية : جاءت بأمه فقبل ثديها ، فقال لها فرعون ومن أنت منه فما قبل ثدى امرأة إلا ثديك ؟ فقالت إني امرأة طيبة اللبن ، فذهبت به إلى بيتها وقزت عيناها بذلك وعلمت أن وعد الله حق فى قوله إنا رادوه إليك (بلغ أشده) ذكر فى يوسف (واستوى) أى كمل عقله ، وذلك مع الأربعين سنة (ودخل المدينة) يعنى مصر وقيل قرية حولها ، والأول أشهر (على حين غفلة) قيل فى القائلة وقيل بين العشاءين ، وقيل يوم عيد ، وقيل كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل محتفياً متخوفاً (هذا من شيعته) الذى من شيعته من بنى إسرائيل ، والذى من عدوه من القبط (فوكزه موسى) أى ضربه ، والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف (فقضى عليه) أى قتله ، ولم يرد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجل ، فقدم وقال هذا من عمل الشيطان أى إن الغضب الذى أوجب ذلك كان من الشيطان ، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له ، فإن قيل : كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً ؟ فالجواب أنه لم يؤذن له فى قتله ولذلك يقول يوم القيامة إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين) الظهير المعين ، والباء سببية ، والمعنى بسبب إنعامك على لا أكون ظهيراً للمجرمين ، فهى معاهدة عاهد موسى عليها به ، وقيل الباء باء القسم وهذا ضعيف لأن قوله فلن أكون لا يصلح لجواب القسم ، وقيل جواب القسم محذوف تقديره وحق نعمتك لأتوبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، وقيل الباء للتخفيف : أى اعصمنى بحق نعمتك على فلن أكون ظهيراً للمجرمين ويحتاج بهذه الآية على المنع من صحبة ولادة الجور (يتربص) فى الموضوعين أى يستحس هل يطلبه أحد (يستصرخه) أى

إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ۖ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالِ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۖ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ ذَٰلِكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۖ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۖ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۖ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۖ فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ

يستغيث به ، لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط فاستغاث موسى لينصره كما نصره بالأمس فعظم ذلك على موسى وقال له إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عَدُوٌّ لَهَا) الضمير في أراد وفي يبطش لموسى ، وفي قال الإسرائيلي ، والمعنى لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عَدُوٌّ لَهُ وَالْإِسْرَائِيلِي : ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به إذ قال له إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ، فقال الإسرائيلي لموسى : أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ، وقيل الضمير في أراد للإسرائيلي ، والمعنى فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس فنصح الإسرائيلي ، فقال له أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي فَاشْتَهَرَ خَيْرَ قَتْلِهِ لِلآخر إلى أن وصل إلى فرعون (وجاء رجل) قيل إنه مؤمن آل فرعون ، وقيل غيره (يسعى) أى يسرع فى مشيه ليدرك موسى فينصحه (إن المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ) يتشاورون وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتل القبطي (ولما توجه تلقاه مدين) أى قصد بوجهه ناحية مدين وهى مدينة شعيب عليه السلام (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسط الطريق يعنى طريق مدين إذ كان قد خرج فازاً بنفسه ، وكان لا يعرف الطريق ، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام وقيل أراد سبيل الهدى وهذا أظهر ، ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفاً بالله قبل نبوته (ولما ورد ماء مدين) أى وصل إليه وكان برأ (يسقون) أى يسقون مواشيهم (امرأتين) روى أن اسمهما ليا وصفوريا ، وقيل صغيرا وصفرا (تذودان) أى تمنعان الناس عن غنهما ، وقيل تذودان غنهما عن الماء حتى يسقى الناس ، وهذا أظهر لقولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء : أى كانت عادتهما ألا يسقيا غنهما إلا بعد الناس لقوة الناس ولضعفهما ، أو لكرهتهما التزاحم مع الناس (يصدر) بضم الياء وكسر الدال فعل متعدّد ، والمفعول محذوف تقديره حتى يصدر الرعاء مواشيهم ، وقرئ بفتح الياء وضم الدال أى ينصرفون عن الماء (وأبونا شيخ كبير) أى لا يستطيع أن يباشر سقى غنمه ، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام فى قول الجمهور ، وقيل ابن أخه ، وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب (فسقى لها) أى أدركته شفقتة عليهما فسقى غنهما ، وروى أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلا فرفعها وحده (تولى إلى الظل) أى جلس فى الظل ، وروى أنه كان ظل سمرة (إني لما أنزلت إلى من خير فقير) طلب من الله ما يأكله وكان قد



وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِن خَيْرٌ مِنْ  
اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينَ \* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنِي حَجَجٍ فَإِنْ  
أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَنِي  
وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ \* فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ  
بَاهِلَهُ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ  
النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَى  
إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَى آقِبِلْ

اشتد عليه الجوع (لجأته إحداها) قبل هذا كلام محذوف تقديره فذهبتا إلى أبيهما سريعتين ، وكانت  
عادتتهما الإبطاء في السقي فأخبرته بما كان من أمر سقي الرجل لهما فأمر إحداها أن تدعوه له لجأته ،  
واختلف هل التي جاءتته الصغرى أو الكبرى (على استحياء) روى أنها سترت وجهها بكم درعها  
والجور يتعلق بما قبله وقيل بما بعده وهو ضعيف (وقص عليه القصص) أي ذكر له قصته (لا تخف)  
أي قد نجوت من فرعون وقومه لأن بلد مدين لم يكن من ملك فرعون (استأجره) أي اجعله أجيرا لك (إن  
خير من استأجرت القوى الأمين) هذا الكلام حكمة جامعة بليغة ، روى أن أباهما قال لهما من أين عرفت  
قوته وأمانته ، قالت أما قوته ففي رفعه الحجر عن فم البئر : وأما أمانته فإنه لم ينظر إلى (قال إنني أريد أن أنكحك  
إحدى ابنتي) زوجته التي دعت ، واختلف هل زوجه الكبرى أو الصغرى ، واسم التي زوجه صفور ، وقيل  
صفوريا ، ومن لفظ شبيب حسن أن يقال في عقود الانكحة : أنكحه إياها أكثر من أن يقال أنكحها إياه (على  
أن تأجرني ثمانى حجج) أي أزوجك بنتي على أن تأجرني ثمانية أعوام ، قال مكي : في هذه الآية خصائص في  
النكاح ، منها أنه لم يعين الزوجة ، ولا حد أول الأمد ، وجعل المهر إجارة ، قلت فأما التعيين فيحتمل أن يكون  
عند عقد النكاح بعد هذه المراودة ، وقد قال الزمخشري إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح ، وإنما كان مواعدة وأما ذكر  
أول الأمد ، فالظاهر أنه من حين العقد ، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية ، وقد قرره شرعا حسبا  
ورد في الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم الرجل قد زوجته على مامعك من القرآن : أي  
على أن تعلمها ما عندك من القرآن ، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعي وابن حنبل وابن حبيب للآية  
والحديث ، ومنعه مالك (فإن أتممت عشر آف من عندك) جعل الأعوام الثمانية شرطا . وكل العامين إلى مروة  
موسى ، فوفى له العشر ، وقيل وفي العشرة وعشرا بعدها ، وهذا ضعيف لقوله (فلما قضى موسى الأجل)  
أي الأجل المذكور (وسار بآهله) الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر (جذوة) أي قطعة ، ويجوز كسر  
الجيم وضمها ، وقد ذكر آنس ، والطور ، وتصطلون (شاطئ الواد) جانبه واليمين صفة للشاطئ اليمين ،  
ويحتمل أن يكون من اليمين فيكون صفة الوادى (من الشجرة) روى أنها كانت عوسجة (جان) ذكر في النمل

وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ \* أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ  
الرَّهْبِ فَذَلِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ  
نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ  
يُكَذِّبُونِ \* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا  
الْغَالِبُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ \*  
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ \* وَقَالَ  
فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَ مَن عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرَخًا لَّعَلِّي  
أُطَّلِعَ إِلَىٰ آلِ اللَّهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَا أَظُنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ \* وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا  
أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ \* فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرُّوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ  
أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ \* وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ  
الْمَقْبُوحِينَ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَارًا لِلنَّاسِ وَهُدًى

(اسلك يدك في جيبك) أى أدخلها فيه ، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه (واضمم إليك  
جناحك) الجناح اليد أو الإبط أو العضد أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه  
فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخف خوفه ، وقيل ذلك على وجه المجاز ، والمعنى أنه أمر  
بالعزم على ما أمر به : كقوله اشدد حيازتك واربط جأشك (من الرهب) أى من أجل الرهب ، وهو  
الخوف ، وفيه ثلاثة لغات فتح الراء والهاء ، وفتح الراء وإسكان الهاء ، وضم الراء وإسكان الهاء (فذلك  
برهانان) أى حجتان والإشارة إلى العصا واليد (إلى فرعون) يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام  
(ردءاً) أى معينا ، وقرئ بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز أو يكون من أردت أى زدت  
(سنشد عضدك بأخيك) استعارة في المعونة (بآياتنا) يحتمل أن يتعلق بقوله نجعل أو يصلون أو  
بالغالبون (فأوقد لي يهمن على الطين) أى اصنع الآجر لبنين الصرح الذى رام أن يصعد منه إلى  
السماء ، وروى أنه أول من عمل الآجر ، وكان هامان وزير فرعون وانظر ضعف عقولهما وعقول  
قومهما وجهلهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء بينان الصرح ، وقد روى أنه عمله وصعد  
عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوبا بدم وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم ، ثم قال (وإني لأظنه من  
الكاذبين) يعنى في دعوى الرسالة والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه ، أو بمعنى اليقين (أمة يدعون إلى النار) أى كانوا  
يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار (من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين ، وقيل قبحت وجوههم ، وقيل

وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝  
وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا  
مُرْسِلِينَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ  
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ  
آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمَّا  
يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ۝ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ  
عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمِنْ

قبح ما يفعل بهم وما يقال لهم (وما كنت بجانب الغربي) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد به إقامة حجة  
لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره والغربي المكان الذي في غربي الطور ، وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى  
والأمر المقضى إلى موسى هو النبوة ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك (ولكننا أنشأنا قرونًا فتطاول  
عليهم العمر) المعنى لم تحضريا محمد للاطلاع على هذه الغيوب التي تخبر بها ، ولكنها صارت إليك بوحيها فكان الواجب  
على الناس المسارعة إلى الإيمان بك ، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها فغابت عقولهم واستحكمت  
جهالتهم فكفروا بك ، وقيل المعنى لكننا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة  
فأرسلناك على فترة من الرسل (ثاريا) أي مقبلا (إذ نادينا) يعني تكليم موسى ، والمراد بذلك إقامة حجة سيدنا  
محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرا حينئذ (ولكن رحمة)  
انتصب على المصدر ، أو على أنه مفعول من أجله والتقدير : ولكن أرسلناك رحمة منك رحمة للخلق بك  
(ولولا أن تصيبهم مصيبة) لو هنا حرف امتناع ولولا الثانية عرض وتخصيض ، والمعنى لولا أن تصيبهم مصيبة  
بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار وإقامة الحجة عليهم ، لئلا يقولوا : ربنا لولا أرسلنا  
إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (فلما جاءهم الحق) يعني القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم  
(قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة ، وقلب العصا حية وفاق  
البحر وشبه ذلك (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) هذا رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى أنهم كفروا بما  
أوتى موسى فلو آتينا محمدا مثل ذلك لكفروا به ، ومن قبل على هذا يتعلق بقوله أوتى موسى ، ويحتمل أن يتعلق  
بقوله أولم يكفروا ، إن كانت الآية في بني إسرائيل ، والأول أحسن (قالوا ساحران تظاهرا) يعنون  
موسى وهارون ، أو موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم والضمير في أولم يكفروا وفي قالوا الكفار قریش  
وقيل لا بآبائهم ، وقيل لليهود والأول أظهر وأصح لأنهم المقصودون بالرد عليهم (فأتوا بكتاب) أمر على وجه التعجيز  
لهم (أهدى منهما) الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فإن لم يستجيبوا لك) قد علم  
أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدا ، ولكنه ذكره بحرف إن مبالغة في إقامة الحجة عليهم :

أَضَلُّ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۖ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ ۚ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۖ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ  
رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۖ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي  
الْجَاهِلِينَ ۖ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۖ وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ  
الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ يُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا

كقوله : فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم : المعنى إن لم يأتوا بكتاب فاعلم أن كفرهم عنادوا اتباع  
أهوائهم لا بحجة وبرهان (ولقد وصلناهم القول) الضمير لكفار قريش ، وقيل لليهود والاول أظهر ؛ لأن الكلام  
من أوله معهم ، والقول هنا القرآن ، وصلناهم : أبلغناهم ، أو جعلناه موصلا بعضه ببعض (الذين آتيناهم  
الكتاب من قبله) يعنى من أسلم من اليهود ، وقيل النجاشي وقومه ، وقيل نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وهم عشرون رجلا فأمنوا به ، والضمير في قبله للقرآن ، وقولهم إنه الحق :  
تعليل لإيمانهم ، وقولهم إنا كنا من قبله مسلمين : بيان لأن إسلامهم قديم لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم في كتبهم قبل أن يبعث (أولئك يؤتوا أجرهم مرتين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ثلاثة يؤتوا أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجل مملوك  
أدى حق الله وحق ماله ، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها (بما صبروا) يعنى صبرهم على إذاية قومهم  
لهم لما أسلبوا أو غير ذلك من أنواع الصبر (ويدرؤون بالحسنة السيئة) أى يدفعون ، ويحتمل أن يريد  
بالسيئة ما يقال لهم من الكلام القبيح ، وبالحسنة ما يجابون به من الكلام الحسن ، أو يريد سيئات أعمالهم  
وحسناتها كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات (وإذا سمعوا اللغو) يعنى ساقط الكلام (لنا أعمالنا ولكم  
أعمالكم) هذا على وجه التبرى والبعد من القائلين للغو (سلام عليكم) معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية  
أو كأنه سلام الانصراف والبعد (لانتبغى الجاهلين) أى لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام (إنك لا تهدي  
من أحببت) نزلت في أبى طالب إذ دعاه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عند موته لا إله إلا الله فقال  
لولا أن يعايرنى بها قريش لأقررت بها عينك ومات على الكفر ، ولفظ الآية مع ذلك على عمومته (ولكن  
الله يهدي من يشاء) لفظ عام ، وقيل أراد به العباس بن عبد المطلب (وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف  
من أرضنا) القائلون لذلك قريش ، وروى أن الذى قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل ، والهدى هو  
الإسلام ، ومعناه الهدى على زعمك ، وقيل إنهم قالوا قد علمنا أن الذى تقول حق ، ولكن إن اتبعناك  
تخطفتنا العرب : أى أهلكونا بالقتال لخالفه دينهم (أو لم نمكن لهم حرما آمنا) هذا رد عليهم فيما اعتذروا  
به من تخطف الناس لهم ، والمعنى أن الحرم لا تعرض له العرب بقتال ولا يمكن الله أحدا من إهلاك أهله  
فقد كانت العرب يغير بعضهم على بعض ، وأهل الحرم آمنون من ذلك (يجبى إليه ثمرات كل شيء) أى

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَلَمَّا مَسَكْنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَفَنَنْعِدُهُ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَسَفٌ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ

تجلب إليه الأرزاق مع أنه واد غير ذى زرع ( بطرت معيشتها ) معنى بطرت طغت وسفوت ، ومعيشتها : نصب على التفسير مثل سفه نفسه ، أو على إسقاط حرف الجر تقديره بطرت في معيشتها أو يتضمن معنى بطرت كفرت (إلا قليلا) يعنى قليلا من السكنى ، أو قليلا من الساكنين : أى لم يسكنها بعد إلا ما كها إلا ما زأعلى الطريق ساعة ( وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أممها رسولا ) أم القرى مكة لأنها أول ما خلق الله من الأرض ، ولأن فيها بيت الله ، والمعنى أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم في أم القرى ، فإن كفروا أهلكتهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم ( وما أوتيتم من شيء ) الآية : تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب في الآخرة ( أفن وعدها ) الآية : إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة ، والمراد بمن وعدها المؤمنين ، وبمن متعاه الكافرين ، وقيل سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم وأبو جهل ، وقيل حمزة وأبو جهل ، والعموم أحسن لفظا ، ومعنى من المحضرين أى من المحضرين في العذاب ( ويوم يناديهم ) العامل في الظرف مضمرة وفاعل ينادى الله تعالى ، ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة ، والمفعول به المشركون ( أين شركائي ) توبيخ للمشركين ونفسهم إلى نفسه على زعمهم ، ولذلك قال الذين كنتم تزعمون ، فجذف المفعول وتقديره تزعمون أنهم شركاء لي أو تزعمون أنهم شفعاء لكم ( قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا ) معنى حق عليهم القول وجب عليهم العذاب ، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبرائهم ، والإشارة بقولهم هؤلاء الذين أغوينا : إلى أتباعهم من الضعفاء ، فإن قيل : كيف الجمع بين قولهم أغوينا وبين قولهم تبرأنا إليك ، فإنهم اعترفوا بإغوائهم ، وتبرؤا مع ذلك منهم ؟ فالجواب أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك ، والمعنى أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها فبرأنا إليك من عبادتهم لنا ، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء وتبرؤا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض في الكلام ، وقد قيل في معنى الآية غير هذا مما هو تكلف بعيد ( لو أنهم كانوا يهتدون ) فيه أربعة أوجه : الأول أن المعنى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام ، والثاني لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا

مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ \* فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ \* يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ \* وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ \* وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ \* وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيًّا \* أَفَلَا تَسْمَعُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* وَمَنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَيَوْمَ يَنَادِهِمْ فَيقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ \* وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \* إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ

والثالث لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوا فلو على هذه الأقوال حذف امتناع وجوابها محذوف ، والرابع أن يسكون لوللتمنى : أى تمنوا لو كانوا مهتدين (ماذا أجبتهم المرسلين) أى أهل صدقهم المرسلين أو كذبتموهم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) عميت عبارة عن حيرتهم ، والانباء الأخبار أى أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضاً عن الأنباء لأنهم قد تساوا في الخيرة والعجز عن الجواب (وربك يخلق ما يشاء ويختار) قيل سببها استغراب قريش لاختصاص سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ، فالمعنى أن الله يخلق ما يشاء ، ويختار لرسالته من يشاء من عباده ، ولفظها أعم من ذلك ، والأحسن حمله على عمومها : أى يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق ، ويفعل ما يريد (ما كان لهم الخيرة) مانافية ، والمعنى ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده . فالوقف على قوله ويختار ، وقيل إن ما مفعولة يختار ، ومعنى الخيرة على هذا الخير والمصلحة ، وهذا يجرى على قول المعتزلة ، وذلك ضعيف لرفع الخيرة على أنها اسم كان ، ولو كانت مفعولة : لكان اسم كان مضمرأ يعود على ما ؛ وكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان ، وقد اعتذر عن هذا من قال إن مفعولة بأن يقال تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه ، ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية يتجه أن تكون مفعولة إذا قدرنا كان تامة ، ويوقف على قوله ما كان : أى يختار كل كائن ، ويكون لهم الخيرة جملة مستأنفة ، وهذا بعيد جدا (يعلم ما تكن صدورهم) أى ماتخفيه قلوبهم وعبر عن القلب بالصدر ، لأنه يحتوى عليه (له الحمد في الأولى والآخرة) قيل إن الحمد في الآخرة قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، وفى ذكر الأولى مع الآخرة مطابقة (سرمدا) أى دائما ، والمراد بالآيات إثبات الوجدانية وإبطال الشرك ، فإن قيل كيف قال يأتكم بضياء ، وهلا قال يأتكم بنهار فى مقابلة قوله يأتكم بليل ؟ فالجواب أنه ذكر الضياء جملة مافية من المنافع والعبر (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى فى النهار ، فى الآية لف ونشر (ونزعنا من كل أمة شهيدا) أى أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بأعمالهم



فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ \*

وهو نبيهم ، لأن كل نبي يشهد على أمته (هاتوا برهانكم) أى هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر ، وذلك إعداؤهم وتوبيخ وتعجيز (إن قارون كان من قوم موسى) أى من بنى إسرائيل ، وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمته ، وقيل ابن خالته (فبغى عليهم) أى تكبر وطفى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) المفاتيح هى التى يفتح بها ، وقيل هى الخزائن ، والاول أظهر ، والعصبة جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين ، وتنوء معناه تثقل ، يقال ناه به الحمل : إذا أثقله ، وقيل معنى تنوء تنهض بتحمل وتكلف والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتيح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا ، ولا يحتاج إلى قلب على القول الاول (لا تفرح) الفرح هنا هو الذى يقود إلى الإعجاب والطينان ، ولذلك قال إن الله لا يحب الفرحين ، وقيل السرور بالدنيا ، لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ويدل على هذا قوله ولا تفرحوا بما آتاكم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال ، وذلك بفعل الحسنات والصدقات (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لاتضيع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك للآخرة ، وقيل معناه لاتضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات ، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير ، فالكلام على هذا وعظ ، وعلى الاول إباحة للتمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعدة (وأحسن كما أحسن الله إليك) أى أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى قال إنما أُوتيته على علم عندي لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعدة ، والمعنى أن هذا المال إنما أعطاه الله بالاستحقاق له بسبب علم عندي استوجبه به واختلف فى هذا العلم فقيل إنه علم السكيماء ، وقيل التجارب للأموال والمعرفة بالمكاسب ، وقيل حفظه التوارة ، وهذا بعيد ، لأنه كان كافرا ، قيل المعنى إنما أُوتيته على علم من الله وتخصيص خصني به ، ثم جعل قوله عندي كما تقول فى ظنى واعتقادي (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون) هذاردة عليه فى اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للبال أو جمعه للخدم ، والاول أظهر (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) فى معناه قولان : أحدهما أنه متصل بما قبله ، والضمير فى ذنوبهم يعود على القرون المتقدمة والمجرمون من بعدهم أى لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة ، والثانى أنه إخبار عن حال المجرمين فى الآخرة : وأهم لا يسألون عن ذنوبهم لكونهم يدخلون النار من غير حساب ، والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسئلون عنها لقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ، وأن هذا السؤال المنفى السؤال على وجه الاختبار وطلب التعريف ، لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ ، وحيثما ورد فى القرآن إثبات السؤال فى الآخرة ، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه

نُفِرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ \*  
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ \* نَحْسَبُنَا  
بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ قَسًا كَانَتْ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ \* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا  
مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ  
نَبَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ \* تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا  
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيينَ \* مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ  
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنَّ يَلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ \*  
وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* وَلَا تَدْعُ

الاستخبار والتعريف ، ومنه قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ( نفرج على قومه في زينته ) في  
ثياب حر ، وقيل في عبيده وحاشيته ، واللفظ أعم من ذلك ( ويلكم ) زجر للذين تمنوا مثل حال قارون ( ولا  
يلقها إلا الصابرون ) الضمير عائد على الخصال التي دل عليها الكلام المتقدم ، وهي الإيمان والعمل الصالح ، وقيل  
على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم : أي لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين ، والصابر هنا إمساك النفس عن الدنيا  
وزينتها ( نحسبنا به وبداره الأرض ) روى أن قارون لما بغى على بني إسرائيل وأذى موسى دعا موسى عليه السلام  
عليه فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه ، فقال موسى : يا أرض خذهم فأخذتهم إلى  
الركب فاستغاثوا بموسى فقال يا أرض خذهم حتى تم بهم الخسف ( مكانه ) أي منزلته في المال والعزة ( بالأمس )  
يحتمل أن يريد به اليوم الذي كان قبل ذلك اليوم أو ما تقدم من الزمان القريب ( ويكان ) مذهب سيديوه أن وى  
حرف تنبيه ، ثم ذكرت بعدها كأن ، والمعنى على هذا أنهم تنبهوا لخطئهم في قولهم ياليت لنا مثل ما أوتي قارون ، ثم  
قالوا كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر : أي ما أشبه الحال بهذا ، وقال الكوفيون ويك هو ويك حذف  
منه اللام لكثرة الاستعمال ، ثم ذكرت بعدها أن ، والمعنى ألم يعلموا أن الله وقيل ويكان كلمة واحدة معناها  
ألم تعلم ( علوا في الأرض ) أي تكبرا وطغيا لا لارفعة المنزلة ، فإن إرادتها جائزة ( فرض عليك القرآن ) أي  
أنزله عليك وأثبتته ، وقيل المعنى أعطاك القرآن ، والمعنى متقارب ، وقيل فرض عليك أحكام القرآن ، فهي  
على حذف مضاف ( لراذك إلى معاد ) المعاد الموضع الذي يعاد إليه ، فقيل يعني مكة ، والآية نزلت حين الهجرة ،  
فقيموا وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها ، وقيل يعني الآخرة فمعناها إعلام بالحشر ، وقيل يعني الجنة ( وما كنت ترجو  
أن يلقى إليك الكتاب ) أي ما كنت تطمع أن تنال النبوة ، ولا أن ينزل عليك الكتاب ولكن الله رحمك بذلك  
ورحم الناس بنبوتك ، والاستثناء بمعنى لكن فهو منقطع . ويحتمل أن يكون متصلا . والمعنى ما أنزل عليك الكتاب  
إلا رحمة من ربك لك ورحمة للناس ، ورحمة على هذا مفعول من أجله أو حال ، وعلى الأول منصوب على

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ،

## سورة العنكبوت

مكية إلا من آية ١ إلى غاية ١١ فنية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

الاستثناء (وإدع إلى ربك) يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة ، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ، فالمفعول محذوف على هذا تقديره ادع الناس (ولا تدع) أى لا تعبد (مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه) الآية . أى إلا إياه والوجه هنا عبارة عن الذات

## سورة العنكبوت

(الم) ذكر في البقرة (أحسب الناس أن يتركوا) نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمار بن ياسر وغيره ، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فضاقت صدورهم بذلك وأنهم الله بهذه الآية ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته في عباده يسلط الكفار على المؤمنين ليحصم بذلك ، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب ، ولتظهر مع ذلك عام ، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة من مصيبة أو مضرة في النفس والمال وغير ذلك ، ومعنى حسب ظن ، وأن يتركوا مفعولها ، والهمزة للإنكار وهم لا يفتنون في موضع الحال من الضمير في يتركوا تقديره غير مقتونين ، وأن يقولوا : تعليل في موضع المفعول من أجله ( فليعلمن الله الذين صدقوا ) أى يعلم صدقهم علما ظاهرا في الوجود ، وقد كان عليه في الأزل والصدق والكذب في الآية يعنى بهما صحة الإيمان والثبوت عليه ، أو ضد ذلك ( أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ) أم معادلة لقوله أحسب الناس ، والمراد بالذين يعملون السيئات الكفار الذين يعذبون المؤمنين ، ولفظها مع ذلك عام في كل كافر أو عاص ، ومعنى يسبقونا يفوتون من عقابنا ويعجزوننا ، فعنى الكلام نفى سبقهم كما أن معنى الآية قبلها نفى ترك المؤمنين بغير فتنة (من كان يرجو لقاء الله) الآية : تسلية للمؤمنين ، ووعدهم بالخير في الدار الآخرة ، والرجاء هنا على بابه ، وقيل هو بمعنى الخوف ، وأجل الله هو الموت ، ومعنى الآية من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله حتى يلقي الله فيجزيه فإن لقاء الله قريب الإتيان وكل ما هو آت قريب ( ومن جاهد فأبما يجاهد نفسه ) أى منفعة جهاده فأبما هي نفسه ، فإن الله لا تنفعه طاعة العباد ، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال ، أو جهاد

تُطْعَمَهُمَا إِلَى مَرَجِعِكُمْ فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ \*  
وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ  
لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ \* وَلَيَعْلَنَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَنَ الْمُنَافِقِينَ \*  
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ  
لَكَاذِبُونَ \* وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
إِسْحَاقَ إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ \* فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ  
وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ \* وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \*  
إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

النفس (حسنا) منصوب بفعل مضمّر تقديره ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسنا ، أو مصدرا من معنى  
وصينا أي وصية حسنة (وإن جاهدك لتشرك بي) الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص ، وأنه لما أسلم حلفت  
أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر ، وقيل نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك فأمرهم الله بالثبات على الإسلام  
والأبطينوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر ، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة (ومن الناس من يقول  
آمنا بالله) نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم ، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان ، فإذا نصر الله  
المؤمنين قالوا إنا كنا معكم ، فعنى أودى في الله أودى بسبب إيمانه بالله ، وفتنة الناس ، تعذيبهم وقيل نزلت  
في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل لأمه (اتبعوا سبيلنا) أى قال الكفار للمؤمنين اكفروا كما كفرنا  
ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان ، وروى أن قاتل هذه المقالة الوليد بن المغيرة حكاها المهدوى ، وقولهم  
ولنحمل خطاياكم : جزاء قولهم اتبعوا سبيلنا ، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة ولما كان معنى الخبر  
صحّة تكذيبهم فيه أخبره الله أنهم كاذبون : أى لا يحملون أوزار هؤلاء ، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار  
أتباعهم من الكفار (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه ، ويحتمل أن يكون  
ذلك من أول ولادته ، وروى أنه بعث وهو ابن أربعين سنة ، وأنه عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة  
فإن قيل : لم قال ألف سنة ، ثم قال إلا خمسين عاما ، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى ؟ فالجواب أن ذلك كراهة  
لتكرار لفظ السنة ، فإن التكرار مكروه إلا إذا قصد به تفخيم أو تهويل (وجعلناها آية) يحتمل أن يعود  
الضمير على السفينة ، أو على النجاة ، أو على القصة ، بكما لها (وتخلقون إفكاً) هو من الخلقة يريد به نحت  
الأصنام فسماه خلقة على وجه التجويز ، وقيل هو من اختلاق الكذب (لا يملكون لكم رزقا) الآية :  
احتجاج على الوحداية ونفى الشركاء ، فإن قيل : لم نكر الرزق أولا ، ثم عرفه في قوله فابتغوا عند الله الرزق ؟  
فالجواب : أنه نكره في قوله لا يملكون لكم رزقا لقصد العموم في النفي فإن النكرة في سياق النفي تقتضى  
العموم ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم في طلب الرزق كله من الله ، لأنه لا يقتضى العموم ، في سياق

فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ وَإِنْ تَكَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۚ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۚ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۚ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۚ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَايَعُوا اللَّهَ وَلِقَاءَهُ ۖ أُولَٰئِكَ يَتُوبُونَ مِمَّا رَحِمِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ۚ بَعْضٌ يَّوْلِعُ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ وَمَا وَلَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ۚ فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ ۚ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ

الإثبات لإمام التعريف فكانه قال ابتغوا الرزق كله عند الله (وإن يكذبوك) الآية يحتمل أن تكون من كلام إبراهيم أو من كلام الله تعالى ، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم ، أو يراد به تسليّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه له بالناسى بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) يقال بدأ الله الخلق وأبداه بمعنى واحد ، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة ، والمعنى أو لم ير الكفار أن الله خلق الخلق فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر ، فقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدأ ، لأن المعنى فيهما مختلف لأن رؤية البداية بالمشاهدة ، بخلاف الإعادة فإنها تعلم بالظن والاستدلال ، وإنما هو معطوف على الجملة كلها وقد قيل إنه يريد إعادة النبات ، وإبدائه ، وعلى هذا يكون ثم يعيده عطفاً على يسدئ لاتفاق المعنى ، والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام (إن ذلك على الله يسير) يعني إعادة الخلق وهي حشرهم ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم ، ولذلك ختمها بقوله إن الله على كل شيء قدير (وإليه تقلابون) أي ترجعون (وما أنتم بمعجزين) أي لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء (أولئك يذسوا من رحمتي) يحتمل أن يكون بأسهم في الآخرة ، أو يكون وصف لحالهم في الدنيا ، لأن الكافرين يأس من رحمة الله ، والمؤمن راج خائف ، وهذا الكلام من قوله : أو لم يروا ، إلى هنا : يحتمل أن يكون خطاباً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم معترضاً بين قصة إبراهيم ، ويحتمل أن يكون خطاباً لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له (مودة بينكم) نصب مودة على أنها مفعول من أجله أو مفعول ثان لاتخذتم ، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمرة أو خبر إن وتكون ماموصولة ونصب بينكم على الظرفية ، وخفضه بالإضافة (فأمن له لوط) تضمن آمن معنى انقاد ، ولذلك تعدى باللام (وقال إني مهاجر إلى ربّي) الفاعل لذلك إبراهيم ، وقيل لوط ، وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم ،

وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّمَا لَكُمْ لَتَاتُونَ  
الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ أَتَنْكُرُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ  
الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّنَّبَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى  
الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا  
ظَالِمِينَ ۝ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تُكَانَتِ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَلَمَّا  
أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُنَّ  
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَا  
مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا  
تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَمِينَ ۝ وَعَادَا وَتَمُودَا وَقَدْ  
تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝ وَقَارُونَ  
وَفِرْعَوْنَ وَهَمَزْنَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۝ فَكَلَّا أَخَذْنَا  
بَذَنِّبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا

وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزيور والفرقان (وتقطعون السبيل) قيل أراد قطع الطرق للساب والقتل، وقيل أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال (وتأتون في ناديكم المنكر) النادي المجلس الذي يجتمع فيه الناس والمنكر فعلهم بالرجال، وقيل لإذابتهم للناس (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) الرسل هنا الملائكة والبشرى بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله «فبشروه بغلام حليم» أو بشارته بنصر سيدنا لوط والاول أظهر (أهل هذه القرية) يعنى قرية سيدنا لوط (قال إن فيها لوطاً) ليس إخباراً بأنه فيها وإنما قصد نجاة سيدنا لوط من العذاب الذى يصيب أهل القرية وبراءته من الظلم الذى وصفوه به، فكانه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيها لوط، وكيف تقولون لهم ظالمون وفيهم لوط (من الغابرين) قد ذكر وكذلك سىء بهم (رجزاً من السماء) أى عذاباً (وارجوا اليوم الآخر) قيل الرجاء هنا الخوف، وقيل هو على بابه (ولا تعثوا في الأرض) يعنى نقصهم المكيال والميزان (الرجفة) هى الصيحة (وقد تبين لكم من مساكنهم) أى آثار مساكنهم باقية تدل على ما أصابهم (وكانوا مستبصرين) قيل معناه لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به، وقيل لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عن عادا، وقيل معنى مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا (وما كانوا سابقين) أى لم يفوتونا (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) الحاصب الحجارة، والحاصب أيضاً الريح الشديدة، ويحتمل عندى أنه أراد به المعنيين، لأن قوم سيدنا لوط أهلكوا بالحجارة، وعاد أهلكوا بالريح، وإن حملناه



وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ  
الْعَنَكُبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكُبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ  
مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ۝ خَلَقَ  
اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّذِيْذُنِينَ ۝ وَأَنزَلَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقَامَ  
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝ وَلَا تَجِدُوا  
أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِغِي أَعْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنزَلَ إِلَيْنَا وَلِلَّهِ

على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر ، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله  
إن الله وملائكته يصلون على النبي ، ويقوى ذلك هنا لأن المقصود هاهنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفار  
(ومنها من أخذته الصيحة) يعنى ثمود ومدين (ومنها من خسفناه الأرض) يعنى قارون (ومنها من أغرقنا)  
يعنى قوم نوح وفرعون وقومه (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) شبه الله  
الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيفا ، فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها  
ليس بشيء فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضرعون (أو هن  
البيوت) أى أضعفها (لو كانوا يعلمون) أى لو كانوا يعلمون أن هذا ما هم (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء)  
ما موصولة بمعنى الذى مفعولة للفعل الذى قبلها وقيل هى نافية ، والفعل معلق عنها والمعنى على هذا لستم  
تدعون من دون الله شيئا له بال ، فلا يصلح أن يسمى شيئا (بالحق) أى بالواجب لا على وجه العبث  
واللعب (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) إذا كان المصلى خاشعا في صلاته متذكرا لعظمة من وقف  
بين يديه حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكان الصلاة ناهية عن ذلك (ولذكر الله أكبر) قيل  
فيه ثلاثة معان : الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله ، لأن  
ذكر الله أعظم ما فيها ، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهىها عن الفحشاء والمنكر ، لأن ذكر الله فيها هو الذى  
ينهى عن الفحشاء والمنكر : الثانى أن ذكر الله على الدوام أكبر من النهى عن الفحشاء والمنكر من الصلاة  
لأنها فى بعض الأوقات دون بعض : الثالث أن ذكر الله أكبر أجرا من الصلاة ومن سائر الطاعات ، كما ورد  
فى الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، قالوا بلى قال ذكر الله (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن)  
أى لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم فى الدين إلا بالتي هى أحسن ، لا بضرب ولا قتال ،  
وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد ، ثم نسخ بالسيف ، ومعنى إلا الذين ظلموا : أى ظلموكم ، وصرحوا بإذابة  
نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل معنى الآية : لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من  
الأخبار إلا بالتي هى أحسن ، ومعنى إلا الذين ظلموا على هذا من بقى منهم على كفره ، والمعنى الأول أظهر  
(وقولوا آمنا) هذا وما بعده يقتضى مواعدة ومسألة ، وهى مذبذبة بالسيف ، ويقتضى أيضا الإعراض  
عن مكالمتهم ، وفى الحديث : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تسكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل

وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ \* وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ  
وَلَا تَخْطُهُ يَمِينُكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ \* بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ  
بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ \* وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ  
مُبِينٌ \* أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \*  
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ  
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ \* يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَخَبِيئَةٌ بِالْكَافِرِينَ \* يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ  
تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* يَكْعَادَى الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَأَيُّ فَاعْبُدُونَ \*

إليكم ، فإن كان باطلا لم تصدقوهم ، وإن كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) أي كما أنزلنا  
الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك (فالذين آتيناهم الكتاب) يعني عبد الله بن سلام وأمثاله ممن أسلم من  
اليهود والنصارى (ومن هؤلاء من يؤمن به) أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله  
من هؤلاء من يؤمن به كفار قريش ، وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل  
وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم منهم كعبد الله بن سلام (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب)  
هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب ، ثم جاء  
بالقرآن ، فإن قيل : ما فائدة قوله يمينك ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد للكلام ، وتصوير للمعنى المراد (إذا  
لارتاب المبطون) أي لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار فكانوا يقولون لعله تعلم هذا  
الكتاب أو قرأه ، وقيل وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يحدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم  
أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة ، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا  
للصفة التي وصفه الله بها عندهم ، والمذهب الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قط ولا كتب  
وقال الباجي وغيره : أنه كتب لظاهر حديث الحديبية ، وهذا القول ضعيف (بل هو آيات)  
الضمير للقرآن ، والإضراب بيل عن كلام محذوف تقديره ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطون (أو لم  
يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) المعنى كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضح دلالة على صحة النبوة فهلا  
اكتفوا به عن طلب الآيات (قل كفى بالله) ذكره عنه في الرد وفي الأنعام (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير  
للكفار يعني قولهم اتنا بما تعدنا ، وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (ولولا أجل مسمى) أي  
لولا أن الله قدر لعذابهم أجلا مسمى لجاءهم به حين طلبوه (وليا تينهم بغتة) يحتمل أن يريد القتل الذي أصابهم  
يوم بدر أو الجوع الذي أصابهم بتوالي التحط ، أو يريد عذاب الآخرة ، وهذا أظهر لقوله : وإن جهنم  
محيطة بالكافرين (يوم يغشاهم العذاب) أي يحيط بهم ، والعامل في الظرف محذوف ، أو محيطة (إن أرضي

كُلُّ نَفْسٍ ذَا نَفْسٍ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَكَانَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَلَئِنَّمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ نَّذْلٍ مِنَ السَّمَاءِ مَا فَاعِيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝

واسعة) تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيباً في غيرها من أرض الله فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة (لنبوتهم أي نزلهم، وقرئ ثبوتهم بالثاء المثلثة من الثوى وهو الإقامة في المنزل) (وكان من دابة لا تحمل رزقها) أي كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى بلاد الناس: أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم (ولئن سألتهم في الموضوعين: إقامة حجة عليهم) (فأنى يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق (قل الحمد لله) حمد الله على ظهور الحجة، ويكون المعنى إلزامهم أن يحمدا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض (بل أكثرهم لا يعقلون) لإضراب عن كلام محذوف تقديره يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون (لهي الحيوان) أي الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ الحيوان مصدر كالحياة (فاذا ركبوا في الفلك) الآية: إقامة حجة عليهم بدعائهم حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء. (ليكفروا) أمر على وجه التهديد أو على وجه الخذلان والتخليه كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحتك اعمل ما شئت (أو لم يروا أنا جعلنا حراماً آمناً) الضمير لكفار قريش، والحرم الامن: مكة، لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد ولا ينتهك أحد حرمتها (ويتخطف الناس من حولهم) عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتال أو أخذ الأموال (والذين جاهدوا فينا) يعني جهاد النفس من الصبر على إذابة الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك، وقيل يعني القتال، وذلك ضعيف، لأن القتال لم يكن مأموراً به حين نزول الآية (لنهديهم سبلنا) أي لنوفقهم لسبيل الخير (وإن الله لمع المحسنين) المعنى أنه معهم بإعانتة ونصره

## سورة الروم

مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ يَغْلِبْ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سَنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ أَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بَنَصَّرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۝ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَهَرَ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ۝ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۝ وَلَئِنْ كَثُرُوا مِنْ النَّاسِ بَلَقَايَ رَبِّهِمْ لَكَفِّرُونَ ۝ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ

## سورة الروم

(غلبت الروم) أى هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم ، وسميت الروم باسم جددهم وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ( فى أدنى الأرض ) قيل هى الجزيرة ، وهى بين الشام والعراق وهى أدنى أرض الروم إلى فارس ، وقيل فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام ( وهم من بعد غلبهم سيغلبون ) إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس ( فى بضع سنين ) البضع ما بين الثلاث إلى التسع ( ويومئذ يفرح المؤمنون ) روى أن غاب الروم فارس وقع يوم بدر ، وقبل يوم الحديبية ، وفرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش وقبل فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس ، لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام ، كذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش ، وروى أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين وذلك قبل أن يحرم القمار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زدكم فى الرهن واستزدكم فى الأجل ، فجعل القلاص مائة ، والأجل تسعة أعوام وجعل معه أبى ابن خلف مثل ذلك ، فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبى بن خلف ، إذ كان قد مات وجاءها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق بها ( وعد الله ) مصدر مؤكد كقوله له على ألف درهم عرفا ، لأن معناه اعترفت له بها اعترافا ( يعلمون ظاهرا ) قيل معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم فى ذلك مثل البهائم ، وقيل الظاهر ما يعلم بأوائل العقول ، والباطن ما يعلم بالنظر والدليل ، وقيل هو من الظهور بمعنى العلو فى الدنيا ، وقيل ظاهر بمعنى زائل ذاهب ، والظاهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمر الدنيا ومصالحها لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة ، وذلك يقتضى عدم معرفتهم بها ، وانظر كيف نفى العلم عنهم أولا ، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة ، وقال بعض أهل البيان : إن هذا من المطابقة لاجتماع النفي والإثبات ، وجعل بعضهم العلم المثبت كالأدلة لقلته منفعة فهو على هذا بيان للنفي ( أولم يتفكروا فى أنفسهم ) يحتمل معنيين : أحدهما أن تكون النفس ظرفا للفكرة فى خلق السموات والأرض كأنه قال أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق ، والثانى أن يكون المعنى أولم يتفكروا فى ذواتهم

مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ  
فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ \* ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤْيَ أَنْ كَذَّبُوا  
بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ \* اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ  
الْمُجْرِمُونَ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ \* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ  
يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ \* فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ \* فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ \*  
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ \* يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ  
وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ \* وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ  
تَنْتَشِرُونَ \* وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ \* وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق ، ويكون قوله ما خلق الآية : استئناف كلام ، والمعنى الأول أظهر  
( وأثاروا الأرض ) أى حرثوها ( ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء ) معنى السوء : هلاك الكفار ، ولفظ  
السوء أى تأنيث الأسوأ : كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، وقرئ عاقبة بالرفع على أنه اسم كان ، والسوء أى  
خبرها ، وقرئ بنصب عاقبة على أنها خبر كان ، والسوء أى اسمها ، وأن كذبوا مفعول من أجله ، ويحتمل  
أن تكون السوء أى مصدر أساءوا ( يبلس المجرمون ) الإبلاس الكون فى شرع اليأس من الخير ( يتفرقون )  
معناه فى المنازل والجزاء ( تحبرون ) تنعمون من الحبور وهو السرور والنعيم ، وقيل تكرمون ( سبحانه الله )  
هذا تعليم للعباد أى قولوا سبحانه الله حين تمسون وحين تصبحون ( وعشيا وحين تظهرون ) أى حين تدخلون  
فى وقت الظهيرة وهى وسط النهار ، وقوله وله الحمد فى السموات والأرض : اعتراض بين المعطوفات ،  
وقيل أراد بذلك الصلوات الخمس ، فحين تمسون : المغرب والعشاء ، وحين تصبحون : الصبح ، وعشيا :  
العصر ، وحين تظهرون الظهر ( يخرج الحي ) ذكر فى آل عمران ( ويحي الأرض ) أى ينبت فيها النبات  
( وكذلك تخرجون ) أى كما يخرج الله النبات من الأرض كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة  
( تنتشرون ) أى تنصرفون فى الدنيا ( من أنفسكم أزواجا ) أى صنفكم وكنسكم ، قيل أراد خلقه حواء من  
ضلع آدم ، وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم ( مودة ورحمة ) قيل المودة الجماع ، والرحمة الولد ، والعموم  
أحسن وأبلغ ( واختلف ألسنتكم ) أى لغاتكم ( وألوانكم ) أى البياض والسواد ، وقيل يعنى أصنافكم ،

يَسْمَعُونَ ۚ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۚ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُم مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ بَلْ أَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ۚ فَأَقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۚ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا

والأول أظهر (خوفا وطمعا) ذكر في الرعد (أن تقوم السماء والأرض) معناه ثبت أو يقوم تدبيرها (ثم) إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون (إذا الأولى شرطية ، والثانية فجائية وهي جواب الأولى ، والدعوة في هذه الآية قوله للبوتى قوموا بالنفخة الثانية في الصور ، ومن الأرض يتعلق بقوله تخرجون أو بقوله دعاكم ، على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو كقولك دعوتك من الجبل إذا كان المدعو في الجبل (فانتم) ذكر في البقرة (وهو أهون عليه) أي الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى ، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث ، فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثانی مرة ، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله ، فإن كل شيء على الله يسير (وله المثل الأعلى) أي الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السموات والأرض (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء) هذا هو المثل المضروب معناه أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم ولا يستون معكم في أحوالكم ، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبيده في ملكه ، ولا يماثله أحد في ربوبيته ، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي ودخل في النفي قوله «فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم» أي لستم في أموالكم سواء مع عبيدكم ، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم ، لأن العبيد عندهم أقل وأذل من ذلك (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم) الإضراب بيل عما تضمنه معنى الآية المتقدمة كأنه يقول ليس لهم حجة في إشرأ كههم بالله بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم (فأقم وجهك للدين) هو دين الإسلام ، وإقامة الوجه في الموضوعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه في قوله أقم ، والقيم ضرب من ضروب التجنيس (فطرت الله) منصوب على المصدر : كقوله صبغة الله أو مفعولا بفعل مضمر تقديره الزموا فطرة الله ، أو عليكم فطرة الله ، ومعناه خلقه الله ، والمراد به دين الإسلام ، لأن الله خالق الخلق عليه ، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة ، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه (لا تبديل لخلق الله) يعني بخلق الله الفطرة التي خلق الناس عليها من الإيمان ، ومعنى أن الله لا يبدلها أي لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى ، أو



الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۚ  
وَلِإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۚ  
لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ  
يُشْرِكُونَ ۚ وَلِإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۚ  
أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ فَشَاتِذَا الْقُرْبَىٰ  
حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ  
رَبٍّ لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَلَا وَلَئِكَ هُمُ

يكون المعنى أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوا ، فالنبي على هذا حكم لا خبر وقيل إنه على الخصوص في المؤمنين  
أى لا تبديل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه ، وقيل إنه نهى عن تبديل الخلقة كخصاء  
الفحول من الحيوان وقطع آذانها وشبه ذلك (منيبين إليه) منصوب على الحال من قوله أقم وجهك لأن الخطاب  
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو أمته ، ولذلك جمعهم في قوله منيبين ، وقيل هو حال من ضمير الفاعل المستتر في  
الزمو فطرة الله ، وقيل هو حال من قوله فطر الناس وهذا بعيد (واتقوه) وما بعده معطوف على أقم وجهك أو  
على العامل في فطرة الله وهو الزمو المضممر (من الذين فرقوا دينهم) المجرور بدل من المجرور قبله ، ومعنى فرقوا  
دينهم : جعلوه فرقا أى اختلفوا فيه ، وقرئ : فارقوا من المفارقة أى تركوه ، والمراد بالمشركين هنا أصناف  
الكفار ، وقيل هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة ، وفي لفظ المشركين هنا تجوز بعيد ، ولعل قائل هذا  
القول إنما قاله في قول الله في الأنعام وإن الذين فرقوا دينهم ، فإنه ليس هناك ذكر المشركين (ولإذا مس الناس  
ضر) الآية : إنحاء على المشركين ، لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء (ليكفروا) ذكر  
في النحل (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أم هنا منقطعة بمعنى بل ، والسلطان الحجة ، وكلامه مجاز كما تقول نطق  
بكذا ، والمعنى ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم (وإذا أذقنا الناس رحمة) إنحاء على من يفرح ويبطر إذا  
أصابه الخير ، ويقنط إذا أصابه الشر ، وانظر كيف قال هنا إذا ، وقال في الشر إن تصيبهم سيئة ، لأن إذا  
للقطع بوقوع الشرط ، بخلاف إن فإنها للشك في وقوعه ، ففى ذلك إشارة إلى أن الخير الذى يصيب به  
عباده أكثر من الشر (بما قدمت أيديهم) المعنى أن ما يصيب الناس من المصائب ، فإنه بسبب ذنوبهم  
(فآت ذا القربى حقه) يعنى صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة ، ولو بالكلام الطيب (وما آتيتم من ربا  
ليربو في أموال الناس) الآية : معناها كقوله : يحق الله الربا ويربى الصدقات ، أى ما أعطيتم من أموالكم  
على وجه الربا فلا يزكو عند الله ، وما آتيتم من الصدقات : فهو الذى يزكو عند الله وينفعكم به ، وقيل المراد  
أن يهب الرجل للرجل أو يهدى له ليعوض له أكثر من ذلك فهذا وإن كان جائزا فإنه لا ثواب فيه وقرئ  
وما آتيتم ، بالمعنى أعطيتم وبالقصر يعنى جئتم أى فعلتموه ، وقرئ لتربوا بالناء المضمومة وليربو بالياء

الْمُضْعِفُونَ \* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ  
مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ \* ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ  
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ  
أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ \* فَاقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ \* مَنْ  
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ \* لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ  
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ  
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
فَاتَّقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ \* اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي  
السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ  
يَسْتَبْشِرُونَ \* وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ \* فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي

مفتوحة ونصب الواو (وأولئك هم المضعفون) المضعف ذو الإضعاف من الحسنات ، وفي هذه الجملة التفتات  
الخروجه من الغيبة إلى الخطاب ، وكان الأصل أن يقال وما آتيتكم من زكاة فأتيتكم المضعفون ، وفيه أيضا  
حذف ، لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما ، وتقديره المضعفون به أو قوتوه هم المضعفون (ظهر الفساد في البر  
والبحر) قيل البر البلاد البعيدة من البحر ، والبحر هو البلاد التي على ساحل البحر ، وقيل البر اللسان والبحر  
القلب وهذا ضعيف ، والصحيح أن البر والبحر المعروفان ، فظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه  
ذلك ، وظهور الفساد في البحر بالفرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس  
من الكفر والعصيان (لامرذله) أي لارجوع له ولا بد من وقوعه (من الله) يتعلق بقوله يأتي أو بقوله  
لامرذله أي لا يرده الله (يومئذ يصدعون) من الصدع وهو الفرقة أي يفرقون : فريق في الجنة ، وفريق  
في السعير (فلا أنفسهم يمهدون) أي يوطنون وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه ، والمعنى أنهم  
يعملون ما ينتفعون به في الآخرة (ليجزى) يتعلق يمهدون أو يصدعون ، أو بمحذوف (مبشرات) أي  
تبشر بالمطر (وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال ليبشركم وليذيقكم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف  
تقديره ليذيقكم (من رحمته) أرسلها (وكان حقاً) انتصب حقاً لأنه خبر كان واسمها نصر المؤمنين ،  
وقيل اسمها مضمع يعود على مصدر اتقمنا : أي وكان الانتقام حقاً ، فعلى هذا يوقف على حقاً ويكون  
نصر المؤمنين مبتدأ وهذا ضعيف (تثير سحاباً) أي تحركها وتنشرها (كسفا) أي قطعاً ، وقرئ  
بإسكان السين وهما بناءان للجمع ، وقيل معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة (الودق) هو المطر  
(من خلاله) الخلال الشقاق الذي بين بعضه وبعض لأنه متخلل الأجزاء والضمير يعود على السحاب (من

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ۝ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَآكِنَّاكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝

قبله) كرر للتأكيد وليفيد سرعة قلب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار (لمبلسين) أى قاطنين كقوله ينزل الغيث من بعد ما قنطوا (فرآه مصفرا) الضمير للنبات الذى ينبت الله بالمطر ، والمعنى لئن أرسل الله ريحا فاصفر به النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله ، وقيل الضمير للريح ، وقيل للسحاب والاول احسن فى المعنى (فإنك لا تسمع الموتى) الآية : استعارة فى عدم سماع الكفار للوعظ والبراهين ، فشبه الكفار بالموتى فى عدم إحساسهم (خلقكم من ضعف) الضعف الاول كون الإنسان من ماء مهين ، وكونه ضعيف فى حال الطفولية ، والضعف الثانى الأخير الهرم ، وقرئ بفتح الصاد وضحا وهما لغتان (مالبثوا غير ساعة) هذا جواب القسم ، ومعناه أنهم يحلفون أنهم مالبثوا فى القبور تحت التراب إلا ساعة أى مالبثوا فى الدنيا إلا ساعة ، وذلك لاستقصار تلك المدة (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل هذا الصنف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على ما هى عليه (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التى حلفوا عليها (فى كتاب الله) يعنى اللوح المحفوظ أو علم الله ، والمجروح على هذا يتعلق بقوله لئنتم ، وقيل يعنى القرآن ، فعلى هذا يتعلق هذا المجروح بقوله أوتوا العلم ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره على هذا قال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله أى العلماء بكتاب الله وقولهم لقد لبثتم : خطاب للكفار ، وقولهم فهذا يوم البعث : تقرير لهم ، وهو فى المعنى جواب لشرط مقدر تقديره إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث (ولا هم يستعتبون) من العتبي بمعنى الرضا : أى ولا يرضون وليست استفعل هنا للطلب (إن وعد الله حق) يعنى ما وعد من النصر على الكفار (ولا يستخفك من الخفة: أى لا تضطرب لكلامهم

## سورة لقمان

مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْحَسَنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

## سورة لقمان

(الكتاب الحكيم) ذكر في يونس (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) هو الغناء ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : شراء المغنيات وبيعهن حرام ، وقرأ هذه الآية ، وقيل نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالشراء على هذا حقيقة ، وقيل نزلت في النضر ابن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس ، فذلك هو لهو الحديث ، وشراء لهو الحديث استحبابه وسماحه ، فالشراء على هذا مجاز ، وقيل لهو الحديث : الطبل ، وقيل الشرك ، ومعنى اللفظ يعنى ذلك كله ، وظاهر الآية أنه لهو مضاف إلى الكفر بالدين واستخفاف ، لقوله تعالى وليضل عن سبيل الله ، الآية ، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف (بغير عمد ترونها) ذكر في الرعد (أن تميد بكم) أى لكلا تميد بكم (لقمان) رجل ينطق بالحكمة واختلف هل هو نبي أم لا ؟ وفي الحديث لم يكن لقمان نبيا ، ولكن كان عبداً حسن اليقين أحب الله فأجبه ، فمن عليه بالحكمة ، روى أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وروى أنه كان قاضي بني إسرائيل ، واختلف في صناعته ، فقيل كان نجاراً ، وقيل خياطاً ، وقيل راعي غنم ، وكان ابنه كافراً فها زال بوصيه حتى أسلم ، وروى أن اسم ابنه ثاران (ووصينا الإنسان) هذه الآية والتي بعدها اعتراض في أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله ، ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمه حسبا ذكرنا في العنكبوت (حملته أمه وهنا على وهن) أى ضعفاً على ضعف ، لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفاً ، واتصاف بهنا بفعل مضمر تقديره تهن وهنا (وفصاله) أى فطامه ، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع (أن اشكر) تفسير للوصية واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله وفصاله في عامين

حَمِيدٌ ۖ وَإِذْ قَالَ لِقَمْنُنُ لِأَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۖ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ  
بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ  
أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ  
مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ يَبْنَىٰ لَهَا إِنْ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي  
السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۖ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ۖ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ  
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۖ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ  
الْجَمْرِ ۖ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ  
النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَىٰ  
نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ  
مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ

ليبين ما تكابده الام بالولد لما يوجب عظيم حقها ، ولذلك كان حقها أعظم من حق الاب (يا بني) الآية :  
رجع إلى كلام لقمان ، والتقدير : وقال لقمان يا بني (مِثْقَال حبة من خردل) أى وزنها ، والمراد بذلك أن الله  
يأتى بالقليل والكثير من أعمال العباد فعبء بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر (في صخرة) قيل المراد  
الصخرة التى عليها الأرض ، وهذا ضعيف ، وإنما معنى الكلام أن مِثْقَال خردلة من الأعمال أو من الأشياء  
ولو كانت فى أخفى موضع بكوف صخرة ، فإن الله يأتى بها يوم القيامة وكذلك لو كانت فى السموات أو  
فى الأرض (واصبر على ما أصابك) أمر بالصبر على المصائب عموماً ، وقيل المعنى ما يصيب من يأمر بمعروف  
أو ينهى عن منكر (من عزم الأمور) يحتمل أن يريد ما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب أو من مكارم  
الأخلاق التى يعزم عليها أهل الحزم والجد ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أى من معزومات الأمور  
(ولا تصعر خدك للناس) الصعر فى اللغة الميل أى لاتول الناس خدك وتعرض عنهم تكبراً عليهم (مرحاً)  
ذكر فى الإسمراء (مختلاً) من الخيلاء (واقصد فى مشيك) أى اعتدل فيه ولا تتسرع إسراعاً يدل على البطش  
والخفة ، ولا تبطن إبطاء يدل على الفخروالكبر (نعمه ظاهرة وباطنة) الظاهرة الصحة والمسال وغير ذلك ،  
والباطنة النعم التى لا يطلع عليها الناس ومنها ستر القبيح من الأعمال ، وقيل الظاهرة نعم الدنيا ، والباطنة نعم  
العقبى ، واللفظ أعم من ذلك كله (ومن الناس من يجادل) نزلت فى النضر بن الحارث وأمثاله (أولوكان الشيطان  
يدعوهم إلى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولوكان الشيطان يدعوهم إلى النار (ومن يسلم وجهه إلى الله) يسلم أى

فَنَذِبْنَهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ مُنْتَعِمُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَانَفَدَتْ كُلُّهُمْ  
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسًا وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ  
فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝  
ذَٰلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي  
فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ  
دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝ يَأَيُّهَا

يُخْلِصُ أَوْ يَسْتَسْلِمُ أَوْ يَنْقَادُ، وَالْوَجْهَ هُنَا عِبَارَةٌ عَنِ الْقَصْدِ (بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) ذَكَرَ فِي الْبَقَرَةِ (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) وَمَا بَعْدَهُ  
ذَكَرَ فِي الْعَنْكَبُوتِ (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ) الْآيَةُ إِخْبَارٌ بِكَثْرَةِ كَلِمَاتِ اللَّهِ وَالْمُرَادُ اتِّسَاعُ عِلْمِهِ  
وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ شَجَرَ الْأَرْضِ لَوْ كَانَتْ أَقْلَامًا، وَالْبَحْرُ لَوْ كَانَ مَدَادًا يَصُبُّ فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ صَبَادًا مَا وَكُنْتُ بِذَلِكَ  
كَلِمَاتِ اللَّهِ لَنَفَدَتْ الْأَشْجَارُ وَالْبَحَارُ وَلَمْ تَنْفَدِ كَلِمَاتُ اللَّهِ، لِأَنَّ الْأَشْجَارَ وَالْبَحَارَ مُتَنَاهِيَةٌ، وَكَلِمَاتُ اللَّهِ غَيْرُ  
مُتَنَاهِيَةٍ، فَإِنْ قِيلَ: لَمْ يَلْ يَقُلْ وَالْبَحْرُ مَدَادًا كَمَا قَالَ فِي الْكَهْفِ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ أَغْنَى عَنْ  
ذَلِكَ قَوْلُهُ يَمُدُّهُ لِأَنَّهُ مِنْ قَوْلِكَ مَدَّ الدَّوَاةَ وَأَمَدَّهَا، فَإِنْ قِيلَ لَمْ يَلْ يَقُلْ مِنْ شَجَرَةٍ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ شَجَرٍ بِاسْمِ الْجَنْسِ  
الَّذِي يَقْتَضِي الْعُمُومَ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ أَرَادَ تَفْصِيلَ الشَّجَرِ إِلَى شَجَرَةٍ شَجَرَةٍ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا وَاحِدَةٌ، فَإِنْ قِيلَ: لَمْ يَلْ يَقُلْ  
كَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ كَلِمَ اللَّهِ بِجَمْعِ الْكَثْرَةِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا أَبْلَغُ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ تَنْفَدِ الْكَلِمَاتُ مَعَ أَنَّهُ جَمْعُ قَلَّةٍ،  
فَكَيْفَ يَنْفَدُ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ وَرَوَى أَنَّ سَبَبَ الْآيَةِ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا قَدْ أَوْتَيْنَا التَّوْرَةَ وَفِيهَا الْعِلْمُ كُلُّهُ فَزَلَّتِ الْآيَةُ  
لِتَدُلَّ أَنَّ مَا عِنْدَهُمْ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَالْآيَةُ عَلَى هَذَا مَدْنِيَّةٌ، وَقِيلَ إِنَّ سَبَبَهَا أَنَّ قَرِيشًا قَالُوا إِنَّ الْقُرْآنَ سَيَنْفَدُ (مَا خَلَقَكُمْ  
وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسًا وَاحِدَةً) بَيَانٌ لِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى بَعْثِ النَّاسِ وَرَدَّ عَلَى مَنْ اسْتَبَعَدَ ذَلِكَ (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ)  
أَيَّ يَدْخُلُ ضَوْءُ النَّهَارِ فِي الْآخِرِ بِمَا يَزِيدُ فِي أَحَدِهِمَا وَيَنْقُصُ مِنَ الْآخَرِ أَوْ يَدْخُلُ ظِلَّةُ اللَّيْلِ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ  
وَيَدْخُلُ ضَوْءُ النَّهَارِ عَلَى ظِلَّةِ اللَّيْلِ (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ذَٰلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ) يَحْتَمِلُ أَنَّ تَكُونَ الْبَاءُ  
سَبَبِيَّةً، أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى ذَٰلِكَ أَنَّ اللَّهَ شَاهِدٌ هُوَ الْحَقُّ (بِنِعْمَةِ اللَّهِ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ مَا تَحْمِلُهُ السُّفُنُ مِنَ  
الطَّعَامِ وَالتَّجَارَاتِ وَالْبَاءُ لِلِإِلْصَاقِ أَوْ لِلْمُصَاحَبَةِ، أَوْ يَرِيدُ الرِّيحَ فَتَكُونُ الْبَاءُ سَبَبِيَّةً (صَبَّارٍ شَكُورٍ) مُبَالِغَةٌ فِي  
صَبْرِ وَشَاكِرٍ (كَاطِلٌ) جَمْعُ ظِلَّةٍ وَهُوَ مَا يَلْعُوكُ مِنْ فَوْقِ شَبِّهِ الْمَوْجِ بِذَلِكَ إِذَا ارْتَفَعَ وَعَظُمَ حَتَّى عَلَا فَوْقَ  
الْإِنْسَانِ (فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ) الْمُقْتَصِدُ الْمُتَوَسِّطُ فِي الْأَمْرِ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ كَافِرًا مُتَوَسِّطًا فِي كُفْرِهِ لَمْ يَسْرِفْ فِيهِ  
أَوْ مُؤْمِنًا مُتَوَسِّطًا فِي إِيمَانِهِ، لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ الَّذِي عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ كَانَ يَزُولُ عَنْهُ وَقِيلَ مَعْنَى مُّقْتَصِدٌ مُؤْمِنٌ ثَبَتَ  
فِي الْبَرِّ عَلَى مَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ (خَتَّارٌ) أَيُّ غَدَّارٍ شَدِيدِ الْغَدْرِ، وَذَٰلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ نِعْمَةَ اللَّهِ غَدْرًا (لَا يَجْزِي



النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ \*

### سورة السجدة

مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ

والد عن ولده) أى لا يقضى عنه شيئا ، والمعنى أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة (ولا مولود) أى ولد مكلا لا يقدر الوالد لولده على شيء كذلك لا يقدر الولد لوالده على شيء (الغور) الشيطان وقيل الأمل والتسويق (علم الساعة) أى متى تكون ، فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه ، ولذلك جاء في الحديث : مفاتيح الغيب خمس وتلا هذه الآية (ماذا تكسب غدا) يعنى من خير أو شر أو مال أو ولد أو غير ذلك

### سورة السجدة

(تنزيل الكتاب) يعنى القرآن (لاريب فيه) أى لا شك أنه من عند الله عز وجل ، ونفى الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر فى نفسه لا على اعتقاد أهل الباطل (من رب العالمين) يتعلق بتنزيل (أم يقولون) الضمير لقريش وأم بمعنى بل والهمزة (لتنذر) يتعلق بما قبله أو بمحذوف (مأتاهم من نذير) يعنى من الفترة من زمن عيسى وقد جاء الرسل قبل ذلك إبراهيم وغيره ، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقيم الحجة عليهم (استوى على العرش) قد ذكر فى الأعراف (مالك من دونه من ولي ولا شفيع) نفى الشفاعة على وجهين أحدهما الشفاعة للكفار وهى معدومة على الإطلاق ، والآخر : أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله دما من شفيع إلا من بعد إذنه ، (يدبر الأمر) أى واحد الأمور ، وقيل المأموره من الطاعات ، والاول أصح (من السماء إلى الأرض) أى ينزل مادبره وقضاه من السماء إلى الأرض (ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه خبر ذلك فى يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء ، وقيل إن الله يلقى إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله ، فإذا

وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ  
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝  
وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ  
الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا  
وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ  
جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا  
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝  
تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ  
لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

فرغت ألقى إليهم مثلها ، فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ، ثم تصير إليه آخراً لأن عاقبة الأمور  
إليه ، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه (عالم الغيب والشهادة) الغيب ماغاب عن المخلوقين ،  
والشهادة ما شاهدوه (أحسن كل شيء خلقه) أى أتقن جميع المخلوقات ، وقرئ بإسكان اللام على البدل (وبدأ  
خلق الإنسان من طين) يعنى آدم عليه السلام (نسله) يعنى ذريته (من سلاله من ماء مهين) يعنى المني ،  
والسلالة مشتقة من سئل ، فكان الماء يس من الإنسان ، والمهين الضعيف (ثم سواه) أى قومه (ونفخ  
فيه من روحه) عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، وأضيفت الروح إلى الله لإضافة ملك إلى ملك ، وقد يراد بها  
الاختصاص ، لأن الروح لا يعلم كنهه إلا الله (أإذا ضللنا فى الأرض) أى تلفنا وصرنا تراباً ، ومعنى هذا  
الكلام المحكى عن الكفار استبعاد البعث ، والعامل فى إذا معنى قولهم إنا لفي خلق جديد تقديره نبعث  
(يتوفاكم ملك الموت) اسمه عزرائيل وتحت يده ملائكة (ولو ترى) يحتمل أن تكون لوللتنى وتأويله فى حق الله  
كتأويل الترجى ، وقد ذكر ، أو تكون للامتناع وجوابها محذوف تقديره ولو ترى حال المجرمين فى الآخرة  
لرأيت أمراً مهولاً (ناكسوا رءوسهم) عبارة عن الذل والغم والندم (ربنا أبصرنا وسمعنا) تقديره يقولون  
ربنا قد علمنا الحقائق (لو شئنا لآتينا كل نفس هداها) يعنى أنه لو أراد أن يهدى جميع الخلائق لفعل ، فإنه قادر  
على ذلك بأن يجعل الإيمان فى قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من  
يشاء (فذوقوا عذابنا نسيتم) أى يقال لهم ذوقوا ، والنسيان هنا بمعنى الترك (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أى ترتفع  
والمعنى يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم النوافل ، ومن صلى العشاء والصبح فى جماعة فقد أخذ  
بحظه من هذا (فلا تعلم نفس مآخى لهم من قرّة أعين) يعنى أنه لا يعلم أحد مقدار ما يعطيهم الله من النعيم  
وقرئ أخفى بإسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم وهو الله تعالى (أفمن كان مؤمناً) الآية : يعنى المؤمنين

الصَّلَحَتْ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ، وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ \* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكَانِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ

والفاسقين على العموم ، وقيل يعنى على بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط (قدوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) الذى نعت بالعذاب ، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور فى قوله به ، فإن قيل : لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير ، ووصف فى سبأ النار وأعاد عليها الضمير ، وقال عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه خص العذاب فى السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر ذكره فى قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، والثانى أنه قدم فى السجدة ذكر النار ، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير ، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر فكما لا يوصف المضمر لم يوصف مقام مقامه وهو النار ، ووصف العذاب ولم يصف النار ، الثالث وهو الأقوى أنه امتنع فى السجدة وصف النار فوصف العذاب ، وإنما امتنع وصفها لتقدم ذكرها ، فإنك إذا ذكرت شيئاً ثم كررت ذكره لم يحز وصفه ، كقولك رأيت رجلاً فأكرمتم الرجل ، فلا يجوز وصفه لئلا يفهم أنه غيره (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) يعنى الجوع ومصائب الدنيا وقيل القتل يوم بدر ، وقيل عذاب القبر وهذا بعيد لقوله «لعلهم يرجعون» (إنا من المجرمين منتقمون) هذا وعيد لمن ذكر آيات ربه فأعرض عنها ، وكان الأصل أن يقول إنا منه منتقمون ، ولكنه وضع المجرمين موضع المضمر ليصفهم بالإجرام ، وقدم المجرور على منتقمون للبالغة (فلا تكن فى مرية من لقائه) المرية الشك ، والضمير لموسى : أى لا تمتز فى لقائك موسى ليلة الإسراء وقيل المعنى لا تشك فى لقاء موسى والكتاب الذى أنزل عليه ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل الكتاب هنا جنس ، والمعنى : لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت فى لقائك الكتاب الذى أنزل عليك ، وعبر باللقاء عن إزال الكتاب كقوله «ولأنك لتلقى القرآن» (يفصل بينهم) الضمير لجميع الخلق ، وقيل لبى إسرائيل خاصة (أولم يهد لهم) ذكر فى طه (يمشون فى مساكنهم) الضمير فى يمشون لأهل مكة : أى يمشون فى مساكن القوم المهلكين : كقوله «وقد تبين لكم من مساكنهم» وقيل الضمير للمهلكين : أى أهلكتناهم وهم يمشون فى مساكنهم ، والأول أحسن ، لأن فيه حجة على أهل مكة (الأرض الجرز) يعنى التى لا نبات فيها من شدة العطش

وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ۝ وَانْتَظِرْ لَهُمْ مَتَّظِرُونَ ۝

## سورة الاحزاب

مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ مَاجِدًا ۝ اللَّهُ لَرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَاجِدًا أَرْوَاجُكُمُ اللَّيِّ تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتُكُمْ وَمَاجِدًا أَدْعِيَاءُكُمْ أَبْنَاءُكُمْ ۝ ذَالِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ

(متى هذا الفتح) أى الحكم بين المسلمين والكفار فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، وهذا بعيد لقوله (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ، وذلك فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه (فأعرض عنهم) منسوخ بالسيف (وانتظر لإنهم منتظرون) أى انتظر هلاكهم لإنهم ينتظرون هلاكك ، وفى هذا تهديد لهم

## سورة الاحزاب

(يا أيها النبي) نداء فيه تكريم له ، لأنه ناداه بالنبوة ، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم (اتق الله) أى دم على التقوى وزد منها (ولا تطيع الكافرين والمنافقين) أى لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة ، ويعنى بالكافرين المظهريين للكفر وبالمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر وروى أن الكافرين هنا . أبى بن خلف ، والمنافقين هنا : عبد الله بن أبى بن سلول ، والعموم أظهر (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) قال ابن عباس ، كان فى قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدة فهمه ، فزلت الآية نفيا لذلك ، ويقال إنه ابن أخطا ، وقيل جميل بن معمر ، وقيل إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي أى كما لم يجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أديعائكم أبناءكم (اللاتى تظاهرون منهن) أى تقولون للزوجة : أنت على كظهر أمى ، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم ويأتى حكمه فى المجادلة وإنما تعدى هذا الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون . منهن (وما جعل أديعائكم أبناءكم) الأديعاء جمع دعى ، وهو الذى يدعى ولد فلان وليس بولده ، وسببها أمر زيد بن حارثة : وذلك أنه كان قتي من كلب فسباه بعض العرب وباعه من خديجة فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فتنبأه ؛ فكان يقال له زيد بن محمد حتى أنزلت هذه الآية (ذالك قولكم) الإشارة إلى نسبة الدعى إلى غير أبيه ، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات ، وقوله (بأفواهكم) تأكيد لبطلان القول (ادعوهم لأبائهم) الضمير للأديعاء أى انسبواهم لأبائهم الذين ولدوهم

اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝

( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) يقتضى أن يحبوه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أكثر مما يحبون أنفسهم وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم ( وأزواجه أمهاتهم ) جعل الله تعالى لأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حرمة الأمهات في تحريم نكاحهن ووجوب مبرتهن ، ولكن أوجب حبهن عن الرجال ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ) هذا نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بأخوة الإسلام ، وبالهجرة وقد تكلمنا عليها في الإنفال ( في كتاب الله ) يحتمل أن يريد القرآن أو اللوح المحفوظ ( من المؤمنين ) يحتمل أن يكون بيانا لأولى الأرحام أو يتعلق بأولى : أى أولوا الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوى أرحام ( إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا ) يريد الاحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة ونفعهم في الحياة ، والوصية لهم عند الموت ، فذلك جائز ومندوب إليه ، وإن لم يكونوا قرابة ، وأما الميراث فلمقرابة خاصة ، واختلف هل يعنى بالأولياء المؤمنين خاصة أو المؤمنين والكافرين ( في الكتاب مسطورا ) يعنى القرآن أو اللوح المحفوظ ( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ) هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع ، وقيل هو الميثاق الذى أخذه حين أخرج بنى آدم من صلب آدم كالذر ، والأول أرجح لأنه هو المختص بالأنبياء ( ومنك ومن نوح ) قد دخل هؤلاء في جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر تشريفاً لهم ، وقدم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلا له ( ميثاقا غليظا ) يعنى الميثاق المذكور ، وإنما كرره تأكيداً ليصفه بأنه غليظ أى وثيق ثابت يجب الوفاء به ( ليسأل الصادقين ) اللام تحتمل أن تكون لام كي أو لام الصيرورة ، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق فى الأقوال أو الصدق فى الأفعال والعزائم ويحتمل أن يريد بالصادقين الأنبياء وغيرهم من المؤمنين ( اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود ) هذه الآية وما بعدها نزلت فى قصة غزوة الخندق ، والجنود المذكورة هم قريش ومن كان معهم من الكفار ، وسماهم الله فى هذه السورة الأحزاب وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة وحفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حولها لينمهم من دخولها ( فأرسلنا عليهم ريحا ) أرسل الله عليهم ريح الصبا فأطفا نيرانهم وأكفأت قدورهم ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا غائبين ( وجنود لم تروها ) يعنى الملائكة ( إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم ) أى حاصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها ، وقيل معنى من فوقكم أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة ومن أسفل منكم أهل مكة رسائر تهامة ( وإذ زاعت الأبصار ) أى مالت عن مواضعها وذلك عبارة عن شدة الخوف ( وبلغت

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا ۖ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَآ وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۖ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۖ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۖ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآدَبُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسْتَوْلًا ۖ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنِ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنِ ارَّادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ

القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهى الحلق وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل بل هى حقيقة لأن الرنة تنفخ من شدة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة (وتظنون بالله الظنونا) أى تظنون أن الكفار يغلبونكم وقد وعدكم الله بالنصر عليهم، فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خطرة مما لا يمكن البشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعده الله، وقرأ نافع: الظنونا، والرسولا، والسبيلا، بالالف فى الوصل وفى الوقف، وقرئ بإسقاطها فى الوصل والوقف، وبإثباتها فى الوقف دون الوصل فأما إسقاطها فهو الأصل وأما إثباتها فلتعديل رءوس الآى لأنها كالتوقيف، وتقتضى هذه العلة أن تثبت فى الوقف خاصة، وأما من أثبتها فى الحالين، فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف هنالك ابتلى المؤمنون (أى اختبروا أو أصابهم بلاء، والعامل فى الظرف ابتلى وقيل ما قبلهم (وزلزلوا) أصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب (وإذ يقول المنافقون) روى أنه معتب بن قشير (وإذ قالت طائفة) قال السهيلي الطائفة تقع على الواحد فما فوقه والمراد هنا أوس بن قبطى (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التى المدينة فى طرف منها، ومقام اسم موضع من القيام أى لا قرار لكم هنا يعنون موضع القتال وقرئ بالضم وهو اسم موضع من الإقامة وقولهم فارجعوا أى إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) أى يستأذنه فى الانصراف والمستأذن أوس بن قبطى وعشيرته وقيل بنو حارثة (إن بيوتنا عورة) أى منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق فكذبهم الله فى ذلك (ولودخلت عليهم من أقطارها) أى لودخلت عليهم المدينة من جهاتها (ثم سئلوا الفتنة) يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين (لآتوها) قرئ بالقصر بمعنى جاؤا إليها وبالمذ بمعنى أعطوها من أنفسهم (وما تلبثوا بها) الضمير للمدينة (قد يعلم الله) دخلت قد على الفعل المضارع بمعنى التهديد وقيل للتعليل على وجه التهكم (المعوقين منكم) أى الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا) هم المنافة الذين وقعدوا بالمدينة عن الجهاد وكانوا يقولون لقرابتهم أوللنافقون مثلهم هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر هلم فى الأنعام (ولا يأتون البأس إلا قليلا) البأس القتال، وقليل صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إتيانا قليلا، أو مستثنى من فاعل يأتون: أى إلا قليلا منهم



إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ  
أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۖ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ  
الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَقَدْ  
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ وَلَمَّا رَأَى  
الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۚ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۚ لِيَجْزِيَ

(أشحة عليكم) أشحة جمع شحيح بوزن فعيل معناه يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون ، وقيل يشحون بأموالهم ،  
وقيل معناه أشحة عليكم وقت الحرب أى يشفقون أن يقتلوا ونصب أشحة على الحال من القائلين ، أو على  
المعوقين ، أو من الضمير فى يأتون ، أو نصب على الزم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك ) أى إذا  
اشتد الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء فى تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم ( تدور أعينهم  
كالذى يغشى عليه من الموت ) عبارة عن شدة خوفهم ( فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ) السلق  
بالألسنة عبارة عن الكلام بسلام مستكره ، ومعنى حداد فصحاء قادرين على الكلام وإذا نصركم الله فزال  
الخوف رجع المنافقون إلى إذا يتكم بالسب وتنقيص الشريعة ، وقيل إذا غنتم طلبوا من الغنائم ( أشحة على  
الخير ) أى يشحون بفعل الخير وقيل يشحون بالغنائم ، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل فى سلقوكم ( لم  
يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ) ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها ، وإنما المعنى أنها لم تقبل لأن الإيمان شرط  
فى قبول الأعمال ، وقيل إنهم نافقوا بعد أن آمنوا ، فالإحباط على هذا حقيقة ( يحسبون الأحزاب لم يذهبوا )  
الأحزاب هنا هم كفار قريش ومن معهم ، فالمعنى أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم ينصرفوا  
عن المدينة وهم قد انصرفوا ( وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب ) معنى يودوا يمتنوا ، وبادون  
خارجون فى البادية والأعراب هم أهل البوادي من العرب فعنى الآية أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى  
هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا فى البادية مع الأعراب وأن لا يكونوا فى المدينة بل غائبين عنها يسألون  
من ورد عليهم عن أنبيائكم ( لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ) أى قدوة تقتدون به صلى الله عليه وسلم  
فى اليقين والصبر وسائر الفضائل ، وقرئ أسوة بضم الهمزة والمعنى واحد ( هذا ما وعدنا الله ورسوله ) قيل  
إن هذا الوعد ما عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر بحفر الخندق من أن الكفار ينزلون ، وأنهم  
ينصرفون خائبين ، وقيل إنه قول الله تعالى : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من  
قبلكم مستهم البأساء والضراء ، الآية ، فعلوا أنهم يبتلون ثم ينصرون ( فمنهم من قضى نحبه ) يعنى قتل شهيدا  
قال أنس بن مالك يعنى عمى أنس بن النضر ، وقيل يعنى حمزة بن عبدالمطلب ، وقضاء النحب عبارة عن الموت  
عند ابن عباس وغيره ، وقيل قضى نحبه : وفى العهد الذى عاهد الله عليه ، ويدل على هذا ما ورد أن  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : طلحة بن قيس نحبه ، وهو لم يقتل حينئذ ( ومنهم من ينتظر ) المفعول

اللَّهُ الصَّالِحِينَ بِصَدَقَتِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ يَسْأَلُهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآدَارَ

محذوف : أى ينتظر أن يقضى نجه ، أو ينتظر الشهادة فى سبيل الله على قول ابن عباس ، أو ينتظر الحصول فى أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر (وأزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم) الصياصى هى الحصون ، ونزلت الآية فى يهود بنى قريظة ، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا عهده وصاروا مع قريش فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله بنى قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن يقتل رجالهم ويسبى نساؤهم وذريتهم (فريقا تقتلون) يعنى الرجال وقتل منهم يومئذ كل من أنبت وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذرية (وأورثكم أرضهم) يعنى أرض بنى قريظة قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين (وأرضا لم تطووها) هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطئوها حينئذ وهى مكة واليمن والشام والعراق ومصر ، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المشرق والمغرب ، ويحتمل عندى أن يريد أرض بنى قريظة ، لأنه قال أورثكم بالفعل الماضى وهى التى كانوا أخذوها حينئذ ، وأما غيرها من الأرضين ، فإنما أخذها بعد ذلك فلو أرادها لقال يورثكم إنما كررها بالعطف ليصفها بقوله لم تطووها : أى لم تدخلوها قبل ذلك (بأيها النبى قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) الآية : سببها أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تغايرن حتى غمه ذلك وقيل طلبن منه الملابس ونفقات كثيرة ، وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسودة بنت زمعة ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأم سلمة بنت أبى أمية ، وأربع من غير قريش وهم ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وصفية بنت حيى من بنى إسرائيل وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث من بنى المصطلق (فتعالين أمتعنكم وأسرحنكم سراحا جميلا) أصل تعال أن يقوله من كان فى موضع مرتفع لمن فى موضع منخفض ثم استعملت بمعنى أقبل فى جميع الامكنة ؛ وأمتعنكم من المتعة وهى الإحسان إلى المرأة إذا طلقت والسراح الطلاق ، فعنى الآية أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا ، وبين البقاء فى عصمته إن أرادوا الآخرة ، فبدأ صلى الله عليه وسلم بعائشة : فاخترت البقاء فى عصمته ، ثم تبعها سائرهن فى ذلك ، فلم يقع طلاق ، وقالت عائشة : خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد ذلك طلاقا ، وإذا اختارت المخيرة الطلاق : فذهب مالك أنه ثلاث وقيل طلقة بائنة ، وقيل طلقة رجعية ووصف السراح بالجميل : يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث ، أو يريد أنه ثلاث ، وجماله حسن الرعى والثناء

الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مِثْقَالَ حَبِّ خَلْتٍ \* يُنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفُ  
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَعَمَلْ صَالِحًا تُوْتَاهَا أَجْرَهَا  
مَرَّتَيْنِ وَاعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا \* يُنْسَاءُ النَّبِيُّ لِسِتْنِ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ  
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا \* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِنَّ  
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

وحفظ العهد (للحسنة منك) من البيان لا للتبويض ، لأن جميعهن محسنات (بفاحشة مبينة) قيل يعنى  
الزنا ، وقيل يعنى عصيان زوجهن عليه الصلاة والسلام ، أو تكليفه ما يشق عليه ، وقيل عموم في المعاصي  
(يضاعف لها العذاب ضعفين) أى يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين ، وإنما ذلك لعلو  
رتبتها ، لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله ، وقرئ يضاعف بالياء ورفع العذاب على البناء للمفعول وبالنون  
ونصب العذاب على البناء للفاعل (ومن يقنت منكم لله ورسوله) قرئ بالياء حملا على لفظ من وبالثاء حملا  
على المعنى ، وكذلك تعمل ، والقنوت هنا بمعنى الطاعة (تؤتها أجراها مرتين) أى يضاعف لها ثواب الحسنات  
(رزقا كريما) يعنى الجنة ، وقيل في الدنيا ، والاقول هو الصحيح (لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) فضلهن  
الله على النساء بشرط التقوى ، وقد حصل لهن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء ، إلا أنه يخرج  
من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها (فلا تخضعن بالقول) نهى عن الكلام  
اللين الذى يعجب الرجال ويميلن إلى النساء (في قلبه مرض) أى فجور وميل للنساء ، وقيل هو النفاق ،  
وهذا بعيد في هذا الموضع (وقلن قولا معروفا) هو الصواب من الكلام أو الذى ليس فيه شيء مما نهى عنه  
(وقرن في بيوتكن) قرئ بكسر القاف ، ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار أو من القرار في الموضع ،  
ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في ظلت ، وأما القراءة بالفتح فن القرار في الموضع على لغة من يقول  
قررت بالكسر أقر بالفتح ، والمشهور في اللغة عكس ذلك ، وقيل هي من قاريقار إذا اجتمع ومعنى القرار  
أرجع ، لأن سودة رضى الله عنها قيل لها لم لا تخرجين فقالت أمرنا الله بأن نقتر في بيوتنا ، وكانت عائشة  
إذا قرأت هذه الآية تبكى على خروجها أيام الجمل ، وحيث قال لها عمر : إن الله أمرك أن تقرى في بيتك  
(ولا تبرجن) التبرج إظهار الزينة (تبرج الجاهلية الأولى) أى مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف  
والتعرض للنظر ، وجعلنا أولى بالنظر إلى حال الإسلام ، وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح ، وقبل  
ما بين موسى وعيسى (الرجس) أصله النجس ، والمراد به هنا النقائص والعيوب (أهل البيت) منادى أو منصوب  
على التخصيص ، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلى وكل من حرمت عليه  
الصدقة ، وقيل المراد هنا أزواجه خاصة ، والبيت على هذا المسكن ، وهذا ضعيف لأن الخطاب بالتذكير ، ولو أراد  
ذلك لقال عنكن وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في خمسة : في ولد على وفاطمة والحسن

تَطْهِيرًا ۝ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ  
وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَتِينَ وَالْقَنَتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ  
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ  
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ  
لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ

والحسين ( واذكرن ) خطاب لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصن بعد دخولهن مع أهل البيت ،  
وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة أو التذكر بالقلب ، وآيات الله هي القرآن والحكمة هي السنة ( إن  
المسلمين والمسلمات ) الآية : سببها أن بعض النساء قلن ذكر الله الرجال ولم يذكرنا ، فنزل فيها ذكر النساء  
( والمؤمنين والمؤمنات ) الإسلام هو الانقياد ، والإيمان هو التصديق ، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف  
المعنى كقوله « لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ، وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله « فأخرجنا من كان فيها من  
المؤمنين » الآية ، وبالعوم فيكون الإسلام أعم ، لأنه بالقلب والجوارح ، والإيمان أخص لأنه بالقلب  
خاصة ، وهذا هو الأظهر في هذا الموضع ( والقانتين والقانتات ) يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة  
( والصادقين والصادقات ) يحتمل أن يكون من صدق القول أو من صدق العزم ( وما كان لمؤمن ) الآية :  
معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله  
والضمير في قوله من أمرهم : راجع إلى الجمع الذي يقتضيه قوله لمؤمن ولا مؤمنة لأن معناه العموم في جميع  
المؤمنين والمؤمنات ، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها ، وقيل سببها أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم خطب امرأة ليزوجها لمولاه زيد بن حارثة ، فكرهت هي وأهلها ذلك فلما نزلت الآية قالوا رضينا  
يارسول الله ، واختلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها ، وقد قيل إنها أم كلثوم بنت عقبة بن  
أبي معيط ( وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه ) هو زيد بن حارثة الكلبي ، وإنعام الله عليه بالإسلام  
وغيره وإنعام النبي صلى الله عليه وسلم بالعق وكانت عند زيد بن حارثة بنت أمية عمة النبي صلى الله  
عليه وسلم ، فشكا زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء معاشرتها وتعاضمها عليه ، وأراد أن يطلقها فقال  
له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك زوجك واتق الله ، يعنى فيما وصفها به من سوء المعاشرة  
واتق الله ولا تطلقها فيكون نهيا عن الطلاق على وجه التنزيه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : أبغض المباح  
إلى الله الطلاق ( وتخفي في نفسك ما الله مبديه ) الذى أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر جائز مباح  
لأنهم فيه ولا عتب ولكنه خاف أن يسلب الله عليهم أسنتهم وينالوا منه ، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة  
لعرضه ، وذلك أنه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على أن يطلق زيد بن حارثة ليزوجها هو  
صلى الله عليه وسلم لقرابتها منه ولحسبها ، فقال أمسك عليك زوجك وهو يخفى الحرص عليها خوفا من كلام

وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجَهَا لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ  
أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۚ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ  
فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۚ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ  
أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۚ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ

الناس لثلاثا يقولوا تزوج امرأة ابنه إذ كان قد تبناه ، فالذى أخفاه صلى الله عليه وسلم هو إرادة تزوجها فأبدى  
الله ذلك بأن قضى له بتزوجها ، فقالت عائشة : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتّم  
هذه الآية لشدة تعلقه عليه ، وقيل إن الله كان أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج زينب بعد طلاق  
زيد ، فالذى أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أعلمه الله به من ذلك (فلما قضى زيد منها وطرا أزوجنا كها)  
لم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة ، والوطر الحاجة ، قال ابن عطية : ويراد به هنا  
الجماع ، والاحسن أن يكون أعم من ذلك : أى لما لم يبق لزيد فيها حاجة زوجها الله من نبيه صلى الله  
تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وأسند الله تزويجها إليه تشريفا لها ، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي  
صلى الله عليه وسلم وتقول إن الله زوجني نبيه من فوق سبع سموات ، واستدل بعضهم بقوله زوجها الله  
على أن الأولى أن يقال في كتاب الصداق أنكحه إياها بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية  
(لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) المعنى أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمنين أن تزوج نساء أدعيائهم حلال لهم فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء حقيقة  
(ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) المعنى أن تزوج النبي صلى الله عليه وسلم لزيب بعد زيد حلال  
لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب ، وفي ذلك رد على من تكلم في ذلك من المنافقين . وفرض هنا بمعنى قسم له  
(سنة الله في الذين خلوا من قبل) أى عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحل الله لهم ، وقيل الإشارة  
بذلك إلى داود في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ماجرى ، والعموم أحسن ، ونصب سنة على المصدر ، أو على  
إضمار فعل أو على الإغراء (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا من قبل ، وهم الأنبياء أوقف على  
إضمار مبتدأ ، أو نصب بإضمار فعل (ما كان محمد أباً أحداً من رجالكم) هذا رد على من قال في زيد بن حارثة  
زيد ابن محمد ، فاعترض على النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد ، وعموم النبي في الآية لا يعارضه وجود  
الحسن والحسين ، لأنه صلى الله عليه وسلم ليس أباً لهما في الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه ، وإنما كانا ابني  
بنته ، وأما ذكر أولاده فأتوا صغاراً فليسوا من الرجال (وخاتم النبيين) أى آخرهم فلا نبي بعده صلى الله  
عليه وسلم وقرئ بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم ، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالتخاتم والطابع لهم ، فإن قيل  
إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام ، فالجواب أن النبوة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة  
والسلام ، وأيضا فإن عيسى يكون إذ أنزل على شريعته عليه الصلاة والسلام ، فكأنه واحد من أمته (اذكروا الله ذكراً  
كثيراً) اشترط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال ، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو

اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَّاَصِيْلًا ۝ هُوَ الَّذِى يُصَلِّىْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَحِيْمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَاعَدَ لَهُمْ اَجْرًا كَرِيْمًا ۝ يٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا ۝ وَدَاعِيًا اِلَى اللّٰهِ يٰٓاِذْهُ وَسَرَاجًا مُّنِيْرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِاَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللّٰهِ فَضْلًا كَبِيْرًا ۝ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِيْنَ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَدَعِ اٰذْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ وَكَفَىٰ اِبْرٰهِيْمَ وَكِيْلًا ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنٰتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَّمْسُوْهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَةٍ تَعْتَدُوْنَهَا فَمَتَّعُوْهُنَّ وَسَرَّحُوْهُنَّ سَرَاحًا جَمِيْلًا ۝ يٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ اِنَّا اَحْلَلْنَا لَكَ اَزْوَاجَكَ الَّتِى اَتَيْتَ اُجُوْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ مِمَّا اَفَاءَ اللّٰهُ عَلَيْكَ وَبَنٰتِ عَمَلِكَ وَبَنٰتِ خَالَكَ وَبَنٰتِ خَلَّتِكَ الَّتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَاَمْرًا مُّؤَمَّنَةً اِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ اِنْ اَرَادَ النَّبِىُّ اَنْ يَسْتَكْحِفَ خَالَصَةً لَّكَ مِنْ

على أنواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلاً) قيل إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر، والظاهر أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره، وقال ابن عطية أراد في كل الأوقات فجد النهار بطرفه (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم) هذا خطاب للمؤمنين، وصلاة الله عليهم رحمة لهم، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ يصلى في المعنيين على اختلافهما وقيل إنه على حذف مضاف تقديره وملائكته يصلون (تحيتهم يوم يلقونه سلام) قيل يعنى يوم القيامة، وقيل فى الجنة وهو الأرجح لقوله وتحيتهم فيها سلام، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول الملائكة لهم سلام عليكم طبتهم (إننا أرسلناك شاهداً) أى يشهد على أمته (وداعياً إلى الله ياذنه) أى بأمر الله وإرساله (وسراجاً منيراً) استعارة للنور الذى يتضمنه الدين (ودع أذىهم) يحتمل وجهين أحدهما لا تؤذهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف، والآخر احتمال إذايتهم لك وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) الآية: معناه سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول فالدخول فى الآية هو العقد والمس هو الجماع، وتعتدونها من العدد (فمتعوهن) هذا يقتضى متعة المطلقة قبل الدخول سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق وقوله تعالى فى البقرة وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم، يقتضى أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه مخصصة لعمومها (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) فى معناها قولان أحدهما أن المراد أزواجه اللاتي فى عصمتهم حيثئذ كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهرهن، والآخر أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطى مهرها وهذا أوسع من الأول (وما مملكت يمينك) أباح الله له مع الأزواج السراى بملك اليمين ويعنى بقوله أفاء الله عليك: الغنائم (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) يعنى قرابته



دُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عِيْسَىٰ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا

من جهة أبيه ومن جهة أمه ، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لآبيه ، ولم يكن لأمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أخت ، وإنما يعنى بخاله وخالاته عشيرة أمه وهم بنو زهرة ، ولذلك كانوا يقولون نحن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فن قال إن المراد بقوله أحللك أزواجك : من كانت في عصمته : فهو عطف عليهن ، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته ، ومن قال إن المراد جميع النساء فهو تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم ( اللاتي هاجرن معك ) تخصيص تحرز به من لم يهاجر كالطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ) أباح الله له صلى الله عليه وسلم من وهبت له نفسها من النساء ، واختلف هل وقع ذلك أم لا ؟ فقال ابن عباس : لم تكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين ، لابهية نفسها ، ويؤيد هذا قراءة الجمهور إن وهبت بكسر الهمزة أى إن وقع ، وقيل قد وقع ذلك ، وهو على هذا القول قرئ أن وهبت بفتح الهمزة ، واختلف على هذا القول فيمن هى التى وهبت نفسها فقيسليمونة بنت الحارث ، وقيل زينب بنت خزيمة أم المساكين ، وقيل أم شريك الأنصارية ، وقيل أم شريك العامرية ( خالصة لك من دون المؤمنين ) أى هبة المرأة نفسها مزينة خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره ، وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ليخص المخاطب وحده ، وقيل إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له صلى الله عليه وسلم لأن سائر المؤمنين قصروا على أربع نسوة ، وأيسح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك ، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبي حنيفة ، وإعراب خالصة مصدر أو حار أو هبة لامرأة ( قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ) يعنى أحكام النكاح من الصداق والولى والاقتصار على أربع وغير ذلك ( لكيلا يكون عليك حرج ) يتعلق بالآية التى قبله أى بينا أحكام النكاح لئلا يكون عليك حرج أو لئلا يظن بك أنك فعلت ما لا يجوز ، وقال الزمخشري يتعلق بقوله خالصة لك ( ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ) معنى ترجى توخر وتبعد ، ومعنى تؤوى تضم وتقرب . واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء ، فقيل إن ذلك في القسمة بينهن : أى تكثير لمن شئت ، وتقليل لمن شئت ، وقيل إنه في الطلاق أى تمسك من شئت وتطلق من شئت ؛ وقيل معناه تتزوج من شئت ، وتترك من شئت ، والمعنى على كل قول توسعة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإباحة له أن يفعل ما يشاء ، وقد اتفق الناقلون على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل في القسمة بين نسائه : أخذاً منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له ، والضمير في قوله منهن : يعود على أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم ( ومن ابتغيت من عزلت فلا جناح عليك ) فى معناه قولان : أحدهما من كنت عزلت من نساءك فلا جناح عليك فى رده بعد عزله ، والآخر من ابتغيت ومن عزلت سواء فى إباحة ذلك فمن التبعض على القول الأول وأما على القول الثانى فنحو قولك من لقيك ومن لم يلقك سواء ( ذلك أدنى أن تقر أعينهن ) أى إذا علم أن هذا

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۖ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظَرٍ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُنَ إِذًا دُعَاؤُهُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي

حكم الله قوت به أعينهن ورضين به ، وزال ما كان بهن من الغيرة ، فإن سبب نزول هذه الآية ما وقع لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم من غيرة بعضهن على بعض (لا يحل لك النساء من بعد) فيه قولان : أحدهما لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد عليهن ، قال ابن عباس لما خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك ، بأن حرم غيرهن من النساء كرامة لهن ، والقول الثاني : لا يحل لك النساء غير الأصناف التي سميت ، والخلاف هنا يجرى على الخلاف في المراد بقوله . إنا أحلنا لك أزواجك : أى لا يحل لك غير من ذكر حسبنا تقدم ، وقيل معنى لا يحل لك النساء : لا يحل لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات وهذا بعيد ، واختلف في حكم هذه الآية ، فقيل إنها منسوخة بقوله إنا أحلنا لك أزواجك على القول بأن المراد جميع النساء ، وقيل إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان في عصمته ، وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ، ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته (ولأن تبدل بهن من أزواج) معناه لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلا منها ، وقيل معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له ، وهذا ضعيف (ولو أعجبك حسنهن) في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها (إلا ما ملكت يمينك) المعنى أن الله أباح له الإماء ، والاستثناء في موضع رفع على البدل من النساء أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حسنهن (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) سبب هذه الآية ما رواه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس ، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فتقل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاذ فوجدهم في مكانهم ، فانصرف فخرجوا عن ذلك ، وقال ابن عباس نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون ، فأمر وأن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم ، وأن ينصرفوا إذا أكلوا ، قلت : والقول الأول أشهر ، وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم ، فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل ، فإن الآية تضمنت الحكيم (غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين لوقت الطعام ، وإنا الوقت ، وقيل إنا الطعام فنضجه وإدراكه ، يقال أنى يأتي إناه (ولكن إذا دعيت فادخلوا) أمر بالدخول بعد الدعوة ، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها (فإذا طعمتم فانتشروا) أى انصرفوا ، قال بعضهم هذا أدب أدب الله به الثقلاء ، وقالت عائشة رضى الله عنها : حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم (ولا مستأنسين لحديث) معطوف على غير ناظرين ، أو تقديره ولا تدخلوا مستأنسين ، ومعناه النهي عن أن يطلبوا الجلوس الأنس بحديث بعضهم مع بعض ، أو يستأنسوا بالحديث أهل البيت ، واستأنسهم : تسمعهم وتجسسهم (إن ذلكم كان يؤذى النبي) يعنى جلوسهم للحديث أو دخولهم بغير إذن (فيستحى منكم) تقديره

مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۖ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۖ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۖ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۖ إِنْ

يستحي من إخراجكم ، بدليل قوله : والله لا يستحي من الحق : أى أن إخراجكم حق لا يتركه الله (وإذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) المتاع الحاجة من الأثاث وغيره ، وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وسببها ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب ، وقيل سببها أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحجب نساءه فنزلت الآية موافقة لقول عمر ، قال بعضهم لما نزلت في أمهات المؤمنين دو إذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، كن لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب ، ولا يجوز أن يراهن متقببات ولا غير متقببات ، فخصصن بذلك دون سائر النساء (ذالكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) يريد أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال (ولا تنكحوا أزواجه) سببها أن بعض الناس قالوا لو مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتزوجت عائشة فحرم الله على الناس تزوج نساءه بعده كرامة له صلى الله عليه وآله وسلم (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن) الآية : لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوى محارمهن من القرابة وهم : الآباء ، والأبناء ، والإخوة ، وأولادهم ، وأولاد الأخوات (ولانساهن) قيل يريد بالنساء القرابة والمصرفات لهن ، وقيل يريد نساء جميع المؤمنات ، ويقوى الأول تخصيص النساء بالإضافة لهن ، ويقوى الثانى أنهن كن لا يحتجن من النساء على الإطلاق (وما ملكت أيمانهن) واختلف فيمن أبيع لهن الظهور له من ملك العيين ، فقيل الإمام دون العبيد ، وقيل الإمام والعبيد ، وهو أولى بلفظ الآية ، ثم اختلف من ذهب إلى هذا فقال قوم من ملكه من العبيد دون من ملكه غيرهن ، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية ، وقال قوم جميع العبيد كن في ملكهن أو في ملك غيرهن (إن الله وملائكته يصلون على النبي) هذه الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله يصلى عليكم وملائكته (صلوا عليه وسلموا تسليما) الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض إسلامي فالأمر به محمول على الوجوب ، وأقله مرة في العمر ، وأما حكمها في الصلاة : فذهب الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه ، ومذهب مالك أنها سنة وصفتها ماورد في الحديث الصحيح اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافا كثيرا أما السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة أو السلام عليه حين لقائه ، وأما السلام عليه بعد موته فقد قال صلى الله عليه وسلم من سلم على قريبا سمعته ، ومن سلم على بعيدا أباعته ، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (إن الذين يؤذون الله ورسوله) إذ ذاءه الله هي

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ  
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا لَّيِّنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاجِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَّذْمُونِينَ  
أَيْنَ مَا تُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا يَسْأَلُكَ النَّاسُ

بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له ، وليس معنى إذايته أنه يضربه الأذى لأنه تعالى لا يضربه شيء ولا ينفعه شيء ، وقيل إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياء الله ، والاول أرجح ، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى : يشتكى ابن آدم وليس له أن يشتكى ، ويكذبني وليس له أن يكذبني ، أما شتمه إياي فقله إن لي صاحبة وولدا ، وأما تكذيبه إياي فقله لا يعيدني كما بداني ، وأما إذاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال ، وقال ابن عباس ، نزلت في الذين طعنوا عليه حين أخذ صفية بنت حيي (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الآية : في البهتان وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه ، وهو أشد من الغيبة ، مع أن الغيبة محرمة ، وهي ذكره مافيه مما يكره (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء ، وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال لهن فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء ، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار ، وقيل هو الرداء بصورة لدائه عند ابن عباس أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا العين واحدة تبصر بها وقيل أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها ، وقيل أن تغطي نصف وجهها (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء فإذا عرف أن المرأة حرة لم تعارض بما تعارض به الأمة ، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء وربما تعرض لهن السفهاء (لئن لم ينته المنافقون) الآية : تضمنت وعيدهؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا ، وقيل إنهم لم ينتهوا : ولم ينفذ الوعيد عليهم ففي ذلك دليل على بطلان القول بجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة ، وقيل إنهم انتهوا واستروا أمرهم ، فكف عنهم إنفاذ الوعيد ، والمنافقون هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر ، والذين في قلوبهم مرض : قوم كان فيهم ضعف إيمان ، وقلة ثبات عليه ، وقيل هم الزناة : كقوله فيقطع الذي في قلبه مرض ، والمرجفون في المدينة : قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين ، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقة ، أو تكون داخلة في جملة المنافقين ، ثم جردها بالذكر (لنغرينك بهم) أي نسلطك عليهم وهذا هو الوعيد (ثم لا يحاجرونك فيها) ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم ، والضمير المجرور للمدينة (إلا قليلا) يحتمل أن يريد إلا جواراً قليلا أو وقتاً قليلا أو عدداً قليلا منهم ، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات ، فقليل على الاحتمال الأول مصدر ، وعلى الثاني ظرف ، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء (ملعونين) نصب على الذم ، أو بدل من قليلا على الوجه الثالث : أو حال من

عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا \* إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا \* خَلَدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَسْلَيْتَنَا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ \* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ \* رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا \* يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ، يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا \* إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا \* لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

ضمير الفاعل في يجاورونك تقديره سينفون ملعونين (أيما ثقفوا أخذوا) أي حيث ماظفر بهم أسروا ، والأخذ الأسر (سنة الله) أي عاداته ونصب على المصدر (في الذين خلوا من قبل) أي عاداته في المنافقين من الأمم المتقدمة وقيل يعنى الكفار من بدر ، لأنهم أسروا وقتلوا (تكون قريبا) إنما قال قريبا بالتذكير والساعات مؤنثة على تقدير شينا قريبا أوزمانا قريبا ، ولأن تأنيثها غير حقيقي (يوم تقلب وجوههم في النار) العامل في يوم قوله يقولون أو لا يجدون أو محذوف ، وتقلب وجوههم : تصریفها في جهة النار كما تدور البضعة في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة ، أو تغيرها عن أحوالها (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) هم قوم من بنى إسرائيل ، وإذآتهم له : ماورد في الحديث أن بنى إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل فقالوا إنه لآدر ، فاعتسل موسى يوما وحده وجعل ثيابه على حجر فقر الحجر بثيابه ، واتبعه موسى وهو يقول ثوبى حجر ثوبى حجر ، فر فى أتباعه على ملا من بنى إسرائيل فرأوه سلبا فقالوا ، فذلك قوله فبرأه الله بما قالوا ، وقيل إذآتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون ، فبعث الله ملائكته لحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر فبرأ الله موسى ، وروى أن الله أحياه فأخبرهم ببرائة موسى ، والقول الأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح (قولا سديدا) قيل يعنى لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (إننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الأمانة هي التكليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي ، وقيل هي الأمانة في الأموال ، وقيل غسل الجنابة ، والصحيح العموم في التكليف ، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون الله خلق لها إدرا كاعرضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها وامتنعت من حملها ، والثانى أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة ، وأنهما من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض والجبال ، لأبين من حملها وأشفقت منها ، فهذا ضرب من المجاز كقولك عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله ، والمراد أنها لا تقدر على حمله (وحملها الإنسان) أى التزم الإنسان القيام بالتكليف مع شدة ذلك وصعوبته على الأجرام التى هى أعظم منه ، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول ، والإنسان هنا جنس ، وقيل يعنى آدم ، وقيل قايل الذى قتل أخاه (ليعذب) اللام للصيرورة ، فإن حمل الأمانة : كان سبب تعذيب

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَةَ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

## سورة سبأ

مكية إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٤٥ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْخُزْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ يَا رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ۝  
وَيَرَى الَّذِينَ أَتَوْا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ

المنافقين والمشركين ، ورحمة للمؤمنين

## سورة سبأ

(وله الحمد في الآخرة) يحتمل أن يكون الحمد الأول في الدنيا والثاني في الآخرة ، وعلى هذا حمل الزمخشري  
ويحتمل عندى أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق ، فجمع الحمد في الدنيا والآخرة ، ثم جرد منه  
الحمد في الآخرة كقوله فأكه ونخل ورمان ، ثم إن الحمد في الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس أو يريد به قوله وآخر  
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أو الحمد لله الذي صدقنا وعده ( ما يلبج في الأرض ) أى يدخل فيها من المطر  
والأموات وغير ذلك ( وما يخرج منها ) من النبات وغيره ( وما ينزل من السماء ) من المطر والملائكة والرحمة  
والعذاب وغير ذلك ( وما يعرج فيها ) أى يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها ( وقال الذين كفروا لا تأتينا  
الساعة ) روى أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب ( لا يعزب ) أى لا يغيب ولا يخفى ( ولا أصغر )  
معطوف على مقال ؛ وقال الزمخشري هو مبتدأ ، لأن حرف الاستثناء من حروف العطف ، ولا خلاف بين  
القراء السبعة في رفع أصغروا كبر في هذا الموضع ، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة ،  
وإنما الخلاف في يونس ( في كتاب مبين ) يعنى اللوح المحفوظ ( ليجزى ) متعلق بقوله لتأتينكم أو بقوله  
لا يعزب أو بمعنى قوله في كتاب مبين ( والذين سعوا ) مبتدأ وخبره الجملة بعده ، وقال ابن عطية : هو معطوف  
على الذين الأول ، وقد ذكر في الحج معنى سعوا ، ومعاجزين ( أليم ) بالرفع صفة لعذاب ، وبالخفض  
صفة لرجز ( ويرى ) معطوف على ليجزى أو مستأنف ، وهذا أظهر ( الذين أتوا العلم ) هم الصحابة أو من  
أسلم من أهل الكتاب ، أو على العموم ( الحق ) مفعول ثان ليرى ، لأن الرويا هنا بالقلب بمعنى العلم  
والضمير ضمير فصل ( وقال الذين كفروا ) أى قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنى محمداً صلى الله



كَفَرُوا هَلْ نَذِّكُكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مَرْقَمٍ إِنَّكُمْ لِنِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جَنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۝ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَتَهُمْ تُخْشَفُ بِهِمُ الْأَرْضُ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَلْجِئَالُ أَوْىٰى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ إِنَّ أَعْمَلَ سَبَّغَتْ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَسْلَيْمَنَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ

عليه وسلم ( ينبئكم إذا مزقتم كل مرقم ) معنى مزقتم أى بليتيم فى القبور وتقطعت أوصالكم وكل مرقم مصدر ، والخلق الجديد : هو الحشر فى القيامة ، والعامل فى إذا معنى إنكم لى خلق جديد ، لأن معناه تبعثون إذا مزقتم ، وقيل العامل فيه فعل مضمر مقدر قبلها وذلك ضعف ، وإنكم لى خلق جديد معمول بذبكم وكسرت اللام التى فى خبرها ومعنى الآية أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتيم فى الأرض ، ومرادهم استبعاد الحشر ( أفترى على الله ) هذان جملة كلام الكفار ، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير مدودة ( بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب ) هذان ذابهم : أى أنه لم يفتر على الله الكذب وليس به جنة بل هؤلاء الكفار فى ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب ، ويحتمل أن يريد بالعذاب عذاب الآخرة ، أو العذاب فى الدنيا بمعاندة الحق ، ومحاولة ظهور الباطل ( أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ) الضمير فى يروا للكفار المنكرين للبعث ، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم ، لانهما محيطتان بهم ، والمعنى ألم يروا إلى السماء والأرض فيعملون أن الذى خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم ، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم ثم فسر بقوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء : أى أفلم يروا إلى السماء والأرض أيهما محيطتان بهم فيعملون أنهم لا مهرب لهم من الله ( إن فى ذلك لآية ) الإشارة إلى إحاطة السماء بهم وإلى عظمة السماء والأرض بأن فيهما آية تدل على البعث ( يا جبال أوبى معه ) تقديره : قلنا يا جبال ، والجملة تفسير للفضل ، ومعنى أوبى سبى ، وأصله من التأويب ، وهو الترجيع ، لأنه كان يرجع المسيح فترجعه معه : وقيل هو من التأويب بمعنى السير بالنهار ، وقيل كان ينوح فتساعده الجبال بصداها ، والطير بأصواتها ( والطير ) بالنصب عطف على موضع يا جبال ، وقيل مفعول معه ، وقيل معطوف على فضلا ، وقرئ بالرفع عطف على لفظ يا جبال ( وألناله الحديد ) أى جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين ، وقيل لأنه الحديد لشدة قوته ( سابغات ) هى الدروع الكاسية ( وقدر فى السرد ) معنى السرد هنا نسج الدروع ، وتقديرها أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها ، وقيل لا يجعل المسار دقيقا ولا غليظا ( واعملوا صالحا ) خطاب لداود وأهله ( ولسليمان الریح ) بالنصب على تقدير وسخرنا ، وقرئ بالرفع على الابتداء ( غدوها شهر ورواحها شهر ) أى كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر ، وبالعشى مسيرة شهر فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيها روى أربعة آلاف فارس فترفعه الریح ثم تحمله ( وأسلناله عين القطر ) قال ابن عباس كانت تسيل له

لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَأْسِيَّتِ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۖ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتُ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ۖ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْعَرَمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلٍ نَحْتِ وَأَثَلِ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۖ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ

باليمن عين من نحاس يصنع منها ما أحب ، والقطر النحاس ، وقيل القطر الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك : كان يسيل له منه أربعة عيون ، وقيل المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود ( ذقه من عذاب السعير ) يعنى نار الآخرة ، وقيل كان معه ملك يضربهم بصوت من نار ( محاريب ) هى القصور ، وقيل المساجد وتمثيل قيل لأنها كانت على غير صور الحيوان وقيل على صور الحيوان وكان ذلك جائزا عندهم ( كالجواب ) جمع جاية وهى البركة التى يجتمع فيها الماء ( راسيات ) أى ثابتات فى مواضعها لعظمها ( اعملوا آل داود شكرا ) حكاية ما قيل لآل داود ، وانتصب شكرا على أنه مفعول من أجله ، أو مصدر فى موضع الحال تقديره شاكرين أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره اشكروا شكرا أو مفعول به ( وقيل من عبادى الشكور ) يحتمل أن يكون مخاطبة لآل داود أو مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم ( دابة الأرض تأكل منسأته ) المنسأة هى العصا ، وقرئ بهمز وبغير همز ، ودابة الأرض هى الأرض وهى السوسة التى تأكل الخشب وغيره وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوادر وقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا فخر إلى الأرض واختصرنا كثيرا مما ذكره الناس فى هذه القصة لعدم صحته ( تبين الجن ) من تبين الشئ إذا ظهر ، وما بعدهما بدل من الجن ، والمعنى ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وقيل تبين بمعنى علمت ، وأن وما بعدهما مفعول به على هذه والمعنى علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب ، وتحققوا أن ذلك بعد التباس الأمر عليهم ، أو علمت الجن أن كفارهم لا يعلمون الغيب ، وأنهم كاذبون فى دعوى ذلك ( فى العذاب المهين ) يعنى الخدمة التى كانوا يخدمون سليمان وتسخيرهم لهم فى أنواع الأعمال ، والمعنى لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفى عليهم موت سليمان ( لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ) سبأ قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذى تناسلت منه ، وقيل باسم أمها ، وقيل باسم موضعها ، والاول أشهر ، لانه ورد فى الحديث وكانت مساكنهم بين الشام واليمن ( جنتان عن يمين وشمال ) كان لهم واد وكانت الجنتان عن يمينه وشماله وجنتان بدل من آية أو مبتدا أو خبر مبتدا محذوف ( كلوا ) تقديره قسّل لهم كلوا من رزق ربكم قالت لهم ذلك الانبياء ، وروى أنهم بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم ( بلدة طيبة ) أى كثيرة الارزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام ( فأعرضوا ) أى أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الانبياء ( فأرسلنا عليهم سيل العرم ) كان لهم سدّ يمسك الماء ليرتفع قدسقى به الجنتان ، فأرسل الله على السد الجرد وهى دويبة خر بته فيبست الجنتان ، وقيل لما حرب السدّ حمل السيل الجنتان وكثير من الناس واختلف فى معنى العرم : فقيل هو السد ، وقيل هو اسم ذلك الوادى بعينه ، وقيل معناه الشديد ، فكأنه صفة

تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبِيلًا لِيَأْتُوا وَيَأْمَنُوا . فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوْمنُ بِالْآخِرَةِ مَنْ هُوَ مِنْهُمْ فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ . قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍَ وَمَالُهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ

للسيل من العرامة ، وقيل هو الجرذ الذي خرب السد ، وقيل المطر الشديد (أكل خبط وأثر وشى من سدر قليل) الأكل بضم الهمزة المأكول ، والخبط شجر الأراك ، وقيل كل شجرة ذات شوك ، والأثل شجر يشبه الطرفا والسدر شجر معروف ، وإعراب خبط بدل من أكل أو عطف بيان وقرئ بالإضافة وأثل عطف على الأكل لا على خبط ، لأن الأثل لا أكل له ، والمعنى أنه لما أهلكى الجنتان المذكورتان قيل أبدلهم الله مهاجنتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق (وهل نجازى إلا الكفور) معناه لا يناش ويحازى بمثل فعله إلا الكفور لأن المؤمن قد يسمع الله له ويتجاوز عنه (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) هذه الآية وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم ، ويعنى بالقرى التي باركنا فيها الشام ، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام ، ومعنى ظاهرة يظهر بعضها من بعض لا اتصالها ، وقيل مرتفعة في الآكام ، وقال ابن عطية خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أى خارجها (وقدرنا فيها السير) أى قسمنا مراحل السفر ، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى ولا يخاف جوعا ولا عطشا ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ، ولا يخاف من أحد (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قرئ باعد وبعد بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب ، والمعنى أنهم بطروا النعمة وملوا العافية ، وطلبوا من الله أن يساعد بين قراهم المتصلة ليشوا في المفاوز ويتزودوا الأسفار ، فعجل الله إجابتهم وقرئ باعد بفتح العين على الخبر والمعنى أنهم قالوا إن الله باعد بين قراهم ، وذلك كذب وجحد للنعمة (وظلموا أنفسهم) يعنى بقولهم باعد بين أسفارنا أو بذنوبهم على الإطلاق (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم . قيل تفرقوا أيدي سبأ ، وفي الحديث إن سبأ أبو عشرة من القبائل ، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشام أربعة (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) أى وجد ظنه فيهم صادقا يعنى قوله لا غوينهم ، وقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين (قل ادعوا الذين زعتم) تعجيز للمشركين وإقامة حجة عليهم ويعنى بالذين زعتم آلهتهم ، ومفعول زعتم محذوف أى زعتم أنهم آلهة أو زعتم أنهم شفعا ، وروى أن ذلك نزل عند الجوع الذى أصاب قريشا (من شرك) أى نصيب والظهير المعين (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) المعنى لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، وقيل المعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الله أن يشفع فيه ، والمعنى أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله ، ففى ذلك رد على المشركين الذين كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم)

رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۚ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَلَنَا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّكُمْ  
هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۚ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۚ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا  
رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۚ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحَقِّقُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ  
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ

تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفرعون لذلك فرعا عظيما ، فإذا زال النزاع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق ، ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع والضمير في قلوبهم وفي قالوا للملائكة ، فإن قيل : كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه ؟ فالجواب أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» ، لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فذكر الشفاعة يقتضى ذكر الشافعين ، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دل عليهم لفظ الشفاعة ، فإن قيل : بم اتصل قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم ولأى شيء وقعت حتى غائبة ؟ فالجواب أنه اتصل بمافهم من الكلام من أن ثم انتظارا للإذن ، وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة ، ويقرب هذا المعنى من قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم هي في الكفار بعد الموت ، ومعنى فزع عن قلوبهم رأوا الحقيقة ، فقيل لهم ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق فيقرّون حين لا ينفعهم الإقرار ، والصحيح أنها في الملائكة لورود ذلك في الحديث ، ولأن القصد الرد على الكفار ، الذين عبدوا الملائكة ، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له (قل من يرزقكم) سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين (قل الله) جواب عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه ، ولذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة (ولنا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّكُمْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) هذه ملاحظة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك الله يعلم أن أحدا على حق وأن الآخر على باطل ولا تعين بالتصريح أحدهما ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل ، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى وأن الكفار على ضلال مبين (قل لا تسألون عما أجرمنا) إخبار يقتضى مسالة نسخت بالسيف (يفتح بيننا) أى يحكم ، والفتاح الحاكم (قل أروني الذي ألحقتم به شركاء) إقامة حجة على المشركين ، والرؤية هنا رؤية قلب فشركاء مفعول ثالث ، والمعنى أروني بالدليل والحجة من هم له شركاء عندهم ، وكيف وجه الشراكة ، وقيل هي رؤية بصر ، وشركاء حال من المفعول في ألحقتم كأنه قال أين الذين تعبدون من دونه وفي قوله أروني تحقيق للشركاء وازدراء بهم ، وتعجيز للمشركين ، وفي قوله كلاً ردع لهم عن الإشراف ، وفي وصف الله بالعزير الحكيم : رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك (وما أرسلناك إلا كافة للناس) المعنى أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء ، وإعراب كافة حال من الناس قدمت للاهتمام ، هكذا قال ابن عطية ، وقال الزمخشري ذلك خطأ لأن تقدم حال المجرور

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَنْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ هـ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ  
تُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ  
الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ  
اسْتَضَعُّوا أَنْحُ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ ثَجْرَ مِينَ هـ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ  
وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ  
إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ \* وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ هـ قُلْ  
إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي

عليه لا يجوز ، وتقديره عنده: وما أرسلناك لإرسالة عامة للناس ، فكافة صفة للبصير المحذوف ، وقال الزجاج  
المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والتبشير ، لجعله حالا من الكاف ، والتاء على هذا للبالغة كالتاء في رواية  
وعلازمة ( قل لكم ميعاد يوم ) يعني يوم القيامة ، أو نزول العذاب بهم في الدنيا ، وهو الذي سألوا عنه على  
وجه الاستخفاف ، فقالوا متى هذا الوعد ( ولا بالذي بين يديه ) يعني الكتب المتقدمة كالنوراة والإنجيل وإنما  
قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في النوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الذي  
بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ وعكس لأن الذي بين يدي الشيء هو ما تقدم عليه ( ولو ترى ) جواب لو محذوف  
تقديره لرأيت أمرا عظيما ( يرجع بعضهم إلى بعض القول ) أي يتكلمون ويحجب بعضهم بعضا ( بل كنتم  
مجرمين ) أي كفرتم باختياركم لا بأمرنا ( بل مكر الليل والنهار ) المعنى أن المستضعفين قالوا للمستكبرين بل  
مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا وإعراب مكر مبتدأ وخبر محذوف ، أو خبر ابتداء مضر ، وأضاف مكر  
إلى الليل والنهار على وجه الاتساع ، ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز :  
كقولهم نهاره صيام وليله قيام أي يصام فيه ويقام ، ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار ،  
فإن قيل : لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا ؟ فالجواب أنه قد تقدم كلام الذين  
استضعفوا قبل ذلك فعطف عليه كلامهم الثاني ، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه ( وأسروا  
الندامة ) أي أخفوها في نفوسهم ، وقيل أظهروها فهو من الأضداد ، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين  
( مترفوها ) يعني أهل الغنى والتنعم في الدنيا وهم الذين ييادرون إلى تكذيب الأنبياء ، والقصد بالآية تسلية  
النبي صلى الله عليه وسلم على تكذيب أكابر قريش له ( وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا ) الضمير لقريش  
أو للترفين المتقدمين : قاسوا أمر الدنيا على الآخرة ، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا  
لا يعذبهم في الآخرة ( قل إن ربِّي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ) إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه  
في الدنيا معلق بمشيئة الله ، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي ويضيق على المؤمن والمطيع ، وبالعكس ، فليس

تَقَرَّبَكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ الضَّعْفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ  
 آمِنُونَ \* وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ \* قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ  
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ  
 لِللَّاسِكَ أَهْلُؤَلَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ \* قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ  
 أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ \* قَالِ يَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ  
 الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \* وَإِذَا تُنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ  
 يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مِينٌ \*  
 وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ \* وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا  
 مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ \* قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ

في ذلك دليل على أمر الآخرة (زاني) مصدر بمعنى القرب كأنه قال تقربكم قربي (إلا من آمن) استثناء من  
 المفعول في تقربكم، والمعنى أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، وقيل الاستثناء  
 منقطع، والاول أحسن (جزاء الضعف) يعني تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فافوق ذلك (يبسط الرزق)  
 الآية: كررت لاختلاف القصد، فإن القصد بالاول على الكفار، والقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإنفاق  
 (فهو يخلفه) الخلف قد يكون بمال أو بالثواب (أنت ولينا من دونهم) براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة  
 المشركين لهم، وليس في ذلك نفي لعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) عبادتهم للجن طاعتهم لهم في الكفر  
 والعصيان، وقيل كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم عبدوا  
 الجن لقوله وجعلوا لله شركاء الجن (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) الآية: في معناها وجهين: أحدهما  
 ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه؛ فأقوالهم باطلة إذ لا حاجة لهم  
 عليها، فالقصد على هذا رد عليهم، والآخر أنهم ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير فهم محتاجون إلى من  
 يعلمهم وينذرهم، ولذلك بعث الله إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم، فالقصد على هذا إثبات نبوة محمد صلى الله  
 عليه وسلم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) المعشار العشر، وقيل عشر العشر، والاول أصح، والضمير في  
 بلغوا لكفار قريش، وفي آتيناهم للكتب المتقدمة أي أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من  
 القوة والأموال، وقيل الضمير في بلغوا المتقدمين، وفي آتيناهم لقريش: أي ما بلغ المتقدمون عشر  
 ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة، والاول أصح وهو نظير قوله كانوا أشد منهم قوة (فكيف كان  
 نكير) أي إنكارى يعنى عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديد لقريش (قل إنما أعظمكم بواحدة) أي  
 بقضية واحدة تقرىبا عليكم (أن تقوموا لله) هذا تفسير القضية الواحدة وأن تقوموا بدل أو عطف بيان  
 أو خبر ابتداء مضمر، ومعناه أن تقوموا للنظر في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم قياما خالصا لله تعالى ليس



وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۚ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عََلَمُ الْغُيُوبِ ۚ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۚ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۚ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۚ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

فيه اتباع هوى ولا ميل ، وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما المراد القيام بالامر والجذ فيه (مثنى وفردى) حال من الضمير في تقوموا ، والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين للنظر في الامر وطلب التحقيق وتقوموا واحداً واحداً لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتعلموا أن ما به من جنة لأنه جاء بالحق الواضح ، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومثاقفه ، وأنه باغ في الحكمة مبلغاً عظيماً ، فيدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله (ما بصاحبكم من جنة) متصل بما قبله على الأصح : أى تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ، وقيل هو استئناف (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم) هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئاً فخذ ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً ، ولكنه يريد البراءة من عطائه ، وكذلك معنى هذا ، فهو كقولك قل ما سألتكم عليه من أجر (قل إن ربى يقذف بالحق) القذف الرمي ويستعار للإلقاء ، فالمعنى يلقى الحق إلى أصفياه أو يرمى الباطل بالحق فيذهب (علام الغيوب) خبر ابتداء مضمرة أو بدل من الضمير في يقذف أو من اسم إن على الموضع (قل جاء الحق) يعنى الاسلام (وما يبدي الباطل وما يعيد) الباطل الكفر ، ونفى الابداء والاعادة ، على أنه لا يفعل شيئاً ولا يكون له ظهور أو عبارة عن ذهابه كقوله جاء الحق وزهق الباطل ، وقيل الباطل الشيطان (إنه سميع قريب) يعنى قربه تعالى بعلمه وإحاطته (ولو ترى إذ فزعوا) جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً ، أو معنى فزعوا أسرعوا إلى الهروب ، والفعل ماض بمعنى الاستقبال ، وكذلك ما بعده من الأفعال ، ووقت الفزع البعث ، وقيل الموت ، وقيل يوم بدر (فلا فوت) أى لا يفوتون الله إذ هربوا (وأخذوا من مكان قريب) يعنى من الموقف إلى النار إذا بعثوا ، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا ، أو من أرض بدر إلى القلب ، والمراد على كل قول سرعة أخذهم (وقالوا آمنا به) أى قالوا ذلك عند أخذهم والضمير المجرور لله تعالى أو للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو للقرآن أو للإسلام (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش بالواو التناول إلا أن التناوش تناول قريب سهل لشيء قريب ، وقرئ بهمز الواو فيحتمل أن يكون المعنى واحداً ويكون المهموز بمعنى الطلب ، ومعنى الآية استبعاد وصولهم إلى مرادهم ، والمكان البعيد : عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون ما لا يكون ، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون وهو رجوعهم إلى الدنيا أو انتفاعهم بالايمان حيثئذ (وقد كفروا به) الضمير يعود على ما عاد عليه قولهم آمنا به (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) يقذفون فعل ماض فى المعنى معطوف على كفروا ، ومعناه أنهم يرمون بظنونهم فى

مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مَنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ۝

## سورة فاطر

مكية وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مثنى  
وثلث وربيع يزيد في الخلق ما يشاء ۝ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا  
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ  
غَيْرِ اللَّهِ يُرْزِقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتَىٰ تَوْفِيقُونَ ۝ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ  
قَبْلِكَ ۖ وَلِلَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْنَصُوكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْنَصُكُمْ بِاللَّهِ  
الْغُرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا ۖ إِنَّمَا يَدْعُو حَزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا

الأمور المغيبة فيقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ، ويقولون في الرسول عليه الصلاة والسلام إنه ساحر  
أو شاعر . والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبمد أقوالهم عن الحق ( وحيل بينهم وبين  
ما يشتهون ) أى حيل بينهم وبين دخول الجنة ، وقيل حيل بينهم وبين الاتفاف بالإيمان حينئذ ، وقيل حيل  
بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها ( كما فعل بأشياءهم من قبل ) يعنى الكفار المتقدمين وجعلهم أشياءهم  
لا تفاقهم في مذاهبهم ومن قبل يحتمل أن يتعلق بفعل ، أو بأشياءهم على حسب معنى ما قبله ( فى شك مرىب )  
هو أقوى الشك وأشدّه إظلاماً

## سورة فاطر

( جاعل الملائكة رسلاً ) أى وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين فى أمر الله ( مثنى و ثلاث ورباع )  
صفات للأجنحة ولم ينصرف للعدل والوصف ، والمعنى أن الملائكة منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة  
أجنحة ، ومنهم من له أربعة أجنحة ( يزيد فى الخلق ما يشاء ) قيل يعنى حسن الصوت ، وقيل حسن الوجه ،  
وقيل حسن الحظ ، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة ، أو يكون على الإطلاق فى كل زيادة فى المخلوقين  
( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ) الفتح عبارة عن العطاء والإمساك عبارة عن المنع ، والإرسال  
الإطلاق بعد المنع والرحمة ، كل ما يمن الله به على عباده من خيرى الدنيا والآخرة فعنى الآية : لا مانع لما أعطى  
الله ولا معطى لما منع الله ، فإن قيل لم أنت الضمير فى قوله فلا ممسك لها وذكره فى قوله فلا مرسل له وكلاهما  
يعود على ما الشرطية ، فالجواب : أنه لما نسر من الأولى بقوله من رحمة الله لتأنيث الرحمة ، وترك الآخر  
على الأصل من التذكير ( من بعده ) أى من بعد إمساكه ( هل من خالق غير الله ) رفع غير على الصفة لخالق  
على الموضع وخفضه صفة على الرفع ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات ، والمعنى تذكير بنعم الله وإقامة  
حجة على المشركين ، ولذلك أعقبه بقوله لا إله إلا هو ( وإن يكذبوك ) الآية : تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ . أَفَنَزَّيْنُ لَهُ سُوءٌ عَمَلُهُ  
فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ • وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنُهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ  
بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ • مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ  
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُهُ • وَاللَّهُ  
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ

على تكذيب قومه كأنه يقول إن يكذبوك فلا تحزن لذلك فإن الله سينصرك عليهم كما كذبت رسل من  
قبلك فنصرهم الله ( الغرور ) الشيطان ، وقيل التسويق ( أفن زين له سوء عمله ) توقيف وجوابه محذوف  
تقديره : أفن زين له سوء عمله كمن لم يزين له ، ثم نبى على ذلك ما بعده ، فالذى زين له سوء عمله هو الذى  
أضله الله ، ومن لم يزين له سوء عمله هو الذى هداه الله ( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ) تسلية للنبي صلى الله  
عليه وسلم عن حزنه لعدم إيمانهم ، لأن ذلك بيد الله ( كذلك النشور ) أى الحشر ، والمعنى كما يحيى الله الأرض  
بالنبات كذلك يحيى الموتى ( من كان يريد العزة ) الآية تحتل ثلاثة معان : أحدها وهو الأظهر من كان يريد نبيل  
العزة فليطلبها من عند الله ، فإن العزة كلها لله ، والثانى من كان يريد العزة بمغالبة الاسلام فله العزة جميعاً ، فالمغالب له  
مغلوب ، والثالث من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعاً ( إليه يصعد الكلم الطيب )  
قيل يعنى لا إله إلا الله ، واللفظ يعنى ذلك وغيره من الذكر ، والدعاء ، وتلاوة القرآن ، وتعليم العلم : فالعموم  
أولى ( والعمل الصالح يرفعه ) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن ضمير الفاعل فى يرفعه : الله ، وضمير المفعول للعمل  
الصالح ، فالمعنى على هذا أن الله يرفع العمل الصالح : أى يتقبله ويثيب عليه ، والثانى أن ضمير الفاعل للكلام  
الطيب ، وضمير المفعول للعمل الصالح ، والمعنى على هذا لا يقبل عمل صالح إلا بمن له كلام طيب ، وهذا يصح إن  
قلنا إن الكلم الطيب لا إله إلا الله ، لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد ، والثالث أن ضمير الفاعل للعمل الصالح ،  
وضمير المفعول للكلم الطيب ، والمعنى على هذا أن العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب فلا يقبل  
الكلم إلا بمن له عمل صالح ، روى هذا المعنى عن ابن عباس واستبعده ابن عطية وقال لم يصح عنه لأن  
اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم قال وقد يستقيم بأن يتأول أن الله يزيد فى رفعه وحسن موقعه  
( يمكرون السيئات ) لا يتعدى مكرفأوبله يمكرون المكرات السيئات فتكون السيئات : صدرأ أو تضمن  
يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولا والاشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم حين اجتمعوا فى دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه ( ومكر أولئك هو يبور )  
البوار الهدلاك أو الكساد ومعناه هنا أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم ( ثم جعلكم أزواجا ) أى أصنافا وقيل  
ذكرانا وإناثا وهذا أظهر ( وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب ) التعمير طول العمر  
والنقص قصره والكتاب اللوح المحفوظ فإن قيل إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد فكيف

مَعْمَرٌ وَلَا يُنْقُصُ مِنْ عُمَرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُوجِلُّ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِلُّ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَخَسَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَمُّ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَلِكَ عَلَى

أعاد الضمير في قوله ولا ينقص من عمره على الشخص المعمر فالجواب من ثلاثة أوجه الأول وهو الصحيح أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فوضع من معمر موضع من أحد وليس المراد شخصاً واحداً وإنما ذلك كقولك لا يعاقب الله عبداً ولا يثيبه إلا بحق والثاني أن المعنى لا يزداد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون ، وهذا ظاهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرحم تزيد في العمر ، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية ، وقد قال كعب حين طعن عمر : لودعا الله لزداد في أجله ، فأنكر الناس عليه فاحتج بهذه الآية والثالث أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ وذلك حق كل شخص ( وما يستوى البحرين ) قد فسرنا البحرين الفرات والأجاج في الفرقان ، وسائغ في النحل ، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده وقال الزمخشري إن المعنى أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر وهذا بعيد ( لهما طريا ) يعني الحوت ( حلية تلبسونها ) يعني الجوهر والمرجان ، فإن قيل : إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب فكيف قال ومن كل أي من كل واحد منهما ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أن ذلك تجوز في العبارة كما قال دبا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ، والرسل إنما هي من الإنس الثاني أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصب في البحر الملح كان الإخراج منهما جميعاً . الثالث زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب وهذا قول يطله الحس ( مواخر ) ذكر في النحل ( يوجل ) ذكر في لقمان ( قطمير ) هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف أكثرها ( يكفرون بشركم ) أي يائسوا بكم فالمصدر مضاف للفاعل وكفر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون بسلام يخلفه الله عندها أو بقرينة الحال ( ولا ينبئك مثل خبير ) أي لا يخبرك بالامر مخبر مثل مخبر عالم به يعني نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدتهم ( أتم الفقراء إلى الله ) خطاب لجميع الناس وإنما عرف الفقر بالالف واللام ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر ووصفه بأنه

اللَّهُ بِزِينَةٍ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ أَحْمِلَها لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ \* إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ

الحميد ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمد عباد (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) الحمل عبارة عن الذنوب والمثقلة الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب والمعنى أنها لودعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها وحذف مفعول إن تدع لدلالة المعنى وقصد العموم وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (ولو كان ذا قرني) المعنى ولو كان المدعو ذا قرني ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل منه شيئا لأن كل واحد يقول نفسى نفسى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم) المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم وليس المعنى اختصاصهم بالإندار (بالغيب) في موضع حال من الفاعل في يخشون أى يخشون ربهم وهم غائبون عن الناس فخشيتهم حق لآرياء (وما يستوى الأعمى والبصير) تمثيل للكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) تمثيل للكفر والإيمان (ولا الظل ولا الحرور) تمثيل للثواب والعقاب وقيل الظل الجنة والحرور النار. والحرور في اللغة شدة الحر بالنهار والليل والسموم بالنهار خاصة (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) تمثيل لمن آمن فهو كالحى ومن لم يؤمن فهو كالميت (إن الله يسمع من يشاء) عبارة عن هداية الله لمن يشاء (وما أنت بمسمع من فى القبور) عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشيهم بالموتى في عدم إحساسهم وقيل المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حتمية لا يسمعون فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت الأحياء وقد استدلت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون وأنكرت ماورد في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر حين جعلوا فى القليب ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث بأن الموتى فى القبور إذا ردت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا وإن لم ترد لم يسمعوا (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة ألا ترى أن بين عيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ستائة سنة لم يبعث فيها نبي؟ فالجواب أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغت فقامت عليهم الحجة. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك؟ فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم ولا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم وأيضا فإن المراد بقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست بيدع فلا ينبغي أن تنكر لأن الله أرسله كما أرسل من قبله والمراد بقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما (وإن يكذبوك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم للتأسى (نكير) ذكر فى سبأ (ثمرات مختلفا ألوانها) يريد الصفرة

وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ \* ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ \* لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ \* وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بَعَادَهُ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ \* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ \* جَاءَتْ عِدَّةٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

والحجرة وغير ذلك من الألوان وقيل يريد الأنواع والاول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك وفي الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار ، يتخاق ما يشاء ويختار وفيه رد على الطبايعيين لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد ( جدد ) جمع جدة وهي الخطاط والطرائق في الجبال ( وغرايب ) جمع غريب وهو الشديد السواد وقدم الوصف الأباغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد ولأن ذلك كثيرا ما يأتي في كلام العرب ( كذلك ) يتعلق بما قبله فيتم الوقف عليه والمعنى أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه مثل الجبال المختلفة ألوانها والثمار المختلفة ألوانها وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته ( إنما يخشى الله من عباده العلماء ) يعني العلماء بالله وصفاته وشرائعه علما يوجب لهم الخشية من عذابه وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه ولذلك خص العلماء بالخشية ( إن الذين يذلون كتاب الله ) أي يقرؤون القرآن وقيل معنى يذلون يتبعون والخبر يرجون تجارة أو محذوف ( لن تبور ) أي لن تكسد ويعنى بالتجارة طلب الثواب ( ويزيدهم من فضله ) توفية الأجور وهو ما يستحقه المطيع من الثواب والزيادة التضعيف فوق ذلك ، وقيل الزيادة النظر إلى وجهه الله ( مصدقا لما بين يديه ) تقدم في البقرة ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا ) يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم والتوريت عبارة عز أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم ( فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ) قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصي والسابق التقي والمقتصد بينهما وقال الحسن : السابق من رجحت حسناته على سيئاته ، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وجميعهم يدخلون الجنة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ، وقيل الظالم الكافر والمقتصد المؤمن العاصي والسابق التقي فالضمير في منهم على هذا يعود على العباد وأما على القول الأول فيعود على الذين اصطفينا وهو أرجح وأصح لوروده في الحديث ، وجلالة القائلين به ، فإن قيل : لم قدم الظالم ووسط المقتصد وآخر السابق ؟ فالجواب : أنه قدم الظالم لنفسه رفقا به لئلا يئس وآخر السابق لئلا يعجب بنفسه ، وقال



من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حريرٌ . وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور .  
الذى اهلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ، والذين كفروا لهم نار جهنم  
لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك تجزى كل كفور ، وهم يصطرون فيها ربنا  
أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكريكم النذير فذوقوا فما  
للظالمين من نصير . ان الله علم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور . هو الذى جعل لكم خلائف  
فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقبلاً ولا يزيد الكافرين كفرهم  
إلا خساراً . قل أريتكم شركاءم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى  
السموات أم آتينهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً . إن الله  
يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً .

الزخشرى : قدم الظالم لكثرة الظالمين وآخر السابق لفلة السابقين (ذلك هو الفضل الكبير) إشارة إلى الاصطلاح  
(جنات عدن) بدل من الفضل أو خبر مبتدأ تقديره ثوابهم جنات عدن أو مبتدأ تقديره لهم جنات عدن  
(يدخلونها) ضمير الفاعل يعود على الظالم ، والمقتصد ، والسابق ، على القول بأن الآية فى هذه الآية :  
وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة وقال الزخشرى : إنه يعود على  
السابق خاصة وذلك على قول الممتزلة فى الوعيد (أساور) ذكر فى الحج (أذهب عنا الحزن) قيل هو  
عذاب النار ، وقيل أهوال القيامة وقيل هموم الدنيا والصواب العموم فى ذلك كله (دار المقامة) هى الجنة والمقامة  
هى الإقامة ، والموضع وإنما سميت الجنة دار المقامة ، لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها (نصب) النصب  
تعيب البدن واللغوب تعيب النفس اللازم عن تعيب البدن (بصطرون) يفعلون من الصراخ أى يستغيثون  
فيقولون ربنا أخرجنا وفى قولهم غير الذى كنا نعمل اعتراف بسوء عملهم وتندم عليه (أو لم نعلمكم) الآية  
تويصيح لهم وإقامة حجة عليهم وقيل إن مدة التذكير ستون سنة وقيل أربعون وقيل البلوغ والاول أرجح  
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر اليه فى العمر (وجاءكم النذير) يعنى  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل يعنى الشيب لأنه نذير بالموت والاول أظهر (إنه عليم بذات الصدور) أى  
بما تضره الصدور وعتقه ، وقال الزخشرى ذات هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب لأن المضمرات تصحب  
الصدور (خلائف) ذكر فى الأنعام (مقتا) المقت احتقار الإنسان وبغضه لأجل عيوبه أو ذنوبه (قل  
أريتكم شركاءم) الآية احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم (أم لهم شرك) أى نصيب (على بينة) أى على  
أمر جلى والضمير فى آتيناهم يحتمل أن يكون الأصنام أو للمشركين وهذا أظهر فى المعنى والاول أليق  
بما قبله من الضمائر (أن تزولا) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تزولا أو مفعول به لأن  
يمسك بمعنى يمنع (ولئن زالتا) أى لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد وقيل أراد زوالهما يوم القيامة عند طي

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا \* أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا \* أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا \* وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا \*

### سورة يس

مكية إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* يَس \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ \* لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \*

السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال (من بعده) أى من بعد تركه الإمساك (وأقسموا بالله) الضمير لقريش وذلك أنهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدي منهم (إحدى الأمم) يعنى اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول من أجهله (ومكر السيئ) هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع وجانب الغربى والأصل أن يقال المكر السيئ (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) أى لا يحيط وبالمكر السيئ إلا بمن مكره ودبره ، وقال كعب لابن عباس إن فى التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها فقال ابن عباس أنا أجد هذا فى كتاب الله : ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) أى هل ينتظرون لإعادة الأمم المتقدمة فى أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى لا يفوته شيء ولا يصعب عليه (ماترك على ظهرها من دابة) الضمير للأرض والدابة عموم فى كل ما يدب وقيل أراد بنى آدم خاصة (إلى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة وباقي الآية وعد ووعد :

### سورة يس

قد تكلمنا فى البقرة على حروف الهجاء وقيل فى يس لأنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه بالإنسان (تنزيل) بالرفع خبر ابتداء مضمر وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمر (لتنذر قوما) هم قريش ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم (ما أنذر آباؤهم) مانافية والمعنى لم يرسل إليهم ولا آباؤهم رسول ينذرهم ، وقيل المعنى لتنذر قوما مثل ما أنذر آباؤهم ، فعلى هذا موصولة بمعنى الذى أو مصدرية والأول أرجح لقوله (فهم غافلون) يعنى أن غفلتهم بسبب عدم إذارهم وتكون بمعنى قوله ما أناهم من نذير من قبلك

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ، وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ، إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ، وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ، قَالُوا مَا أَتَمُّ إِلَّا بِشَرِّ مِثْلِنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ

ولا يمرض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقربون (لقد حق القول) أى سبق القضاء (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) الآية : فيها ثلاثة أقوال : الأول أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان ، فشبههم بمن جعل في عنقه غل يمنع من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى ، والثاني أنها عبارة عن كنههم عن إذاية النبي صلى الله عليه وسلم حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزما مرعوبا ، والثالث أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم ، والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها «فهم لا يؤمنون» ، وقوله بعدها «وسواء عليهم» أنذرهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (فهى إلى الأذقان) الذن هي طرف الوجه حيث تنبت اللحية ، والضمير للأغلال ، وذلك أن الغل حلقة في العنق ، فإذا كان واسعا عريضا وصل إلى الذن فكان أشد على المغلول ، وقيل الضمير للأيدي على أنها لم يتقدم لها ذكر ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، لأن المغلول تضم يده في الغل إلى عنقه ، وفي مصحف ابن مسعود : إنا جعلنا في أيديهم أغلالا فهى إلى الأذقان . وهذه القراءة تدل على هذا المعنى ، وقد أنكره الزمخشري (فهم مقمحون) يقال قمح البعير إذا رفع رأسه ، وأقمحه غيره إذا فعل به ذلك ، والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع ، وقيل معنى مقمحون ممنوعون من كل خير (وجعلنا من بين أيديهم سدا) الآية : السد الحائل بين الشيئين ، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان (فأغشيناهم) أى غطينا على أبصارهم وذلك أيضا مجاز يراد به إضلالهم (وسواء عليهم) الآية : ذكرنا معناها وإعرابها في البقرة (إنما تنذر من اتبع الذكر) المعنى أن الإذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) معناه كقولك إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وقد ذكرناه في فاطر (إنا نحن نحيي الموتى) أى نبعثهم يوم القيامة ، وقيل إحيائهم إخراجهم من الشرك إلى الإيمان ، والأول أظهر (ونكتب ما قدّموا وآثارهم) أى ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحييس حبسوه ، وقيل الآثار هنا : الخطأ إلى المساجد ، وجاء ذلك في الحديث (إمام مبین) أى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال (واضرب لهم مثلا) الضمير لقريش ، ومثلا وأصحاب القرية مفعولان باضرب على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين ، وهو الصحيح والقرية أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله ، وقيل بل هم رسل أرسلهم الله ، ويدل على هذا قول قومهم ما أتمم إلا بشر مثلنا ، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله (فعززنا بثالث) أى قوينا الاثنين برسول ثالث ، قيل اسمه شمعون (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) إنما أكدوا الخبر هنا باللام لأنه جواب المنكرين بخلاف

من شيء إن أنتم إلا تكذبون ، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين . قالوا  
إنا تطيرنا بكم لن لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِئَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ . قالوا طائركم معكم أن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ  
قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ . وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَبْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ، اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ  
أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ، وَمَالِي لَا أُعْبِدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِذَا يُرِدُنَ الرَّحْمَنُ  
بُضْرًا لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَنْقُذُونَ \* إني إذا لفي ضلال مبين . إني آمنتُ بربكم فاسمعون .  
قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ . وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى  
قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ، إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ،  
يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ

الموضع الأول فإنه إخبار مجرد (قالوا إنا تطيرنا بكم) أى تشاء منا بكم، وأصل اللفظة من زجر الطير ليستدل  
على ما يكون من شر أو خير، وإنما تشاءوا بهم لأنهم جاؤهم بدين غير دينهم وقيل وقع فيهم الجذام لما كفروا ،  
وقيل قحطوا (قالوا طائركم معكم) أى قال الرسل لأهل القرية شؤمكم معكم: أى إنما الشؤم الذى أصابكم بسبب  
كفركم لا بسببنا (أن ذُكِّرْتُمْ) دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط وفي الكلام حذف تقديره أظفرون  
أن ذُكِّرْتُمْ (يسعى) أى يسرع بجده ونصيحته ، وقيل اسمه حبيب النجار (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم  
مهتدون) أى هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجره على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وترجعون  
معهم الاهتداء فى دينكم (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) المعنى أى شيء يمنعنى من عبادة ربي وهذا توقيف  
وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه ، ولذلك قال وإليه ترجعون مخاطبهم (إن يردن الرحمن بضر لا تغن  
عن شفاعتهم) هذا وصف الالهة ، والمعنى كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذوننى من  
الضر (إني إذا لفي ضلال مبين) أى إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين (إني آمنت بربكم  
فاسمعون) خطاب لقومه أى اسمعوا قولى واعملوا بنصيحتى ، وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له (قيل ادخل  
الجنة) قيل هنا محذوف يدل عليه الكلام ، وروى فى الأثر وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه فلما مات  
قيل له ادخل الجنة ، واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمفعده  
منها (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك  
ورد فى الحديث أنه نصح لهم حياً وميتاً ، وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفهم ذلك  
(وما أنزلنا على قومه من جند من السماء) المعنى أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل ولم يحتاج  
فى تعذيبهم إلى إرسال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك ، وقيل المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة  
رسلاً كما قالت قریش لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذير أو لفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة  
بعد ذلك (وما كنا منزلين) ما كنا ننزل جنداً من السماء على أحد (فإذا هم خامدون) أى ساكنون لا يتحركون

أَهُمْ لَئِيْلٌ لَا يَرْجِعُونَ ، وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ، وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَّهُ يَأْكُلُونَ ، وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبَ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ، لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ \* سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ، وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ، وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ \* وَخَلَقْنَا

ولا ينطقون (يا حسرة على العباد) نداء للحسرة كأنه قال يا حسرة احضري فهذا وقتك ، وهذا التفجع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسول ، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة أو المؤمنين من الناس ، وقيل المعنى يا حسرة العباد على أنفسهم (ألم يروا) الضمير لقريش أو للعباد على الإطلاق والرؤية هنا بمعنى العلم (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) قرئ لما بالتخفيف وهي لام التأكيد دخلت على ما المزيدة وإن على هذا مخففة من الثقلية ، وقرئ بالتشديد وهي بمعنى إلا ، وإن على هذا نافية (وما عملته أيديهم) ما معطوفة على ثمره أي لياكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة ، وقيل ما نافية وقرئ ما عملت من غيرها وما على هذا معطوفة (الأزواج) يعني أصناف المخلوقات ثم فسرها بقوله عما تنبت الأرض وما بعده ، فن في المواضع الثلاثة للبيان (وما لا يعلمون) يعني أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله ويخلق ما لا تعلمون (نساخ منه النهار) أي نجرده منه وهي استعارة (والشمس تجري لمستقر لها) أي لحدود وقت تنتهى إليه من فلكها وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء والصيف ، وقيل مستقرها وقوفها كل وقت زوال ، بدليل وقوف الظل حينئذ ، وقيل مستقرها يوم القيامة حين تكوّر ، وفي الحديث مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها ، وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ، وقرئ لا مستقر لها أي لا تستقر عن جريها (والقمر قدرناه منازل) قرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على الليل ، وبالنصب على إضمار فعل ، ولا بد في قدرناه من حذف تقديره قدرناه سيره منازل ، ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستتر في آخر الشهر ليلة أوليثنين ، وقال الزمخشري وهذه المنازل هي مواضع النجوم : وهي السرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الحقة الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجهة ، الزرة ، الصرفة ، العوى ، السماك ، الغفر ، الزباني ، الاكليل ، القلب ، الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد بلع ، سعد الذابح ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، فرغ الدلو المقدم ، فرغ الدلو المؤخر ، بطن الحوت (حتى عاد كالعرجون القديم) العرجون هو غصن النخلة شبه القمر به إذا انتهى في نقصانه والتشبيه في ثلاثة أوصاف : وهي الرقة ، والانحناء ، والصفرة ، ووصفه بالقديم لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) المعنى لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره ، وهكذا قال بعضهم ويحتمل أن يريد أن سير الشمس في الفلك بطيء فإنها تقطع الفلك في سنة وسير

لَهُمْ مِنْ مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ \* وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ \* إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ \*  
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، وَمَاتُتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا  
عَنْهَا مُعْرِضِينَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ  
أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً

القمر سريع ، فإنه يقطع الفلك في شهر و البطيء لا يدرك السريع (ولا الليل سابق النهار) يعنى أن كل واحد  
منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه فلا يأتى الليل حتى ينفصل النهار ، كما لا يأتى النهار حتى  
ينفصل الليل ، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهى القمر لا تسبق آية النهار وهى الشمس : أى لا تجتمع معه  
فيكون المعنى كالذى قيل في قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، فحصل من ذلك أن الشمس لا تجتمع مع  
القمر وأن القمر لا يجتمع مع الشمس (وكل في فلك يسبحون) ذكر في الأنبياء (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم  
في الفلك المشحون) معنى المشحون المملوء ، والملك هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أوسفينة نوح عليه  
السلام ، وأما الذرية فليل إنه يعنى الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام ، وسمى الآباء ذرية لأنها  
تناسلت منهم ، وأنكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه يعنى النساء ، وهذا بعيد ، والأظهر أنه أراد بالفلك جنس السفن ،  
فيعنى جنس بنى آدم ، وإنما خص ذريتهم بالذكور لأنه أبلغ في الامتنان عليهم ، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى  
يوم القيامة ، وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعنى بالذرية من كان في السفينة ، وسماهم ذرية ، لأنهم ذرية آدم ونوح ،  
فالضمير في ذريتهم على هذا النوع بنى آدم كأنه يقول الذرية منهم (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) إن أراد  
بالفلك سفينة نوح فيعنى بقوله من مثله سائر السفن التى يركبها سائر الناس ، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعنى  
بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات ، فتكون المائلة على هذا فى أنه مركوب لا غير ، والاول أظهر ، لقوله  
وإن نشأ نغرقهم ، ولا يتصور هذا فى المركوبات غير السفن (فلا صريح لهم) أى لا مغيب لهم ولا منقذ لهم  
من الغرق (إلا رحمة منا) قال الكسائى نصب رحمة على الاستثناء كأنه قال إلا أن نرحمهم ، وقال الزجاج  
نصب رحمة على المفعول من أجله كأنه قال إلا لأجل رحمتنا لإياهم (ومتاعا إلى حين) يعنى آجالهم (وإذا قيل  
لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) الضمير لقريش ، وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا يدل عليه إلا  
كانوا عنها معرضين ، والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ، وقيل ما بين أيديهم عذاب  
الآمم المتقدمة ، وما خلفهم عذاب الآخرة (قال الذين كفروا الذين آمنوا أنطعِم من لو يشاء الله أطعمه) كان النبي  
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يحضون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب ،  
وفى معناه قولان : أحدهما أنهم قالوا كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم ومن حرمهم  
الله نحن نحرمهم ، وهذا كقولهم كن مع الله على المدبر ، والآحر أن قولهم رد على المؤمنين ، وذلك أن  
المؤمنين كانوا يقولون إن الأمور كلها بيد الله ، فكان الكفار يقولون لهم لو كان كما تزعمون لأطعم الله  
هؤلاء فبالكم تطلبون إطعامهم منا ، ومقصدهم فى الوجهين احتجاج لبعثهم ومنعهم الصدقات واستهزاء بمن  
حرضهم على الصدقات (إن أنتم إلا فى ضلال مبين) يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطاباً للمؤمنين أو يكون



وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ \* فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ \* وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ \* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ \* إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ \* فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ \* إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ \* هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ عَلَى الْأَرَاثِكِ مُتَكُونَ \* لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ \* سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ \* وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ \* أَلَمْ أَعْهِدْ لَكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ \* وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \* وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ \* هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ \* أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ \* الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* وَلَوْ نَشَاءُ

من كلام الله خطابا للكافرين (ويقولون متى هذا الوعد) يعنون يوم القيامة أنزول العذاب بهم (ما ينظرون إلا صيحة واحدة) أى ما ينظرون إلا صيحة واحدة وهى النفخة الأولى فى الصور وهى نفخة الصعق (تأخذهم وهم يخصمون) أى يتكلمون فى أمورهم وأصل يخصمون يختصمون، ثم أدغم، وقرئ بفتح الخاء وبكسرهما واختلاس حركتها (فلا يستطيعون توصية) أى لا يقدر أن يوصوا بمسلم وماعليهم لسرعة الأمر (ولا إلى أهلهم يرجعون) أى لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر (ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) هذه النفخة الثانية وهى نفخة القيام من القبور، والأجداث هى القبور، وينسلون يسرعون المشى، وقيل يخرجون (قالوا يا ويلنا) الويل منادى أو مصدر (من بعثنا من مرقدنا) المرقد يمتثل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان قال أبى بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية هذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه فى معنى قولهم من مرقدنا: أنها استعارة وتشبيه به يعنى أن قبورهم شبت باهضاج لكونهم فيها على هيئة الرقاد، وإن لم يكن رقاد فى الحقيقة (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) هذا مبتدأ وما بعده خبر وقيل إن هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين يقولونها للكفار على وجه التقرير (إن كانت إلا صيحة واحدة) يعنى النفخة الثانية وهى نفخة القيام (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قيل هو اقتضاض الأبرار، وقيل سماع الأوتار، والأظهر أنه عام فى الاشتغال باللدات (فاكهون) قرئ بالالف ومعناه أصحاب فاكهة، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور (فى ظلال) جمع ظل، وبالضم جمع ظلة، (على الأرائك) جمع أريكة وهى السرير (ولهم ما يدعون) أى ما يتمنون، وقيل معناه أن ما يدعون به يأتهم (سلام) مبتدأ، وقيل بدل مما يدعون (قولا) مصدرهؤكد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك أو بغير واسطة (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة (جبلا كثيرا) الجبل الأمة العظيمة، وقال الضحاك: أقام عشرة آلاف، لا نهاية لاكثرها، وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمهما مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء، وهى لغات

لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۖ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ ۖ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۖ لِيُذَكِّرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۖ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ

بمعنى واحد ( اليوم نختم على أفواههم ) أى نمنعهم من الكلام فننطق أعضاؤهم يوم القيامة ( ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ) هذا تهديد لقريش ، والطمس على الأعين هو العمى ، والصراط الطريق وأنى استفهام يراد به النفى . فعنى الآية لو نشاء لأعميائهم فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه ، وقيل يعنى عمى البصائر أى لو نشاء لخمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير ( ولو نشاء لمسخناهم ) هذا تهديد بالمسخ ، فقيل معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة ، وقيل معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطلين لا يستطيعون تصرفا ، وقيل إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة ، والأظهر أنه فى الدنيا ( على مكاتهم ) المكاة المكات ، والمعنى لو نشاء لمسخناهم مسخا يقعدهم فى مكانهم ( فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ) أى إذا مسخروا فى مكانهم لم يقدرُوا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا ( ومن نعمه ننكسه فى الخلق ) أى نحول خلقته من القوة إلى الضعف ، ومن الفهم إلى البله وشبه ذلك كما قال تعالى : ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، وإنما قصد بذلك هنا للاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له ) الضمير ان لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وذلك رد على الكفار فى قولهم إنه شاعر ، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينظم الشعر ولا يزنه ، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه ، فإن قيل . قد روى عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب وروى أيضا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم : هل أنت إلا أصبع دمية ، وفى سبيل الله ما لقيت ، وهذا الكلام على وزن الشعر فالجواب أنه ليس بشعر وأنه لم يقصده الشعر ، وإنما جاء موزونا بالاتفاق لا بالقصد ، فهو كالشعر المنشور ، ومثل هذا يقال فى مثل ما جاء فى القرآن من الكلام الموزون ويقتضى قوله : وما ينبغي له ، تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز حتى يقال إن الشعر أطيبه أ كذبه ، وليس كل الشعر كذلك فقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إن من الشعر لحكمة ، وقد أكثر الناس فى ذم الشعر ومدحه ، وإنما الانصاف قول الشافعى الشعر كلام والكلام منه حسن ومنه قبيح ( إن هو إلا ذكر ) الضمير للقرآن يعنى أنه ذكر لله أو تذكير للناس أو شرف لهم ( ليذكر من كان حيا ) أى حتى القلب والبصيرة ( ويحق القول على الكافرين ) أى يجب عليهم العذاب ( أو لم يروا أنَّا خلقنا لهم مما علمت أيدينا أنعاما ) مقصد الآية تعديد النعم وإقامة الحجة ، والأيدي هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة ، وعند أهل التسليم من المتشابه الذى يجب الإيمان به وعلمه عند الله ( فمنها ركبهم ) الركوب بفتح الراء هو المركوب ( ولهم فيها منافع ) يعنى الأكل منها والحمل عليها والاتفاف بالجلود والصوف وغيره ( ومشارب ) يعنى الألبان ( لا يستطيعون نصرهم ) الضمير فى يستطيعون الأصنام ، وفى نصرهم المشركين ، ويحتمل العكس ، ولكن الأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لينصروهم : أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فحجب أملمهم

أَفَلَا يَشْكُرُونَ \* وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ \* لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ \*  
فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ \* أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ \*  
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ \*  
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَتُمُّ مِنْهُ تُوْقِدُونَ \* أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ \* إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ \* فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \*

(وهم لهم جند محضرون) الضمير الأول للبشر كين والثاني للأصنام يعني أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند وقيل بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة والأول أرجح لأنه تقييد لحال المشركين (فلا يحزنك قولهم) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم معللة لما بعدها (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة ورد على من أنكر ذلك ، والنطفة هي نطفة المني التي خلق الإنسان منها ولا شك أن الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلق مرة أخرى عند البعث ، وسبب الآية أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد من يحيي هذا وقيل إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف وقيل أبي بن خلف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم (فإذا هو خصيم مبين) أي متكلم قادر على الخصام يبين مافي نفسه بلسانه (وضرب لنا مثلاً) إشارة إلى قول الكافرين من يحيي هذا العظم (ونسي خلقه) أي نسي الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك (وهي رميم) أي بالية متفتتة (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) استدلال بالخلق الأول على البعث (وهو بكل خلق عليم) أي يعلم كيف يخلق كل شيء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدراً أو بمعنى المخلوق (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) هذا دليل آخر على إمكان البعث وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطباعيين قالوا طبع الموت يضاد طبع الحياة فكيف تصير العظام حية . فأقام الله عليهم الدليل من الشجر الأخضر المتلى ما مع مضادة طبع الماء للنار ويعني بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنا أخضر يقطر منه الماء فيسحق المرخ على العفار فتندح النار بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب ولكنه في المرخ والعفار أكثر (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذي قدر على خلق السموات والأرض على عظمها وكبر أجرامها قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها والضمير في مثلهم يعود على الناس (وهو الخلاق العليم) ذكر في هذين الاسمين أيضاً استدلال على البعث وكذلك في قوله إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولا شك أن الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد (فسبحان الذي يده مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ) في هذا استدلال على البعث وتنزيهه لله عما أنسبه الكفار إليه من العجز عن البعث فإنهم ما قدروا الله حق قدره وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى .

## سورة الصافات

مكية وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الانعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا زِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَقْتِمُوهُمْ أَهْمَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ

## سورة الصافات

(والصافات صفا) تقديره والجماعات الصافات ثم اختلف فيها ف قيل هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفا لعبادة الله وقيل هو من يصف من بنى آدم في الصلوات والجهاد والاول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة وإنا لنحن الصافون (فالزاجرات زجرا) هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون بالمواعظ من بنى آدم وقيل هي آيات القرآن المنضمنة للزجر عن المعاصي (فالتاليات ذكرا) هي الملائكة تتلو القرآن والذكر وقيل هم التالون للقرآن والذكر من بنى آدم وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد (ورب المشارق) يعني مشارق الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة في مشرق منها وتغرب في مغرب ، واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لأنها معادلة لها فنفهم من ذكرها (بزينة الكواكب) قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب والزينة تكون مصدرا واسما لما يزان به فإن كان مصدرا فهو مضاف إلى الفاعل تقديره بأن زينة الكواكب اسما أو مضاف إلى المفعول تقديره بأن زينا الكواكب وإن كانت اسما فالإضافة بيان للزينة وقرئ بتوین زينة وخفض الكواكب على البدل ونصب الكواكب على أنها مفعول بزينة أو بدل من موضع زينة (وحفظا) منصوب على المصدر تقديره وحفظناها حفظا أو مفعول من أجله والواو زائدة أو محمول على المعنى لأن المعنى إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (مارد) أى شديد الشر (لا يسمعون إلى الملاء الأعلى) الضمير في يسمعون للشياطين والملاء الأعلى هم الملائكة الذين يسكنون في السماء والمعنى أن الشياطين منعت من سماع أحاديث الملائكة وقرئ يسمعون بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع فني السماع على القراءة الأولى ونفى طلبه على القراءة بالتشديد ، الأول أرجح لقوله إنهم عن السمع لمعزولون ، ولأن ظاهرا الأحاديث أنهم يسمعون لكنهم لا يسمعون نأ منذ بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم يرمون بالكواكب (ويقذفون) أى يرمون بمعنى بالكواكب وهي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي ليست الكواكب الراجحة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجحة ترى حركتها لقربها منا قال ابن عطية وفي هذا نظر (دحورا) أى طردا وإبعادا وإهانة لأن الدحر الدفع بعنف وإعرابه مفعول من أجله أو مصدر من يقذفون على المعنى أو مصدر في موضع الحال تقديره مدحورين (عذاب واصل) أى دائم لأنهم يرمون

مِّن طِينٍ لَا زُبَّ • بَلْ عَجَبْتَ وَيَسْخَرُونَ • وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ • وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ • وَقَالُوا  
إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ • أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ • أَوْ إِبَاءٌ مِنَّا الْأَوَّلُونَ • قُلْ نَعَمْ  
وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ • فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ • وَقَالُوا يَتَوَلَّىٰ هَٰذَا يَوْمَ الدِّينِ • هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ  
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ • احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ • مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ  
صِرَاطِ الْجَحِيمِ • وَقَهُوْهُمْ لَهُمْ مَسْئُولُونَ • مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ • بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ • وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

بالنجم م في الدنيا ثم يقدفون في جهنم ، (إلا من خطف الخطفة) من في موضع رفع بدل من الضمير في قوله لا يسمعون  
والمعنى لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة (شهاب ثاقب) أي شديد الإضاءة (فاستفتحهم  
أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) الضمير لكفار قريش والاستفتاء نوع من السؤال وكأنه سؤال من يعتبر قوله ويجعل  
حجة لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم به الحجة عليهم ومن خلقنا يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة  
والسموات والأرض والمشارك والكواكب وقيل يراد به ما تقدم من الأمم والأول أرجح لقراءة ابن  
مسعود أم من عددنا مقصد الآية إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة كأنه يقول هذه المخلوقات أشد  
خلقاً منكم فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادتهم بعد فناءكم (إنا خلقناهم من طير لازب) اللازب  
اللازم أي يلزم ما جاوره ويلصقه ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقه بني آدم ، (بل عجبتم ويسخرون) أي عجبتم  
يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق أو عجبتم من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة وقرئ  
عجبت بضم التاء وأشكل ذلك على من يقول إن التعجب مستحيل على الله فتأولوه بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها  
الناس وقيل تقديره قل يا محمد عجبتم وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله صلى الله عليه وسلم  
يعجب ربك من شاب ليس له صبوة وهو صفة فعل وإنما جعلوه مستحيلاً على الله لأنهم قالوا إن التعجب  
استعظام خفي سببه والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب بل هو مجرد الاستعظام فعمل هذا لا يستحيل  
على الله (ويسخرون) تقديره وهم يسخرون منك أو من البعث (واذا رأوا آية يستسخرون) الآية هنا العلامة  
كانشق القمر ونحوه وروى أنها نزلت في مشرك اسمه ركانة أراه النبي صلى الله عليه وسلم آيات فلم يؤمن  
ويستسخرون معناه يسخرون فيكون فعل واستعمل بمعنى واحد وقيل معناه يستدعى بعضهم بعضاً لأن يسخر  
وقيل يبالغون في السخرية (أنذا كناتراًباً) لآية: معناها استبعادهم البعث وقد تقدم الكلام على الاستفهامين في  
الرعد (أو آباؤنا) بفتح الواو (دخلت همزة الإنكار على واو العطف وقرئ بالإسكان عطاءباو) (قل نعم وأنتم  
داخرون) أي قل تبعثون والداخر الصاغر الذليل (زجرة واحدة) هي النفخة في الصور للقيام من القبور (فإذا  
هم ينظرون) يحتمل أن يكون من النظر بالابصار أو من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم (فهذا يوم الدين)  
يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذي قبله أو مما يقال لهم مثل الذي بعده (احشروا) الآية خطاب للملائكة  
خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضاً (وأزواجهم) يعني نساؤهم المشركات وقيل يعني أصنامهم وقرناءهم  
من الجن والإنس (وما كانوا يعبدون) يعني الأصنام والأدمين الذين كانوا يرضون بذلك (فاهدوهم إلى صراط  
الجحيم) أي دلوهم على طريق جهنم ليدخلوها (إنهم مسئولون) يعني إنهم يسألون عن أعمالهم توبيخاً لهم وقيل يسألون

بَعْضٌ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۖ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ  
مِّنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ۖ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۖ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۖ فَإِنَّهُمْ  
يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْجَارِمِينَ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۖ  
وَيَقُولُونَ أَنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتَنَا لَشَاعِرٍ يَّجْنُونَ ۖ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ  
الْأَلِيمِ ۖ وَمَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۖ فَوَآكِهِ وَهُمْ  
مُكْرَمُونَ ۖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۖ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ۖ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۖ

عن قول لا إله إلا الله والاول أرجح لانه أهم ويحتمل أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهمك بهم  
فيكون مسئولون عاملا فيما بعده والتقدير يقال لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وقد كنتم في الدنيا تقولون  
نحن جميع منتصر (مستسلمون) أى منقادون عاجزون عن الانتصار (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين)  
الضمير في قالوا للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم في جهنم أو الإنس خاطبوا الجن واليمن هنا  
يحتمل ثلاث معان الاول أن يراد بها طريق الخير والصواب وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما  
أن العبارة عن الشر بالشمال والمعنى أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فنصدونا عنه والثاني  
أن يراد به القوة والمعنى على هذا أنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم فتأمرتنا بالكفر وتمنعونا من  
الإيمان والثالث أن يراد بها اليمين التي يحلف بها أى كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدقكم  
في ذلك وتنبكم (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) الضمير في قالوا للكبراء من الكفار أو للشياطين والمعنى  
أنهم قالوا لا تبعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم (لحق علينا قول ربنا إنا لذائقون) أى وجب  
العذاب علينا وعليكم ، وإننا لذائقون : معمول القول وحذف معمول ذائقون تقديره وجب القول بأذاائقون  
العذاب (فأغريناكم لما كنا غارين) أى دعوناكم إلى الغي ، لا ما كنا على غي (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون)  
أى إن المنبوعين والاتباع مشتركون في عذاب النار (يقولون إنا لتاركوا آلِهَتَنَا لشاعر مجنون) الضمير  
في يقولون لكفار قريش ، ويعنون بشاعر مجنون : محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فرد الله عليهم بقوله  
(بل جاء بالحق) أى جاء بالتوحيد والإسلام ، وهو الحق (وصدق المرسلين) الذين جاؤا قبله : لأنه جاء  
بمثل ما جاؤا به ، ويحتمل المعنى أن يكون صدقهم لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة  
والسلام (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع بمعنى لكن ، وقرئ مخلصين بفتح اللام وكسرها في كل  
موضع ، وقد تقدم تفسيره (على سرر متقابلين) السرر جمع سرير ، وتقابلهم في بعض الأحيان للسرور  
بالأنس ، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد بقصره (يطاف عليهم بكأس من معين) الذين يطوفون عليهم  
الولدان ، حسبما ورد في الآية الأخرى ، والكأس الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس ، وقيل الكأس إناء  
واسع الفم ، ليس له مقبض ، سواء كان فيه خمر أم لا ، والمعين : الجارى الكثير ، ووزنه فاعيل ، والميم فيه  
أصلية ، وقيل هو مشتق من العين ، والميم زائدة ، ووزنه مفعول (لذة) أى ذات لذة ، فوصفها بالمصدر



لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۖ وَعِنْدَهُمْ قَصَرَاتُ الطُّرْفِ عَيْنٍ ۚ كَأَنَّهُمْ بِيضٌ مَّسْكُونٌ ۚ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۚ يَقُولُ أَأَنَّىٰ لَكَ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۚ أَذًا مِّتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ وَعَظْمًا أَهْنَا لَمَدِينُونَ ۚ قَالَ هَلْ أَتَيْتُم مَّطْلُوعُونَ ۚ فَأُطْلِعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ۚ قَالَ تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتَتَرَدُّنَ ۖ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِّنَ الْمُخْضَرِّينَ ۚ أَفَأَنَّا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ ۖ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۚ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۚ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۚ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۚ

اتساعا (لا فيها غول) الغول : اسم عام في الأذى والضير ، ومنه يقال غاله يغوله : إذا أهلكه . وقيل الغول وجع في البطن ، وقيل صداع في الرأس ، وإنما قدم المجرور هنا تعريضا بخمر الدنيا ، لأن الغول فيها (ولاهم عنها ينزفون) أي لا يسكرون من خمر الجنة ، ومنه الزيف ، وهو السكران ، وعن هنا سبية ، كقولك فعلته عن أمرك ، أي لا ينزفون بسبب شربها (قاصرات الطرف) معناه أنهن قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهن (عين) جميع عينا ، وهو الكبيرة العينين في جمال (كأنهن بيض مسكون) قيل شبههن في اللون ببيض النعام ، فإنه يبيض خالطه صفرة حسنة ، وكذلك قال امرئ القيس : كبكره مقناة البياض بصفرة ۖ وقيل إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلى الرقيق ، وهو المسكون المصون تحت القشرة الأولى ، وقيل أراد الجواهر المصون (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة قال الزمخشري هذه الجملة معطوفة على يطاف عليهم ، والمعنى أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب ، بما جرى لهم في الدنيا (إني كان لي قرين) قيل إن هذا القائل وقرينه من البشر ، مؤمن وكافر وقيل إن قرينه كان من الجن (يقول أنك لمن المصدقين) معناه أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدنيا والآخرة (لمدينون) أي يجازون ومحاسبون على الأعمال ، ووزنه مفعول ، وهو من الدين ، بمعنى الجزاء والحساب (قال هل أتمم مطلعون) أي قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة ، أو للملائكة أو لخدامه ، هل أتمم مطلعون على النار لأريكم ذلك العزيز فيها ، وروى أن في الجنة كوى ينظرون أهلها منها إلى النار (في سواء الجحيم) أي في وسطها (قال تالله إن كدت لتردين) أي تهلكن يا غوائلك ، والردي الهلاك ، وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذي في النار (من المخضرين) في العذاب (أفأنا نحن بميتين) هذا من كلام المؤمن ، خطاب لقرينه أو خطابا لرفقائه في الجنة ولهذا قال نحن فأخبر عن نفسه وعنهم ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعا (إن هذا هو الفوز العظيم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمن ، أو من كلام رفقائه في الجنة أو من كلام الله تعالى ، وكذلك يحتمل هذه الوجوه في قوله لمثل هذا فليعمل العاملون ، والأول أرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلا به ، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة في الدنيا ففيه تحضيض على العمل الصالح (أذلك خير أم شجرة الزقوم) الإشارة بذلك إلى نعم الجنة ، وكل ما ذكر من وصفها ، وقال الزمخشري الإشارة إلى قوله رزق معلوم ، والنزل الضيافة ، وقيل الرزق الكثير وجاء التفضيل هنا بين شيئين ، ليس بينهما اشتراك ، لأن الكلام تقرير وتوبيخ (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قيل سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم ، قالوا كيف يكون في النار شجرة ، والنار تحرق

لَهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۖ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا كُفُونَ مِنْهَا فَأَلُّونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۖ  
ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۖ ثُمَّ لَمِنَ مَّرْجِعِهِمْ لِلْأَيْمَنِ الْجَحِيمِ ۖ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۖ فَهُمْ عَلَى  
ءَاتَرِهِمْ يَهْرَعُونَ ۖ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الْمُنْذِرِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ۖ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ  
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ  
لَئِنَّهُ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۖ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۖ إِذْ قَالَ  
لَأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۖ أَتُنْفَكُوا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ ۖ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۖ

الشجر ، فالفتنة على هذا الابتلاء في الدنيا وقيل معناه ، عذاب الظالمين في الآخرة ، والمراد بالظالمين هنا الكفار (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي تنبت في قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتهما (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) الطلع ثمر النخل فاستعير الشجرة الزقوم وشبه برؤوس الشياطين مبالغة في قبحه وكرهته ، لأنه قد تقرر في نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها ، ولذلك يقال للقيح المنظر وجه شيطان وقيل رؤوس الشياطين شجرة معروفة باليمن ، وقيل هو صنف من الحيات (لشوب من حميم) أي مزاج من ماء حار ، فإن قيل : لم عطف هذه الجملة بشم ، فالجواب من وجهين : أحدهما أنه لترتيب لك الأحوال في الزمان ، فالمعنى أنهم يمتؤون البطون من شجر الزقوم ، وبعد ذلك يشربون الجحيم ، والثاني أنه لترتيب مضاعفة العذاب فالمعنى أن شربهم للجحيم أشد عماذ كركله (يهرعون) الإهراع الإسراع الشديد (ولقد نادانا نوح) أي دعانا فالمعنى دعاؤه بإهلاك قومه ونصرته عليهم (من الكرب العظيم) يعني الفرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) أهل الأرض كلهم من ذرية نوح لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة ، سام وحام ويافت (وتركنا عليه في الآخرين) معناه أبقينا عليه ثناء جميلا في الناس إلى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام ، وقيل إن هذه الجملة مفعول تركنا وهي محكية أي تركناها هذه الكلمة ، يقال له يعني أن الخلق يسلمون عليه فيبتدأ بالسلام على القول الأول ، لا على الثاني والأول أظهر ومعنى في العالمين على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه بين العالمين ، كما تقول أحب فلانا في الناس أي أحبه خصوصا من بين الناس ومعناه على القول الثاني : أن السلام عليه ثابت في العالمين ، وهذا الخلاف يجري حيث ماذ كر ذلك في هذه السورة (وإن من شيعته لإبراهيم) الشيعة الصنف المتفق ، فعنى من شيعته من على دينه في التوحيد ، والصمير يعود على نوح وقيل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر (إذ جاء ربه) عبارة عن إخلاصه وإقباله على الله تعالى ، بكليته وقيل المراد المحيى بالجسد (بقلب سليم) أي سليم من الشرك ، والشك وجميع العيوب (أنفكا آلهة دون الله تريدون) الإفك الباطل وإعرا به هنا مفعول من أجله ، وآلهة مفعول به وقيل أنفكا مفعول به وآلهة بدل منه وقيل أنفكا مصدر في موضع الحال ، تقديره آفكين أي كاذبين والأول أحسن

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ • فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ • فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ • مَا لَكُمْ لَا تَنْتَفِقُونَ • فَرَاغَ عَلَيْهِمْ  
ضَرْبًا بَالِغِينَ • فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ • قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ • وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ • قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا  
فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ • فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ • وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَمِيعِينَ • رَبِّ هَبْ لِي

(فاظنكم برب العالمين) المعنى أى شيء تظنون برب العالمين ، أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره أو أى شيء تظنون  
أنه هو حتى عبدتم غيره كما تقول ما ظنك بفلان إذا قصدت تعظيمه ، فالمراد على المعنى الأول تهديد وعلى  
الثانى تعظيم لله وتوبيخ لهم ( فظن نظرة في النجوم فقال إنى سقيم ) روى أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه  
فدعوه إلى الخروج معهم ، فحينئذ قال إنى سقيم ليمتنع عن الخروج معهم ، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا  
لعيدهم وفى تأويل ذلك ثلاثة أقوال الأول أنها كانت تأخذ الحمى فى وقت معلوم ، فظن فى النجوم ليرى  
وقت الحمى ، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى ، والثانى أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام  
النجوم فأوهمهم أنه استدل بالنظر فى علم النجوم أنه يسقم ، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم  
والثالث أن معنى نظر فى النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم فقال إنى سقيم والنجوم على هذا  
ما ينبج من حاله معهم ، وليست بنجوم السماء ، وهذا بعيد وقوله إنى سقيم على حسب هذه الأقوال يحتمل  
أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلا ، ويعارض هذا ماورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات ، أحدها : قوله إنى سقيم ، ويحتمل أن يكون كذبا صراحا ، وجاز له ذلك  
لهذا الاحتمال لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام ، ويحتمل أن يكون من المعارض فإن  
أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لابد له أن يمرض ، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له  
وهذان التأويلان أولى ، لأن نفي الكذب بالجملة معارض للحديث ، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء ، عند  
أهل التحقيق ، أما المعارض فهي جائزة ( فتولوا عنه مدبرين ) أى تركوه إعراضا عنه وخرجوا إلى عيدهم ،  
وقيل إنه أراد بالسقم الطاعون وهو داء يعدى يخافوا منه وتباعدا عنه مخافة العدوى ( فراغ ) أى مال ( فقال  
ألا تأكلون ) إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام ( ضربا باليمين ) أى يمين يديه وقيل  
بالقوة وقيل بالحلف ، وهو قوله تالله لا كيدن أصنامكم ، والأول أظهر وأليق بالضرب وضربا مصدر فى موضع  
الحال ( يزفون ) أى يسرعون ( قال أتعبدون ما تنحتون ) أى تنجرون والنحت التجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام  
من الحجارة والخشب ( والله خالقكم وما تعملون ) ذهب قوم إلى أن ما صدرية ، والمعنى الله خلقكم وأعمالكم وهذه  
الآية عندهم قاعدة فى خلق أفعال العباد ، وقيل إنها موصولة بمعنى الذى والمعنى الله خلقكم وخلق أصنامكم التى تعملونها  
وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى فى قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام ، وقيل إنها نافية ، وقيل إنها  
استفهامية ، وكلاهما باطل ( قالوا ابنوا له بنيانا ) قيل البنيان فى موضع النار ، وقيل بل كان للمنجنيق ، الذى روى عنه  
( فأرادوا به كيدا ) يعنى حرقه بالنار ( فجعلناهم الأسفلين ) أى المغلوبين ( وقال إنى ذاهب إلى ربى سميعين ) قيل إنه قال  
هذا بعد خروجه من النار ، وأراد أنه ذاهب أى مهاجر إلى الله فهاجر إلى أرض الشام ، وقيل إنه قال ذلك قبل أن يطرح  
فى النار وأراد أنه ذاهب إلى ربه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه وسيعيد على القول الأول يعنى الهدى إلى صلاح

مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۖ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَىٰ إِلَىٰ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَكُونُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۖ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۖ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَأْتِ بِرَاهِيمَ ۖ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّمْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۖ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ

الدين والدنيا ، وعلى القول الثاني إلى الجنة ، وقالت المتصوفة معناه إني ذاهب إلى ربي بقلبي أى مقبل على الله بكليتي تاركاً سواه (رب هب لي من الصالحين) يعنى ولدا من الصالحين (فبشرناه بغلام حلیم) أى عاقل واختلف الناس فى هذا الغلام المبشر به فى هذا الموضع وهو الذبيح ، هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أنا ابن الذبيحين يعنى إسماعيل عليه السلام ووالده عبد الله حين نذر والده عبد المطلب أن ينحره إن يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الإبل والثاني أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح وبشرناه بإسحاق فدل ذلك على أن الذبيح غيره والثالث أنه روى أن إبراهيم جرت له قصة الذبيح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب علي بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوادي إنما كانت بإسحاق لقوله فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، والثاني أنه روى أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله (فلما بلغ معه السعى) يريد بالسعى هنا العمل والعبادة ، وقيل المشى وكان حينئذ ابن ثلاثة عشر سنة (قال يابنى إني أرى فى المنام أني أذبحك) يحتمل أن يكون رأى فى المنام الذبيح وهو الفعل أو أمر فى المنام أنه يذبحه والأول أظهر فى اللفظ هنا ، والثاني أظهر فى قوله أفعَلُ مَا تُؤْمَرُ ورؤيا الأنبياء حق فوجب عليه الامتثال على الوجهين (فانظر ماذا ترى) إن قيل لم شاوره فى أمر هو حتم من الله ؟ فالجواب : أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر فأجابه بأحسن جواب (فلما أسلما) أى استسلما وانقادا لأمر الله (وتله للجبين) أى صرعه بالأرض على جبينه وللإنسان جبينان حول الجبهة ، وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره ، فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم ، وقال الكوفيون جوابها تله والواو زائدة ، وقال بعضهم جوابها : ناديناها والواو زائدة (قد صدقت الرؤيا) يحتمل أنه يريد بقلبك أى كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك أى وفيت حقها من العمل ، فإن قيل إنه أمر بالذبح ولم يذبح ، فكيف قيل له صدقت الرؤيا ؟ فالجواب أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح ولو لم يفده الله لذبحه ولكن الله هو الذى منعه من ذبحه لما فداه فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ما عليه (البلاء المبين) أى الاختبار البين الذى يظهر به طاعة الله أو المحنة البينة الصعوبة (وفدينا به بذيح عظيم) الذبيح اسم لما يذبح وأراد به هنا الكبش الذى فدى به ، وروى أنه من كباش الجنة ، وقيل إنه الكبش الذى قرب به ولد آدم ووصفه بعظيم لذلك أو لأنه من عند الله أو لأنه متقبل ، وروى فى القصص أن الذبيح قال لإبراهيم أشدد رباطي لئلا أضطرب ، واصرف بصرك عني

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ .  
وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكُنُوا هُمُ الْغَالِبِينَ .  
وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ . سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ  
وَهَارُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
أَلَا تَتَّقُونَ . أَأَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . فَكَذَّبُوهُ  
فَأَنهَمُ لَمُحْضَرُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ . إِنَّا كَذَلِكَ  
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنْ لُّوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا  
فِي الْغَابِرِينَ . ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ . وَلَكُمْ لَتَمُوتُنَّ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ . وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ  
الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ . فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ . فَلَوْلَا

لئلا ترحمني وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع فحينئذ جاءه الكعبش من عند الله وقد أكره الناس في قصص هذه  
الآية وتركناه لعدم صحة (كذلك نجزي المحسنين) إن قيل لم قال هنا في قصة إبراهيم كذلك دون قوله إنا، وقال  
في غيرها إنا، فالجواب أنه قد تقدم في قصة إبراهيم نفسها: إنا كذلك فأغنى عن تكرار إنا (ولقد مَنَنَّا على موسى  
وهارون) يعني بالنبوة وغير ذلك (من الكرب العظيم) أي الفرق أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم (ونصرناهم) الضمير  
يعود على موسى وهارون وقومهما وقيل على موسى وهارون خاصة وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم وهذا ضعيف  
(وآتيناها الكتاب المستبين) يعني التوراة ومعنى المستبين البين، وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات  
البيان وهو الترتيب (وإن إبراهيم من المرسلين) إلياس من ذرية هارون وقيل إنه إدريس، وقد أخطأ من قال إنه  
إلياس المذكور في أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أندعون بعلا) البعل في اللغة الرب بلغة أهل اليمن  
وقيل بعل اسم صنم يقال له بعلبك (سلام على آل ياسين) آل هنا على هذه القراءة بمعنى أهل ياسين اسم  
لإلياس، وقيل لآبيه، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقرئ إلياسين بكسر الهمزة ووصل اللام  
ساكنة على هذا جمع إلياس أو منسوب لإلياس حذف منه الياء كما حذف من أعجمين، وقيل سمى كل واحد  
من آل ياسين إلياس ثم جمعهم وقيل هولاء في إلياس (عجوز في الغابرين) قد ذكر (وإن يونس من المرسلين)  
قد ذكرنا قصته في يونس والانبيا (إذ أبق إلى الفلك المشحون) أي هرب إلى السفينة والفلك هنا واحد والمشحون  
المملوء، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا، وقيل إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبا  
أعلاه الله، فلما رأوا قومه يخيل العذاب آمنوا، فرفع الله عنهم العذاب تخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب  
(فساهم فكان من المدحضين) معنى ساهم ضارب القرعة والمدحض المغلوب في القرعة والمخاجة وسبب مقارعته  
أنه لما ركب السفينة، وقفت ولم تجر، فقالوا إنما وقفت من حدث أحدثه أحدنا فنقترح لنرى على من تخرج



أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۖ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۖ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً  
مِّنْ يَقْطِينٍ ۖ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۖ فَآمَنُوا فَفَتَحْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۖ فَاسْتَفْتِهِم أَرَبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمْ  
الْبَنُونَ ۖ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكَهٍ لِّقَوْلِهِمْ وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُمُ الْكَذِبُونَ ۖ  
أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۖ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۖ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۖ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ۖ فَاتُّوا بِكِتَابِكُمْ

القرعة فنطرحه فاقتصرنا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر (فالتقمه الحوت وهو ملهم) أى فعل ما يلام عليه وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج (فلولا أنه كان من المسبحين) تسيحه هو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين حسبنا حكي الله عنه في الأنبياء وقيل هو قوله سبحان الله وقيل هو الصلاة ، واختلف على هذا هل يعنى صلاته في بطن الحوت أو قبل ذلك واختلف في مدة بقاءه في بطن الحوت فقيل ساعة وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوماً (فنبذناه بالعراء) العراء الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ، ولا ظل وقيل يعنى الساحل (وهو سقيم) روى أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أى أنبتناها فوقه لتظله وتقيه حر الشمس ، واليقطين ، القرع وإنما خصه الله به لأنه يجمع برد الظل ولين اللدس وكبر الورق وأن الذباب لا يقربه فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب وقيل اليقطين كل شجرة لا ساق لها كالبقول والقرع والبطيخ ، والاول أشهر (وأرسلناه إلى مائة ألف) يعنى رسالته الأولى التي أبقي بعدها وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والاول أشهر (أوزيريدون) قيل أو هنا بمعنى بل ، وقرأ ابن عباس ، بل يزيدون ، وقيل هى بمعنى الواو وقيل هى اللهايم وقيل المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول هم مائة ألف أو يزيدون واختلف في عددهم فقيل مائة وعشرون ألفا وقيل مائة وثلاثون ألفا وقيل مائة وأربعون ألفا وقيل مائة وسبعون ألفا (فآمنوا ففتحناهم إلى حين) روى أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم ، وفرقوا بينهم وبين الأمهات وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا فرفع الله العذاب عنهم إلى حين : يعنى لانقضاء آجالهم وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها (فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون) قال الزخشرى إن هذا معطوف على قوله فاستفتهم الذى في أول السورة وإن تباعد ما بينهما والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار أى أسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزى ثم قررهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث ورد عليهم بقوله وهم شاهدون ، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة ، أو بمعنى الحضور أى أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعدلوه ثم أخبر عن كذبهم في قولهم ولد الله ثم قررهم على ما زعموا من أن الله أصطفى لنفسه البنات ؛ وذلك كله رد عليهم وتوبيخ لهم ، تعالى الله عن أقوالهم علوا كبيرا (أصطفى) دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل (مالككم) هذا استفهام معناه التوبيخ وهى في موضع رفع بالابتداء والمجرور بعدها خبرها فينبغى الوقف على قوله مالككم (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين (فاتوا بكتابكم) تعجيز لهم لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به (وجعلوا بينه وبين الجنة نسا)



إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ • سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ •  
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ • فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ • مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ • إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ • وَمَا مَنَّا  
إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ • وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ • وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ • وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ • لَوَإِنَّ عِنْدَنَا  
ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ • لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ • فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ • وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

الضمير في جعلوا لكفار العرب وفي معنى الآية قولان : أحدهما أن الجنة هنا الملائكة وسميت بهذا الاسم لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والملائكة مستورين عن أعين بني آدم كالجن والنسب الذي جعلوه بينهم وبين الله قولهم إنهم بنات الله ، والقول الثاني أن الجن هنا الشياطين ، وفي النسب الذي جعلوه بينهم وبينهم قولان : أحدهما أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والآخر أن بعضهم قال إن الله نكح في الجن فولدت له الملائكة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ( ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ) من قال إن الجن الملائكة فالضمير في قوله إنهم لمحضرون يعود على الكفار أي قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون في العذاب ومن قال إن الجن الشياطين فالضمير يعود عليهم أي قد علمت الشياطين إنهم محضرون في العذاب ( إلا عباد الله المخلصين ) استثناء منقطع من المحضرين أو من الفاعل في يصفون والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب ولكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله ( فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاعلين إلا من هو صال الجحيم ) هذا خطاب للكفار والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها وما تعبدون عطف على الضمير في إنكم ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع ومعنى فاعلين مضلين والضمير في عليه يعود على ما تعبدون وعلى سببية معناها التعليل ومن هو مفعول بفاعلين والمعنى إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحداً إلا من قضى الله أنه يصلي الجحيم أي لا تقدرون على إغواء الناس إلا بقضاء الله وقال الزمخشري الضمير في عليه يعود على الله تعالى ( وما مَنَّا إلا له مقام معلوم ) هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام ، تقديره ما منّا ملك إلا وله مقام معلوم ، وحذف الموصوف لفهم الكلام ، والمقام المعلوم : يحتمل أن يراد به المكان الذي يقومون فيه ، لأن منهم من هو في السماء الدنيا ، وفي الثانية ، وفي السموات ، وحيث شاء الله ، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف ( وإنا نحن الصافون ) أي الواقفون في العبادة صفوفاً ، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ليقفوا بالملائكة ، وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوفاً إلا المسلمون ( وإنا نحن المسبحون ) قيل معناه المصلون ، لأن الصلاة يقال لها تسبيح ، وقيل معناه القائلون سبحانه الله ، وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة رد على من قال إنهم بنات الله وشركاء له ، لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتزيم له ، ويدل هذا الكلام أيضاً على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة ، وقيل إنه هذا كله من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكلام المسلمين ، والأول أشهر ( وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين ) الضمير لكفار قريش وسائر العرب ، والمعنى إنهم كانوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لو أرسل الله إلينا رسولا وأنزل علينا كتابا لكننا عباد الله المخلصين ( فكفروا به ) الضمير للذكر أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدم له ذكر ( فسوف يعلمون ) تهديد ووعد لهم على كفرهم ( ولقد سبقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسلين إنهم لهم المنصورون

الْمُرْسَلِينَ • إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ • وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ • فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ • وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ • أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ • فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ • وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ • وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ • سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ •

## سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ • بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ • كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

المعنى سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم ( وإن جندنا لهم الغلبون ) هذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان ، وبهزيمة الأعداء في القتال ، وبالسعادة في الآخرة ( فتول عنهم حتى حين ) أى أعرض عنهم ، وذلك موادة مذكورة بالسيف ، والحين هذا يراد به يوم بدر ، وقيل حضور آجالهم ، وقيل يوم القيامة ( وأبصر فسوف يبصرون ) هذا وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد لهم ( أفبعذابنا يستعجلون ) إشارة إلى قولهم متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك ( فإذا نزل بساحتهم ) الساحة الفناء حول الدار ، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محذور وسوء ( فساء صباح المنذرين ) الصباح مستعمل في ورود الغارات والزوايا ، ومقصد الآية التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أئذروا فلم ينفعهم الإنذار ، وذلك تمثيل بقوم أئذروهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم ( وأبصر ) كرر الأمر بالتولى عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد ، وقيل أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا ، وبالثاني عذاب الآخرة ، فإن قيل : لم قال أولا أبصرهم ، وقال هنا أبصر ، فحذف الضمير المفعول ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا فحذفه اقتصارا ، والآخر أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم كأنه قال أبصر جميع الكفار بخلاف الأول ، فإنه في قریش خاصة ( سبحان ربك رب العزة عما يصفون ) نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار بما لا يليق به ، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالا كثيرة شنيعة ، والعزة إن أراد بها عزة الله : فعنى رب العزة ، ذو العزة وأضافها إليه لاختصاصه بها ، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين : فعنى رب العزة مالكها وخالقها ، ومن هذا قال محمد بن سحنون : من حلف بعزة الله ، فإن أراد صفة الله فهى يمين ، وإن أراد العزة التى أعطى عباده فليست يمين ، ثم ختم هذه السورة بالسلام على المرسلين ( والحمد لله رب العالمين ) فأما السلام على المرسلين فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم ، ويكون ذلك تكميلا لقوله إنهم لهم المنصورون ، وأما الحمد لله ، فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك ، ويحتمل أن يريد الحمد لله على الإطلاق

## سورة داود عليه السلام

( ص ) تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة ويختص بهذا أنه قال فيه معناه صدق محمد ، وقيل هو حرف

قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۖ وَجَعَبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ  
كَذَّابٌ ۖ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۖ وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَن امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ  
ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۖ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِن هَٰذَا إِلَّا أُخْتِلَاقٌ ۖ أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِن

من اسم الله الصمد أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات (والقرآن ذى الذكر) هذا قسم جوابه محذوف  
تقديره إن القرآن من عند الله ، وإن محمداً لصديق وشبه ذلك، وقيل جوابه في قوله ص إذهو بمعنى صدق  
محمداً ، وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وهذا بعيد ، وقيل جوابه إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا  
أبعد ، ومعنى ذى الذكر ذى الشرف ، والذكر بمعنى الموعظة أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة (بل  
الذين كفروا في عزة وشقاق) الذين كفروا يعنى قريشا ، وبل الإضراب عن كلام محذوف وهو جواب  
القسم أى إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق ، والعزة التكبر ، والشقاق العداوة  
وقصد المخالفة ، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما وتفاخم الكفار فيهما (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) إخبار  
يتضمن تهديداً لقريش (فنادوا ولات حين مناص) المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين  
لم ينفعهم ذلك ، ولات بمعنى ليس وهى لا النافية زيدت عليها علامة التأكيد ، كما زيدت فى ربت وثمت ،  
ولا تدخل لات إلا على زمان واسمها مضمرة ، وحين مناص خبرها ، والتقدير ليس الحين الذى دعوا فيه  
حين مناص ، والمناص المنة والنجاة من قولك ناص ينوص إذا فتر (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير  
لقريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أى استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم ، ويحتمل أن  
يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثلهم (وقال الكافرون) كان الأصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع  
المضمر قصداً لوصفهم بالكفر (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) هذا إنكار منهم للتوحيد ، وسبب نزول هذه  
الآيات أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبى طالب: كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا  
فكلمه أبوطالب فى ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم ، وتدين لهم بها  
العرب ، فقالوا نعم وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا : أجعل  
الآلهة إلهاً واحداً (وانطلق الملائة منهم أن امشوا واصبروا) انطلاق الملائة عبارة عن خروجهم عن أبى طالب  
وقيل عبارة عن تفرقتهم فى طرق مكة وإشاعتهم للكفر ، وأن امشوا : معناه يقول بعضهم لبعض امشوا  
واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمداً فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده (إن هذا لشيء يراد) هذا أيضاً  
مما حكى الله من كلام قريش وفى معناه وجهان : أحدهما أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أى إن هذا  
التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه ، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أى إن هذا شيء ينبغي  
أن يراد ويتسلك به أو أن هذا شيء يريد الله منا لما قضى علينا به والاول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك  
إليه فيكون الكلام على نسق واحد (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) هذا أيضاً مما حكى الله عنهم من كلامهم  
أى ما سمعنا بالتوحيد فى الملة الآخرة ، والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم  
يقولون بالتثليث لا بالتوحيد ، وقيل المراد ملة قريش أى ما سمعنا بهذا فى الملة التى أدركنا عليها آباءنا ، وقيل  
المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهنة أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء (إن هذا

بَيْنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٌ ؕ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ؕ أَمْ لَهُمْ  
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ؕ جُنْدٌ مَّاهُنَا لَكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ؕ كَذَّبَتْ  
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ؕ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ؕ إِنْ  
كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ؕ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهُم مِّنْ فَوَاقٍ ؕ وَقَالُوا رَبَّنَا جَعَلْ

إلا اختلاق) هذا أيضا مما حكى من كلامهم والإشارة إلى التوحيد والإسلام ومعنى الاختلاف الكذب (أزل عليه الذكر من بيننا) الهمة للإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخص الله محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإنزال القرآن عليه دونهم (بل هم في شك من ذكرى) هذا رد عليهم والمعنى أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم في شك من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بالذكر القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤا، ويمنعوا من شاؤا بل يعطيها الله لمن يشاء ثم وصف نفسه بالعزيز الوهاب، لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) هذا أيضا رد عليهم، والمعنى أم لهم الملك فيتصرفون فيه كيف شاؤا، بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء وأم الأولى منقطعة بمعنى بل وهمة الإنكار، وأما الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها (فليرتقوا في الأسباب) هذا تعجيز لهم، وتهكم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، والأسباب هنا السلام والطرق وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو، وقيل هي أبواب السماء، والمعنى إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) هذا وعيد بهزيمتهم في القتال وقدهم موايوم بدر وغيره، وما هنالك صفة لجند وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بهنالك إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء، وقيل الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب وهذا بعيد؛ وقيل الإشارة إلى موضع بدر، ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا (وفرعون ذى الأوتاد) قال ابن عباس كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم، وقيل أراد المباني العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية، وقال الزمخشري إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل: في ظل ملك ثابت الأوتاد (وأصحاب الأيكة) قد ذكر (وما ينظر هؤلاء إلا لصيحة واحدة) ينظر هنا بمعنى ينتظر، وهؤلاء يعنى قريشا والصيحة الواحدة النفخة في الصور وهى نفخة الصعق، وقيل الصيحة عبارة عما أصابهم من قتل أو شدة، والأول أظهر، وقد روى تفسيرها بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما لها من فواق) فيه ثلاثة أقوال: الأول ما لها رجوع أى لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشتق من الإفاقة، الثانى ما لها من تردد: أى إنما هى واحدة لا ثانية لها: الثالث ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهى ما بين حلقى اللبن، وهذا القول الثالث إنما يجرى على قراءة فواق بالضم لأن فواق الناقة

لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ هُ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْإِيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ هُ إِنَّا نَسْخَرُنَا الْجِبَالَ  
مَعَهُ يَسْبِغْنَ بِالْعَسِيِّ وَالْإِشْرَاقِ هُ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ هُ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ هُ  
وَهَلْ أَتَاكَ نَبِيُّ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ هُ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَنَى بَعْضُنَا

بالضم ، والقولان الأولان على الفتح والضم (وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا) القط في اللغة له معنيان : أحدها الكتاب ، والآخر النصيب ، وفي معناه هنا ثلاثة أقوال : أحدها نصيبنا من الخير : أي دعو أن يعجله الله لهم في الدنيا والآخر نصيبهم من العذاب ، فهو كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء . الثالث صحائف أعمالنا (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الإيد إنه أواب) الإيد القوة ، وكان داود جمع قوة البدن وقوة الدين والملك والجنود ، والأواب : الرجاء إلى الله ، فإن قيل : ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره بذكر داود ؟ فالجواب عندى أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب وإعانة له على ما أمر به من الصبر ، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال ، وشدة ملكه ، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب ، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب ، فكانه يقول يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك ، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون ، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب ، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء والمقصود ذكر الإناعام عليهم لتقوية قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابهم شدة ثم فرجها الله عنهم ، وأعقبها بالخير العظيم ، فأمر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بذكرهم ليعلم أنه يفرج عنه ما يلقى من إذابة قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم ، فالمناسبة في ذلك ظاهرة وقال ابن عطية : المعنى : اذكر داود ذا الأيدي في الدين فتأس به وتأيد كما تأيد ، وأجاب الزمخشري عن السؤال فإنه قال كأن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على ما يقولون ، وعظم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود ، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها فاستغفر وأناب ، فما الغن بكم مع كفركم ومعاصيكم ، وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته ، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا (والإشراق) يعنى وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس : أى تضيء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطالوعها (محشورة) أى مجموعة (كل له أواب) أى كل مسبح لأجل تسبيح داود ، ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجاء أى ليرجع إلى أمره (وأتيناه الحكمة) قيل يعنى النبوة ، وقيل العلم والفهم وقيل الزبور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس هو فصل القضاء بين الناس بالحق ، وقال على بن أبى طالب هو لإيجاب اليمين على المدعى عليه والبيينة على المدعى ، وقيل أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها ، وقال الزمخشري : معنى فصل الخطاب البين من الكلام الذى يفهمه من يخاطب به ، وهذا المعنى اختاره ابن عطية ، وجعله من قوله تعالى (وله لقول فصل) (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوؤوا المحراب) جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها

عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِي نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ

للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يلقي البال لها والخصم يقع على الواحد والاثنتين والجماعة كقولك عدل وزور واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة ، وروى أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها ، فأقى بفتيا هي واقعة عليه في نازلته ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر ، وسندكر القصة بعد هذا ، ومعنى تسوروا المحراب علوا على سورته ودخلوه ، والمحراب الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبد ، ويحتمل أن يكون المتسور المحراب اثنين فقط ، لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين فقط فتجىء الضمائر في تسوروا ، ودخلوا ، وفزع منهم : على وجه التجوز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة ، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان ، ويحتمل أنه جامع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم ، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقة ، وعلى هذا قول الزمخشري ( إذ دخلوا على داود ففزع منهم ) العامل في إذ هنا تسوروا ، وقيل هي بدل من الأولى ، وأما إذ الأولى فالعامل فيها أذاك أو تسوروا ورد الزمخشري ذلك ، وقال إن العامل فيها مخدوف تقديره : هل أذاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا ، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير الباب ، وقيل إن ذلك كان ليلا ( خصمان بغى بعضنا على بعض ) تقديره نحن خصمان ، ومعنى بغى تعدى ( ولا تشطط ) أى لا تجر علينا في الحكم ، يقال أشطط الحاكم إذا جار ، وقرئ في الشاذ لا تشطط بفتح الناء : أى لا تبعد عن الحق ، يقال شطط إذا بعد ( سواء الصراط ) أى وسط الطريق ، ويعنى القصد والحق الواضح ( إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب ) هذه حكاية كلام أحد الخصمين ، والآخر هنا أخوة الدين ، والنعجة في اللغة تقع على أثنى بقر الوحش وعلى أثنى الضأن ، وهى هنا عبارة عن المرأة ، ومعنى أكفلنيها أملكها إلى وأصله اجعلها في كفالتى ، وقيل اجعلها كفى أى نصيبى ، ومعنى عزني في الخطاب أى غلبني في الكلام والمحاورة يقال عز فلان فلانا إذا غلبه وهذا الكلام تمثيل للقصة التي وقع داود فيها . وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا حتى قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلده ثنتين مائة أرتكب من حرمة من رفع الله محله ، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام : روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبه ، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها ، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك ، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبه فسأله النزول عنها ففعل وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام ، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه ملائكة مثالا لقصته ، فقال أحدهما إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود ، ولي نعجة واحدة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة ، فقال أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابته داود عليه السلام بقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، فقامت الحجة عليه بذلك ، فتبسم الملكان عند ذلك



كثيراً من الخُطَااءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنُهُ فَاَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۖ يَدْعُوهُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ

وذها ولم يرهما ، فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه (فاستغفر ربه وخر را كما وأناب) ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا ، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتزهد عنه لعلو مرتبته ومثانة دينه ، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم كإقبال حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة فكان غنيا عن هذه المرأة فوقع العتاب على الاستكثار من النساء ، وإن كان جائزا ، وروى هذا الخبر على وجه آخر ، وهو أن داود انفرد يوما في محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة فوقع بين يديه فأعجبه فد يده ليأخذه فطار على الكوة فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت وهو موضع قل ما تخلص أحد منه فقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا فتزوج داود امرأة ففوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأة بعدده مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها ، وقيل إن داود هم بذلك كله ولم يفعله ، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك ، وروى أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعلبه وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن تلك القصة ، وروى أيضا أن السبب في ذلك أنه تمنى منزلة آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، والتزم أن يبتيلى كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) سؤال مصدر مضاف إلى المفعول ، وإنما تعدى إلى لأنه تضمن معنى الإضافة كأنه قال بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه ، فإن قيل : كيف قال له داود لقد ظلمك قبل أن يثبت عنده ذلك فالجواب أنه روى أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارا ، ويحتمل أن يكون قوله لقد ظلمك على تقدير صحة قوله ، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التي استغفر منها وأناب (وإن كثيرا من الخطاء ليبغي بعضهم على بعض) الخطاء هم الشركاء في الأموال ، ولكن الخلطة أعم من الشراكة . ألا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشراكة في رقابها وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذي بقي ، والتسوية بالتأسي للخصم الذي بقي عليه (وقليل ما هم) مازائدة للتأكيد (وظن داود أنما فتناه) ظن هنا بمعنى شعر بالامر ، وقيل بمعنى أيقن ، وفتناه معناه اختبرناه (وخر را كما وأناب) معنى خر ألقى بنفسه إلى الأرض ، وإنما حقيقة ذلك في السجود ، فقيل إن الركوع هنا بمعنى السجود ، وقيل خر من ركوعه ساجدا بعد أن ركع ، ومعنى أناب تاب ، وروى أنه بقي ساجدا أربعين يوما يبكي حتى نبت البقل من دموعه ، وهذا الموضع فيه سجة عند مالك خلافا للشافعي ، إلا أنه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله وأناب ، أو عند قوله وحسن مآب (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) الزلفى القربة والمكانة الرفيعة ، والمآب المرجع في الآخرة (ياد داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) تقديره

يَصْلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ • وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا  
ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ • أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ  
فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ • كَتَبْنَا نُزْلَهُ لَكَ مَبْرُورًا لِيَذُبَّ عَنْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا  
الْأَلْبَابِ • وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ • إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفْنَائَتُ الْجَدِيدُ فَقَالَ إِنِّي  
أُحِبُّتُ حَبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ • رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِّقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ •

قال الله ياداد ، وخلافة داود بالنبوة والملك ، قال ابن عطية : لا يقال خليفة الله إلا للنبي ، وأما الملوك  
والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله ، وقول الناس فيهم خليفة الله يجوز (وما خلقنا السماء والأرض  
وما بينهما باطلا) أى عبثا بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما (ذلك ظن الذين كفروا)  
المعنى أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقه السموات والأرض عندهم باطلا بغير الحكمة ،  
فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخرى ( أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ  
فِي الْأَرْضِ ) أَمْ هُنَا استفهامية يراد بها الإنكار : أى أن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار ، بل  
يجازى كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله في الجزاء ، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء وفيه أبضاعد ووعيد  
(إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) الصافنات جمع صافن وهو الفرس الذى يرفع إحدى رجليه أو يديه  
ويقف على طرف الأخرى ، وقيل الصافن هو الذى يسوى يديه ، والصفن علامة على فراهة الفرس ، والجياد  
السريعة الجرى واختلف الناس فى قصص هذه الآية ، فقال الجمهور إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان  
ورثها عن أبيه وقيل أخرجتها له الشياطين من البحر ، وكانت ذوات أجنحة ، وكانت ألف فرس ، وقيل أكثر  
فتشاعل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاته صلاة العشي والعصر ، فأسف لذلك ، وقال ردوا على الخيل وطفق  
يضرب أعناقها وعراقبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلا اليسير فأبدله الله  
أسرع منها وهى الريح ، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية ، وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان  
وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز ، فكيف يفعله سليمان عليه السلام ؟ وأى ذنب للخيل فى تفويت الصلاة  
فقال بعضهم : إنما عقرها لئلا كلها الناس ، وكانت زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله ، وقال بعضهم  
لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل ، بل كان يصلى فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها  
فلما فرغ من صلاته قال ردوها على فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة ، وقيل إن المسح عليها كان وسما  
فى سوقها وأعناقها بوسم حبس فى سبيل الله (فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) معنى هذا يختلف  
على حسب الاختلاف فى القصة ، فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة  
فاختلفوا فى هذا على ثلاثة أقوال : أحدها أن الخير هنا يراد به الخيل ، وزعموا أن الخيل يقال لها خير ،  
وأحببت بمعنى آثرت أو بمعنى فعل يتعدى بعن كأنه قال آثرت حب الخيل فشغل عن ذكر ربى ، والآخر  
أن الخير هنا يراد به المال لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى «أوترك خيرا» أى مالا ، والثالث

وَلَقَدْ قَتَلْنَا سُلَيْمَانَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۖ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ  
بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۖ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۖ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ

أن المفعول محذوف ، وحب الخير مصدر والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حب الخير فشغلني عن ذكر ربي  
وأما الذين قالوا كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها فالمعنى أنه قال إنني أحببت حب الخير الذي  
عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي ، وشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل (حتى توارت بالحجاب) الضمير  
للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشي يقتضيها ، والمعنى حتى غابت  
الشمس ، وقيل إن الضمير للخيل ، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها والاول أشهر وأظهر (دورها  
على) أى قال سليمان ردوا الخيل على (مطابق مسحاً بالسوق والأعناق) السوق جمع ساق يعنى سوق الخيل  
وأعناقهم : أى جعل يمسحها مسحاً ، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم ، هل هو قطعها وعقرها  
أو مسحها باليد محبة لها ، أو سمسها للتحييس (ولقد قتلنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب) تفسير  
هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها ، وفي ذلك أربعة أقوال : الاول أن سليمان كان له خاتم  
ملكه وكان فيه اسم الله ، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيراً لاسم الله تعالى ، فنزعه يوماً ودفعه إلى جارية  
فتمثل لها حتى في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له ، روى أن اسمه صخر فبعد على كرسى سليمان  
يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان ، وخرج سليمان فأزاح بنفسه فأصابه الجرع فطلب حوتا ففتح بطنه  
فوجد فيه خاتمه ، وكان الجوى قد رماه في البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه ففتنة سليمان على هذا هي  
ما جرى له من سلب ملكه ، والجسد الذى ألقى على كرسيه هو الجوى الذى قعد عليه وسماه جسداً ، لأنه تصور  
في صورة إنسان ، ومعنى أناب رجوع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجوع إلى ملكه ، والقول الثانى أن سليمان  
كان له امرأة يحبها وكان أبوها ملكاً كافراً قد قتل سليمان فسأله أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك  
فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جوارها وصار صنما معبوداً في داره وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون  
يوماً ، فلما علم به كسره فالفتنه على هذا عمل الصورة ، والجسد هو الصورة والقول الثالث أن سليمان كان  
له ولداً وكان يحبه حباً شديداً فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبداً فلم يشعر  
إلا وولده ميت على كرسيه فالفتنه على هذا حب الولد ، والجسد هو الولد لما مات وسمى جسداً لأنه جسد بلا روح ،  
القول الرابع أنه قال لا طوفن الليلة على مائة امرأة تأتى كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ، ولم يقل  
إن شاء الله ، فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق إنسان فالفتنه على هذا كونه لم يقل إن شاء الله ، والجسد هو  
شق الإنسان الذى ولد له ، فأما القول الاول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك  
سليمان وتسلط الشياطين عليه ، وأما القول الثانى فضعيف أيضاً مع أنه يبعد أنه يعبد صنم في بيت نبي ، أو  
يأمر نبي بعمل صنم ، وأما القول الثالث فضعيف أيضاً ، وأما القول الرابع فقد روى في الحديث الصحيح  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية (قال رب اغفر لي وهب لي  
ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى) قدم الاستغفار على طلب الملك لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا فقدم  
الاولى والأهم ، فإن قيل : لاى شئ قال لا ينبغى لأحد من بعدى ، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجاج

وَعَوَاصٍ ۝ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۚ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۝ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى الْأُولَى الْأَلْبَبَ ۝ وَخُذْ يَدَكَ ضَغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

لأنه كان حسوداً؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه إنما قال ذلك لئلا يجرى عليه مثل ما جرى من أخذ الجنى للملك ، فقصده أن لا يسلب ملكه عنه في حياته ويصير إلى غيره ، والآخر أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوته (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) معنى رخاء لينه طيبة ، وقيل طائفة له ، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله عاصفة في الأنبياء ، وحيث أصاب : أي حيث قصد وأراد (والشياطين كل بناء وغواص) الشياطين معطوف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين أي سخرنا له الريح والشياطين من يبنى منهم ومن يغوص في البحر (وآخرين مقرنين في الأصفاة) أي آخرين من الجن موثقون في القيود والأغلال ( هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك) الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله له ، والمعنى أن الله قال له أعط من شئت وامنع من شئت ، وقيل المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود ، وأمسك من شئت منهم في القيود ، والاول أحسن وهو قول ابن عباس (بغير حساب) يحتمل ثلاثة معان : أحدها أنه لا يحاسب في الآخرة على ما فعل ، والآخر بغير تعذيب عليك في الملك ، والثالث بغير حساب ولا عدد بل خارج عن الحصر (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قد ذكر في قصة داود (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسنى الشيطان بنصب وعذاب) قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في الأنبياء والنصب يقال بضم النون وإسكان الصاد : وبفتح النون وإسكان الصاد وبضم النون والصاد وبفتحهما ، ومعناه واحد وهو المشقة ، فإن قيل : لم نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان فالجواب من أربعة أوجه : أحدها أن سبب ذلك كان من الشيطان ، فإنه روى أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكراً فلم يغيره ، وقيل إنه كانت له شاة قدبحها وطبخها ، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئاً ، والثاني أنه أراد ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجوع وكرهه البلاء ، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك ، والثالث أنه روى أن الله سلب الشيطان عليه ليفتنه فأهلك مله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه الجذام (١) والمرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه ، والرابع روى أن الشيطان لقي امرأته فقال لها قولى لزوحك إن سجدت لى سجدة أذهب ما به من المرض فذكرت المرأة ذلك لايوب ، فقال لها ذلك عدو الله الشيطان وحيث تدعى (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) التقدير قلالة اركض برجلك فضررب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده ، وروى أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عيتان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى (ووهبنا له أهله) ذكر في الأنبياء (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) الضغث القبضة من القضبان ، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته

(١) الحق أن سيدا أيوب لم يصبه الجذام وإنما أصابه مرض باطن لا يفر منه الناس لعصاة الأنبياء من ذلك

وَيَعْقُوبُ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرَ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارَ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمَنِ الْمُصْطَفِينَ  
الْأَخْيَارِ . وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ . هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْبَتِّينِ لِحُسْنَ مَثَابٍ .  
جَنَّتْ عَدْنٌ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ . مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَسْكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ . وَعِنْدَهُمْ قَصِرَاتُ  
الطَّرَفِ أَتْرَابٌ . هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ . إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ . هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ  
مَثَابٍ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمِهَادُ . هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ . وَآخِرُ مِنْ شَكْلَةٍ أَزْوَاجٌ . هَذَا فَوْجٌ

مائة سوط إذا برئ من مرضه ، وكان سبب ذلك ما ذكر تدله من لقاء الشيطان ، وقوله لها إن سجدلى زوجك  
أذهبت مابه من المرض ، فأمره أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر في يمينه ، وقد  
ورد مثل هذا عن نبينا صلى الله عليه وسلم في حد رجل زنى وكان مريضا فأمر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بعذق نخلة فيه شمار يخ مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود والنسائي ، وأخذ به بعض  
العلماء ، ولم يأخذه مالك ولا أصحابه (أولى الأيدي والأبصار) الأيدي جمع يد وذلك عبارة عن قوتهم في  
الاعمال الصالحات ، وإنما عبر عن ذلك بالأيدي ، لأن الاعمال أكثر ما تعمل بالأيدي ، وأما الأبصار  
فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم من قولك أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور ، وقيل الأيدي جمع يد  
بمعنى النعمة ومعناه أولوا النعم التي أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة ، وهذا ضعيف لأن اليد بمعنى النعمة  
أكثر ما يجمع على أيادي ، وقرأ ابن مسعود أولوا الأيدى بغير ياء ، فيحتمل أن تكون الأيدي محذوفة الياء ،  
أو يكون الأيدى بمعنى القوة : كقوله داود ذا الأيدى ، (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) معنى أخلصناهم  
جعلناهم خالصين لنا ، أو أخلصناهم دون غيرهم ، وخالصة صفة حذف موصوفها تقديره بخالصة خالصة ، وأما الياء  
في قوله بخالصة فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين ، فالباء سببية للتعليل ، وإن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم  
فالباء تعدية الفعل ، وقرأنا فإضافة خالصة إلى ذكرى من غير تنوين ، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون ذكرى  
بدلا من خالصة على وجه البيان والتفسير لها ، والدار يحتمل أن يريد به الآخرة والدنيا ، فإن أراد به الآخرة  
ففي المعنى ثلاثة أقوال : أحدها أن ذكرى الدار يعنى به ذكرهم الآخرة وجهنم فيها والآخر أن معناه تذكيرهم  
للناس بالآخرة ، وترغيبهم للناس فيها عند الله ، والثالث أن معناه ثواب الآخرة : أى أخلصناهم بأفضل ما فى  
الآخرة ، والاول أظهر ، وإن أراد بالدار الدنيا فالمعنى حسن الثناء والذكر الجميل فى الدنيا كقوله لسان صدق  
(الأخيار) جمع خير بتشديد الياء أو خير المخفف من خير كميته مخفف من ميت (وذا الكفل) ذكر فى الانبياء  
(هذا ذكر) الإشارة إلى ما تقدم فى هذه السورة من ذكر الانبياء ، وقيل الإشارة إلى القرآن بجملته ، والاول أظهر  
وكان قوله هذا ذكر ختام للكلام المتقدم ، ثم شرع بعده فى كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول فهذا  
باب ثم يشرع فى آخر (قاصرات الطرف) ذكر فى الصفات (أتراب) يعنى أسنانهم سواء يقال فلان ترب  
فلان إذا كان مثله فى السن ، وقيل إن أسنانهم وأسنان أزواجهن سواء (ماله من نفاذ) أى ماله من فناء ولا  
انفضاء (هذا وإن للطاغين لشر مآب) تقديره الأمر هذا : لماتم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله هذا ثم ابتداء وصف

أهل النار ، ويعني بالطاعين الكفار (هذا فليذوقوه حميم وغساق) هذا مبتدأ وخبره حميم ، فليذوقوه اعتراف بينهما ، والحميم الماء الحار والغساق قرئ بتخفيف السين وتشديدها وهو صديد أهل النار ، وقيل ما يسيل من عيونهم ، وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله (وأخر من شكله أزواج) آخر معطوف على حميم وغساق تقديره وعذاب آخر قيل يعني الزمهرير ، ومعنى من شكله من مثله ونوعه أى من مثل العذاب المذكور ، وأزواج معناه أصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر والمعنى أهما أصناف من العذاب ، وقال ابن عطية : آخر مبتدأ ، واختلف في خبره ، فقيل تقديره ولهم عذاب آخر وقيل أزواج مبتدأ ومن شكله خبر أزواج ، والجملة خبر آخر ، وقيل أزواج خبر الآخر ، ومن شكله في موضع الصفة وقرئ آخر بالجمع وهو أليق أن يكون أزواج خبره لأنه جمع مثله (هذا فوج مقتحم معكم) الفوج جماعة من الناس والمقتحم الداخل في زحام وشدة وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولاً ثم دخل بعدهم أتباعهم وهو الفوج المشار إليه ، وقيل هو كلام أهل النار بعضهم لبعض والاول أظهر (لا مرحبا بهم) أى لا يلقون رحبا ولا خيرا ، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار : أى لا مرحبا بالفوج الذين هم أتباع لهم (قالوا بل أتم لا مرحبا بكم) هذا حكاية كلام الاتباع للرؤساء لما قالوا لهم لا مرحبا بهم ، أجاوبهم بقولهم بل أتم لا مرحبا بكم (أتم قدمتموه لنا) هذا أيضا من كلام الاتباع خطابا للرؤساء ، وهو تعليل لقولهم بل أتم لا مرحبا بكم ، والضمير في قدمتموه للعذاب ، ومعنى قدمتموه أوجبتموه لنا بما قدمتم في الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) هذا أيضا من كلام الاتباع دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتتهم عذابا ضعفا في النار والضعف زيادة المثل (قالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعذبهم من الأشرار) الضمير في قالوا لرؤساء الكفار ، وقيل للطاعين والرجال هم ضعفاء المؤمنين ، وقيل إن القائلين لذلك أبو جهل لعنه الله وأممية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم وأن الرجال المذكورين هم عمار وبلال وصهيب وأمثالهم واللفظ أعم من ذلك والمعنى أنهم قالوا في جهنم مالنا لانرى في النار رجالا كنا في الدنيا نعذبهم من الأشرار (أتخذناهم سخرى) قرئ أتخذناهم بهمة قطع ومعناها تويخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سخرى ، وقرئ بألف وصل على أن يكون الجملة صفة لرجال وقرئ سخرى بضم السين من التسخير بمعنى الخدمة وبالكسر بمعنى الاستهزاء (أم زاغت عنهم الأبصار) هذا يحتمل ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون معادلا لقولهم مالنا لانرى رجالا ، والمعنى مالنا لانراهم في جهنم فهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا ومعنى زاغت عنهم مالت فلم نرهم . الثاني أن يكون معادلا لقولهم أتخذناهم سخرى والمعنى أتخذناهم سخرى . وأم زاغت الأبصار على هذا : مالت عن النظر إليهم احتقاراً لهم . الثالث أن تكون أم منقطعة بمعنى بل والهمة فلا تعادل شيئاً مما قبلها (إن ذلك لحق) الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار



إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ \* قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ \* أَتَمَّ عَنْهُ مُعْرَضُونَ \* مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ \* إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ \* إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ \* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ \* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ \* قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعُثُونَ \* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ \* قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوْيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ \* قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ \* لَا مَلَأَنَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِنْ تَبَعِكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكِبِينَ

ثم فسره بقوله (تخاصم أهل النار) وإعراب تخصص بدل من حق أو خبر مبتدأ مضمرة (قل هو نبأ عظيم) البأ الخبر ويعنى به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة ، وقيل هو القرآن ، وقيل هو يوم القيامة والاول أعم وأرجح (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) الملأ الأعلى هم الملائكة ومقصد الآية الاحتجاج على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك ، والضمير في يختصمون للملأ الأعلى واختصاصهم هو في قصة آدم حين قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى فقال : لا أدري قال في الكفارات وهي إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد الحديث بطوله ، وقيل الضمير في يختصمون للكفار : أى يختصمون في الملأ الأعلى فيقول بعضهم هم بنات الله ، ويقولون آخرون هم آلهة تعبد ، وهذا بعيد (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين) إذ بدل من إذ يختصمون ، وقد ذكرنا في البقرة معنى بعبود الملائكة لآدم ، ومعنى كفر إبليس وذكرنا في الحجر معنى قوله تعالى (من روحى) (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) الضمير في قال لله عز وجل ، ويبدى من المتشابه الذى ينبغى الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله ، وقال المتأولون هو عبارة عن القدرة ، وقال القاضى أبو بكر بن الطيب إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المتقررة ، قال ابن عطية وهذا قول مرغوب عنه ، وحكى الزمخشري أن معنى خلقت بيدي خلقت بغير واسطة (استكبرت أم كنت من العالين) دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل لحذف ألف الوصل ، وأم هنا معادلة ، والمعنى استكبرت الآن أم كنت قديما بمن يعلمو ويستكبر ، وهذا على جهة التوبيخ له (رجيم) أى لعين مطرود (إلى يوم الوقت المعلوم) يعنى القيامة ، وقد تقدم الكلام على ذلك في الحجر (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) الباء للقسمة ، أقسم إبليس بعزة الله أن يغوى بن آدم (قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) الضمير في قال هنا لله تعالى ، والحق الاول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمرة كقولك الله لأفعلن ، وجوابه لا ملأن جهنم ، وقرئ بالرفع وهو مبتدأ ، أو خبر مبتدأ مضمرة تقديره الحق يميني ، وأما الحق الثانى

الْمُتَكَلِّفِينَ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۚ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۚ

## سورة الزمر

مكية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۚ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۚ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ

فهو مفعول بأقول ، وقوله والحق أقول جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للقسم (و ، أنا من المتكلفين) أى الذين يتصنعون ويتحيلون بما ليسوا من أهله (ولتعلمن نبأه بعد حين) هذا وعيد أى لتعلمن صدق خبره بعد حين والحين يوم القيامة أو موتهم أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره

## سورة الزمر

(تنزيل الكتاب) تنزيل مبتدأ وخبره من الله أو خبر ابتداء مضمر تقديره هذا تنزيل ، ومن الله على هذا الوجه يتعلق بتنزيل أو يكون خبراً بعد خبر أو خبر مبتدأ آخر محذوف والكتاب هنا القرآن أو السورة واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة وأما الكتاب الثانى فهو القرآن باتفاق (بالحق) يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه متضمناً للحق ، والثانى أن يكون معناه بالاستحقاق والوجوب (مخلصاً له الدين) أى لا يكون فيه شرك أكبر ولا أصغرو هو الرياء (ألا لله الدين الخالص) قيل معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذى شرعه لعباده ولا يقبل غيره ومعنى الخالص الصافى من شوائب الشرك ، وقال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال الحسن هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يريد بالأولياء الشركاء المعبودين ، ويحتمل أن يريد بالذين اتخذوا الكفار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين والاول أظهر لأنه يحتاج على الثانى إلى حذف الضمير العائد على الذين تقديره الذين اتخذوهم ويكون ضمير الفاعل فى اتخذوا عائداً على غير مذكور وارتفاع الذين على الوجهين بالا ابتداء وخبره إما قوله إن الله يحكم بينهم أو المحذوف المقدّر قبل قوله مانعبدكم لأن تقديره يقولون مانعبدكم والاول أرجح لأن المعنى به أكل (مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) هذه الجملة فى موضع معمول قول محذوف والقول فى موضع الحال أو فى موضع بدل من صلة الذين ، وقرأ ابن مسعود قالوا مانعبدكم بإظهار القول أى يقول الكفار مانعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده ويعنى بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة أو الذين عبدوا الأصنام أو الذين عبدوا عيسى أو عزيز فإن جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفى قربى فهو مصدر من يقربونا (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) إشارة إلى كذبهم فى قولهم ليقربونا إلى الله وقوله لا يهدي فى تأويله وجهان : أحدهما لا يهديه فى حال كفره والثانى أن ذلك مختص بمن قضى عليه بالموت على الكفر أعادنا الله من ذلك وهذا تأويل : لا يهدي القوم الظالمين والكافرين حيثما وقع (لو أراد الله أن يتخذ ولدأ لاصطفى بما يخلق

يَتَّخِذُونَ لَهَا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ  
الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝  
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ  
خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَا تَتَصَفَّوْنَ ۝ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ

ما يشاء) الولد يكون على وجهين أحدهما بالولادة الحقيقية وهذا محال على الله تعالى لا يجوز في العقل والثاني التنبئ  
بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الانسان ولد غيره ولدا لإفراط محبته له وذلك متمتع على الله ياخبار الشرع  
فان قوله وما يبدئ للرحمن أن يتخذ ولداً يعلم نفى الوجهين فعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية : لو أراد الله أن يتخذ  
ولداً على وجه التنبئ لاصطفى لذلك ما يخلق من موجوداته ومخلوقاته ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله ، وقال الزمخشري  
معناه : لو أراد الله اتخاذ الولد لا متمتع ذلك ولكنه يصطفى من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب  
لاعلى وجه اتخاذه ولداً فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب فحسب الكفار أنهم أولاده ثم زادوا على ذلك أن  
جعلوهم إناثاً فأفراطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته (سبحانه هو الله الواحد القهار) نزه تعالى نفسه  
من اتخاذ الولد ثم وصف نفسه بالواحد لأن الواحدية تنافي اتخاذ الولد لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له  
لأنه واحد ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفى الشركاء والأنداد لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى فكيف  
يكون شريكاً له ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقه السموات والأرض وما بينهما ليدل على وحدانيته وقدرته  
وعظمته (يكور الليل على النهار) التكوير اللف واللى ومنه كور العمامة التي يلتوى بعضها على بعض وهو  
هنا استعارة ، ومعناه : على ما قال ابن عطية يعيد من هذا على هذا ، فكان الذي يطيل من النهار أو  
الليل يصير منه على الآخر جزءاً فيستره وكأن الذي ينقص يدخل في الذي يطول فيستر فيه ويحتمل أن  
يكون المعنى أن كل واحد منهما يغلب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في ستره له بثوب يلف على الآخر (لأجل  
مسمى) يعنى يوم القيامة (خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء  
خلقها من ضلع آدم ، فإن قيل : كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم ثم التي تقتضى الترتيب والمهلة ولا شك أن  
خلقة حواء كانت قبل خلقة بنى آدم ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى  
قوله واحدة لا على خلقكم كأنه قال خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها الثاني  
أن ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود . الثالث أنه يعنى بقوله خلقكم إخراج بنى آدم من صلب أبيهم كالذر  
وذلك كان قبل خلقه حواء (وأزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) يعنى المذكورة في الأنعام من الضأن  
اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسماها أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى والآنثى زوج  
الذكر وأما أنزل ففيه ثلاثة أوجه : الأول أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها . الثاني أن معنى أنزل قضى  
وقسم ، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه . الثالث أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام  
فغير بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد (خلقاً من بعد خلق) يعنى أن الإنسان يكون نطفة ثم علقه ثم  
مضغة إلى أن يتم خلقه ثم ينفخ فيه الروح (في ظلمات ثلاث) هي البطن والرحم والمشيمة ، وقيل صلب الأب

اللَّهُ غَفَى عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۖ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۖ أَمِنْ هُوَ قُلْتَ ۚ إِنَّآ أَلِيلٌ سَاجِدًا وَلِقَاءَ مَا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤِ الْأَلْبَابِ ۖ قُلْ يَٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ قُلْ إِنِّي

والرحم والمشيمة والأول أرجح لقوله بطون أمهاتكم ولم يذكر الصلب (إن تكفروا فإن الله غفى عنكم) أى لا يضركم (ولا يرضى لعباده الكفر) تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين : أحدهما أن الرضا بمعنى الإرادة ويعنى بعباده من قضى الله له بالإيمان والوفاة عليه ، فهو كقوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان والآخر أن الرضا غير الإرادة والعباد على هذا على العموم أى لا يرضى الكفر لأحد من البشر وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه ديناً ولا شرعاً وأراد وقوعاً وجوداً وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة والعباد على العموم جرياً على قاعدتهم فى القدر وأفعال العباد (وإن تشكروا يرضه لكم) هذا عموم والشكر الحقيقي يتضمن الإيمان (ولا تزر وازرة) ذكر فى الإسراء (وإذا مس الإنسان ضر) الآية : يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله وجعل له أنداداً ، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة ، فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله وإقامة الحجة على الإنسان بدعائه إلى الله ، فى الشدائد ، فإن قيل لم قال هنا وإذا مس بالواو وقال بعدها فإذا مس بالفاء ؟ فالجواب : أن الذى بالفاء مسبب عن قوله اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فجاء بفاء السببية قاله الزمخشري وهو بعيد (ثم إذا خوله نعمة منه) خوله أعطاه والنعمة هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضر المذكور أو أى نعمة كانت (نسى ما كان يدعو إليه من قبل) يحتمل أن تكون مامصدرية أى نسى دعاء أو تكون بمعنى الذى والمراد بها الله تعالى (أم من هو قانت) بتحفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على من وقيل هى همزة النداء الأول أظهر ، وقرئ بتشديدها على إدخال أم على من ومن مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره أم من هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده وهو قوله هل يستوى الذين يعلمون ، والقنوت هنا بمعنى الطاعة والصلاة بالليل ، وآناه الليل ساعاته (قل يا عباد الذين آمنوا) الآية نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ومعناها التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يحتمل أن يتعلق فى هذه الدنيا بأحسنوا والمعنى الذين أحسنوا فى الدنيا لهم حسنة فى الآخرة ، أو يتعلق بحسنة والحسنة على هذا حسن الحال والعافية فى الدنيا والأول أرجح (وأرض الله واسعة) يراد البلاد المجاورة للأرض التى هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض على الهجرة (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) هذا يحتمل وجهين أحدهما أن الصابرين يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثانى أن أجر الصابرين بغير حصر بل أكثر من

أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأَمَرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي . فاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ . هُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُمٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُمْ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاتَّقُونَ . وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ . أَفَنُحِقُّ عَلَيْهِ كَلِمَةَ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ . لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقَهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَنَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ

أن يحصر بعدد أو وزن وهذا قول الجمهور ( وأمرت لأن أكون أول المسلمين ) اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوف ، فإن قيل : كيف عطف أمرت على أمرت والمعنى واحد؟ فالجواب أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص والثاني أمر بالسبق إلى الإسلام فهما معنيان اثنان وكذلك قوله قل الله أعبد ليس تكرارا لقوله أمرت أن أعبد الله لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة والثاني إخبار بأنه يفعل العبادة وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده ( فاعبدوا ما شئتم من دونه ) هذا تهديد ومبالغة في الخذلان والتخلية لهم على ما هم عليه ( ظلال ) جمع ظلة بالضم وهو ما غشى من فوق كالسقف فقوله من فوقهم بين وأمان تحتهم فسماء ظلة لأنه سقف لمن تحتهم فإن جهنم طبقات وقيل سماء ظلة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم ( والذين اجتنبوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ) قيل إنها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا وقيل نزلت في أبي ذر وسلمان وهذا ضعيف لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية والأظهر أنها عامة ، والطَّاغُوتُ كل ما عبد من دون الله ، وقيل الشياطين ( الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ) قيل يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام وقيل يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك وقيل هو الذي يستمع حديثا فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر وقال ابن عطية هو عام في جميع الأقوال والقصد الثناء على هؤلاء بصفات ونظر سديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ ، فيتبعون الأحسن من ذلك ، وقال الزمخشري مثل هذا المعنى ( أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ) فيها وجهان : أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره : أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه ، فوضع من في النار موضع المضمر ، والهمزة في قوله أفأنت هي الهمزة التي في قوله أفمن وهي همزة الإنكار كتررت للتأكيد ، والثاني أن يكون التقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه لحذف الخبر ثم استأنف قوله أفأنت تنقذ من في النار ، وعلى هذا

ذَكَرَ الْأَوَّلَى الْأَلْبَبِ ، أَفَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۝ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ، أَفَنَ يَتَقَى بَوَجهِ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

يوقف على العذاب، والاول أرجح لعدم الإضمار (فلسكه يتابع في الارض) معنى سلكه أدخله وأجراه والينابيع جمع ينبوع وهو العين ، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر (مختلفا ألوانه) أى أصنافه كالقمح والارز والفلول وغير ذلك ، وقيل ألوانه الخضرة والحمره وشبه ذلك ، وفي الوجهين دليل على الماعل المختار ورد على أهل الطبائع (أفمن شرح الله صدره للإسلام) تقديره أفر شرح الله صدره كالقاسى قلبه ، وروى أن الذى شرح الله صدره للإسلام على بن أبى طالب وحمة ، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو لهب وأولاده ، واللفظ أهم من ذلك (من ذكر الله) قال لزمخشري من هنا سببية أى قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله ، وهذا المعنى بعيد ، ويحتمل عندى أن يكون قاسية تضمن معنى خاليه ، ولذلك تعدى بمن ، والمعنى أن قلوبهم خالية من ذكر الله (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن (كتابا) بدل من أحسن أو حال منه (متشابه) معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضا فى الفصاحة والنطق بالحق ، وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف (مثنى) جمع مثنى أى تثنى فيه القصص وتكرر ، ويحتمل أن يكون مشتقا من الثناء ، لأنه يثنى فيه على الله ، فإن قيل : مثنى جمع فكيف وصف به المفرد ؟ فالجواب : أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار ، ويجوز أن يكون كقولهم رمة أعشار ، وثوب أخلاق ، أو يكون تمييزا من متشابهها كقولك حسن شمائل (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) إن قيل : كيف تعدى تلين يالى ؟ فالجواب أنه تضمن معنى فعل تعدى يالى كأنه قال تميل أو تسكى أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ، فإن قيل : لم ذكرت الجلود أولا وحدها ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها ؟ فالجواب : أنه لما قال أولا تقشعرت ذكر الجلود وحدها ، لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها ، ولما قال ثانيا تلين ذكر الجلود والقلوب ، لأن اللين توصف به الجلود والقلوب : أما لين القلوب فهو ضد قسوتها وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت أولا من الخوف ، ثم لانت بالرجاء (ذلك هدى الله) يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرت الجلود (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) الخبر محذوف كما تقدم فى نظائره تقديره أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب ، ومعنى يتقى يلقى النار بوجهه ليكشفها عن نفسه ، وذلك أن الإنسان إذا لقي شيئا من المخاوف استقبله بيديه ، وأيدى هؤلاء مغلوله ، فاقنوا البار بوجوههم (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفرو والعصيان (قرآنا عربيا) نصب على الحال أو بفعل مضمر على المدح



غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ لَأَنْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ \* وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ \* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ \* لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ \* أَلَيْسَ أَنَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ أَنَّ بَعْزَ ذِي انْتِقَامٍ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضَرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ \*

(غير ذي عوج) أى ليس فيه تضاد ، لا اختلاف ولا عيب من العيوب التى فى كلام البشر ، وقيل معناه غير مخلوق وقيل غير ذي لحن ، فإن قيل : لم قال غير ذي عوج ولم يقل غير معوج ؟ فالجواب : أن قوله غير ذي عوج أبغى فى نفي العوج عنه كأنه قال ليس فيه شيء من العوج أصلا (رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون متظالمون ، وقيل متشاجرون وأصله من قولك رجل شكس إذا كان ضيق الصدر ، والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحده ، فشبه المشرِك بملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه ، والمملوك بينهم فى أسوأ حال وشبهه من يوحده الله بملوك لرجل واحد ، فعنى قوله (سالمًا لرجل) أى خالصاله وقرئ سلما بغير ألف والمعنى واحد (إنك ميت وإنهم ميتون) فى هذا وعد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووعد للكفار فإنهم إذا ماتوا جميعا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل وفيه أيضا إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم سيموت لثلاث يختلف الناس فى موته كما اختلفت الأمم فى غيره وقد جاء أنه لما مات صلى الله عليه وسلم أنكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه موته حتى احتج عليه أبو بكر الصديق بهذه الآية فرجع إليها (تختصمون) قيل يعنى الاحتصام فى الدماء وقيل فى الحقوق والأظهر أنه اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار فى تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله ويحتمل أن يكون على العموم فى اختصاص الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها (فمن أظلم ممن كذب على الله) المعنى لا أحد أظلم ممن كذب على الله ويريد بالكذب على الله هنا ما نسبوا إليه من الشركاء والأولاد (وكذب بالصدق) أى كذب بالإسلام والشرعية (والذى جاء بالصدق وصدق به) قيل الذى جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر وقيل الذى جاء بالصدق جبريل والذى صدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدق به المؤمنون واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل الذى للجنس كأنه قال الفريق الذى لأنه فى مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم (أليس الله بكاف عبده) تقوية لقلب محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإزالة للخوف الذى كان الكفار يخوفونه (ولئن سألتهم) الآية احتجاج

قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ۝ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝  
 إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
 بِوَكِيلٍ ۝ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ  
 الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ  
 كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝  
 وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَاهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝  
 قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝  
 وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ

على التوحيد ورد على المشركين (هل هن كاشفات ضره) الآية رد على المشركين وبرهان على الوحدةانية  
 وروى أن سببها أن المشركين خوفوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من آلهتهم فنزلت الآية  
 مبينة أنهم لا يقدرُونَ على شيء، فإن قيل: كيف قال كاشفات وممسكات بالتأنيث؟ فالجواب أنها لاتعقل فعاملها  
 معاملة المؤنثة وأيضاً في تأنيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها (اعملوا على مكاتبكم) تهديد ومسألة مذسوخة  
 بالسيف (بالحق) ذكر في أول السورة (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) هذه الآية اعتبار  
 ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين: أحدهما وفاة كاملة حقيقية وهي الموت، والآخر وفاة النوم  
 لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع ومنه قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل، وتقديرها ويتوفى الأنفس  
 التي لم تمت في منامها (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي يمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت  
 الحقيقي ومعنى إمساكها أنه لا يردها إلى الدنيا (ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) أي يرسل الأنفس النائمة  
 وإرسالها هو ردها إلى الدنيا، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقي، وقد تكلم الناس في النفس والروح  
 وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله وقل الروح من  
 أمر ربي، (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أم هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار والشفعاء هم الأصنام وغيرها،  
 لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (قل أو لو كانوا) دخلت همزة الاستفهام على واو الحال تقديره يشفعون  
 وهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون (قل لله الشفاعة جميعاً) أي هو مالكها، فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه وفي  
 هذا رد على الكفار في قولهم إن الأصنام تشفع لهم (وإذا ذكر الله وحده) الآية: معناها أن الكفار  
 يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به، ومعنى اشتمازت انقبضت من شدة الكراهة، وروى أن هذه الآية  
 نزلت حين قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته حسباً ذكرنا  
 في الحج، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان  
 استكبروا واشتأزوا (وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا

اللَّهُ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۖ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فَإِذَا مَسَّ  
الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ  
قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۖ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن  
هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۖ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ  
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۖ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يظنون لأنهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة . قال الزمخشري : المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم أى ظهر  
لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وقيل  
معناها عملوا أعمالا حسبوها حسنات ، فإذا هي سيئات وقال الحسن : ويل لأهل الربا من هذه الآية وهذا  
على أنها في المسلمين والظاهر أنها في الكفار ( وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ) معنى حاق حل ونزل وقال  
ابن عطية وغيره إن هذا على حذف مضاف تقديره حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزئون ، ويحتمل أن يكون  
الكلام دون حذف وهو أحسن ، ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون لأنهم كانوا في  
الدنيا يستهزئون ، إذا خوفوا بعذاب الله ، ويقولون متى هذا الوعد ( قال إنما أوتيته على علم ) يحتمل وجهين  
أحدهما وهو الأظهر : أن يريد على علم منى بالمكاسب والمنافع ، والآخر على علم الله باستحقاقى لذلك  
وإنما هنا تحتمل وجهين : أحدهما وهو الأظهر : أن تكون ما كاذبة وعلى علم في موضع الحال ، والآخر أن تكون  
ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال أوتيته بالضميم المذكر وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى ( بل هي  
فتنة ) رد على الذي قال إنما أوتيته على علم ( قد قالها الذين من قبلهم ) يعنى قارون وغيره ( قل يا عبادي الذين  
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) قال على بن أبى طالب وابن مسعود هذه أرحى آية في القرآن ،  
وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ، واختلف  
في سببها فقيل نزلت في وحشى قاتل حمزة ، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل  
حمزة وقيل نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ، ففتنوا فافتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم ، وهذا  
قول عمر بن الخطاب : وقد كتب بها إلى هشام بن العاصى ، لما جرى له ذلك وقيل نزلت في قوم من  
أهل الجاهلية ، قالوا : ما ينفعنا الإسلام لأننا قد زينا ، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ومعناها مع ذلك على  
العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار  
فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلبوا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام  
يجب ما قبله ، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وإن أراد به العصاة من المسلمين  
فإن العاصى إذا تاب غفر له ذنوبه ، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له فالمغفرة  
المذكورة في هذه الآية ، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلبوا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن  
لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة ، والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلبوا

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ \* وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ \* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ \* بَلَىٰ أَقْدَرُ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ \* وَيَنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ \* لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* قُلْ أَغْفِرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ \* وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَلِلَّذِينَ مِنْ

والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) يعني اتبعوا القرآن وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض لأنه حسن كله . إنما المعنى أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر . ويحتنبوا ما فيه من النواهي فالفضل الذي يقتضيه أحسن إنما هو في الاتباع وقيل يعني اتبعوا النسخ دون المنسوخ ، هذا بعيد ( أن تقول نفس ) في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقول نفس وإنما ذكر النفس لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكفار ( في جنب الله ) أي في حق الله وقيل في أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى ( الساخرين ) أي المستهزئين ( بلى ) جواب للنفس التي حكى كلامها ولا يجابوب بلى إلا النفي وهي هنا جواب لقوله لو أن الله هداني لكنت من المتقين لأنه في معنى النفي لأن لو حرف امتناع وتقرير الجواب بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإزاله الكتب وقال ابن عطية هي جواب لقوله لو أن لي كرة فإن معناه يقتضي أن العمر يتسع للظرف قليل له بلى على وجه الرد عليه والاول أليق بسياق الكلام لأن قوله قد جاءتك آياتي تفسير لما تضمنته بلى ( وجوههم مسودة ) يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب ( بمفازتهم ) أصله من الفوز والتقدير بسبب فوزهم وقيل معناه بفضائلهم ( وهو على كل شيء وكيل ) أي قائم بتدبير كل شيء ( مقاليد ) مفاتيح وقيل خزائن واحدها مقلد وقيل لقليد وقيل لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية ، وقال عثمان بن عفان سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال هي لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله واستغفر الله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير فإن صح هذا الحديث فعنه أن من قال هذه الكلمات صادقا مخلصا نال الخيرات والبركات من السموات والأرض لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فسكانها مفاتيح له ( والذين كفروا ) الآية قال الزمخشري إنها متصلة بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وما بينهما من الكلام اعتراض ( أغفر الله ) منصوب بأعبد ( تأمروني ) حذفتم إحدى النونين

قَبْلَكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ \* وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ \* وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ \* وَوَفِّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ \* وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ هَٰذَا جَزَاءُ مَا كَفَرُوا ۖ وَأَبْوَأُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا يَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ \* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَآبَ

تخفيفاً وقرئ بإدغام إحدى النونين في الأخرى (لئن أشركت ليحبط عملك) دليل على إحباط عمل المرتد مطلقاً خلافاً للشافعي في قوله لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر فإن قيل الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله لئن أشركت لواحد : فالجواب أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حدته ، فإن قيل : كيف خطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك ، فالجواب أن ذلك على وجه الفرض والتقدير أى لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة ويحتمل أن يكون الخطاب لغيرهم وخوطينا ليدل المعنى على غيرهم بالطريق الأولى (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه ولا وصفوه بما يجب له ولا نزوه عما لا يليق به والضمير في قدروا لقريش وقيل لليهود (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات يمينه) المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار الذين ماقدروا الله حق قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات فقالت المتأولة إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة وقال ابن الطيب إنها صفة زائدة على صفات الذات وأما السلف الصالح فسلخوا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذى لا يعلم علم حقيقته إلا الله وقد قال ابن عباس مامعناه إن الأرض في قبضته والسموات مطويات كل ذلك يمينه ، وقال ابن عمر مامعناه : إن الأرض في قبضة اليد الواحدة والسموات مطويات باليمين الأخرى لأن كلنا يديه يمين (ونفخ في الصور) هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت وقد قيل إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر في هذه الآية (إلا من شاء الله) قيل يعنى جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يبيتهم الله بعد ذلك وقيل استثناء الأنبياء وقيل الشهداء (ثم نفخ فيه أخرى) هى نفخة القيام (قيام ينظرون) قيل إنه من النظر وقيل من الانتظار أى ينظرون ما يفعل بهم (ووضع الكتاب) يعنى صحائف الأعمال وإنما وحدها لأنه أراد الجنس وقيل هو اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليشهدوا على قومهم (والشهداء) يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد فى سبيل الله والأول أرجح لأن فيه الوعیه معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين والمراد على هذا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس وقيل يعنى الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق (زمرًا) فى الموضوعين جمع زمرة وهى الجماعة من الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أشد نجم فى السماء إضاءة ثم هم بعد



جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْ مُتَكَبِّرِينَ \* وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ  
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ \* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا  
الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ  
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \*

ذلك منازل (خزنتها) جمع خازن حيث وقع (كلمة العذاب) يعنى القضاء الساق بعذابهم (وفتحت أبوابها)  
إنما قال فى الجنة وفتحت أبوابها بالواو وقال فى النار فتحت بغير واو لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل  
بجىء أهلها والمعنى حتى إذا جاءوها وأبوابها مفتحة فالواو واو الحال وجواب إذا على هذا محذوف وأما أبواب  
النار فإنها فتحت حين جاءوها فوق قوله فتحت جواب الشرط فكأنه بغير واو وقال الكوفيون الواو فى  
أبواب الجنة واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية وقيل الواو زائدة وفتحت هو الجواب (وأورثنا الأرض)  
يعنى أرض الجنة والوراثة هنا استعارة كأنهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة (نتبوا) أى نزل من الجنة حيث نشاء  
وتنخذه مسكننا (حافين من حول العرش) أى محققين به دائرين حوله (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق كالموضع  
الأول، ويحتمل هنا أن يكون للملائكة والقضاء بينهم توفية أجورهم على حسب منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين)  
يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة أو جميع الخلق أو أهل الجنة : لقوله وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع وأوله : سورة غافر)

### استدراك

وقع فى هذا الجزء فى بعض النسخ بصفحة ١٨٧ بالسطر الأول وَلَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ، وصوابه وَلَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ، فتنبه

### فهرس الجزء الثالث من كتاب التسهيل

صفحة	صفحة	صفحة
١٣٢ سورة الأحزاب	٨٣ سورة الشعراء	٢٥٥ سورة مريم
١٤٦ » سبأ	٩٢ » النمل	١٠٢ » طه
١٥٤ » فاطر	١٠٢ » القصص	٢٢ » الأنبياء
١٦٠ » يس	١١٣ » العنكبوت	٣٤ » الحج
١٦٨ » الصافات	١٢٠ » الروم	٤٨ » المؤمنون
١٧٨ » ص	١٢٦ » لقمان	٥٨ » النور
١٩٠ » الزمر	١٢٩ » السجدة	٧٤ » الفرقان



